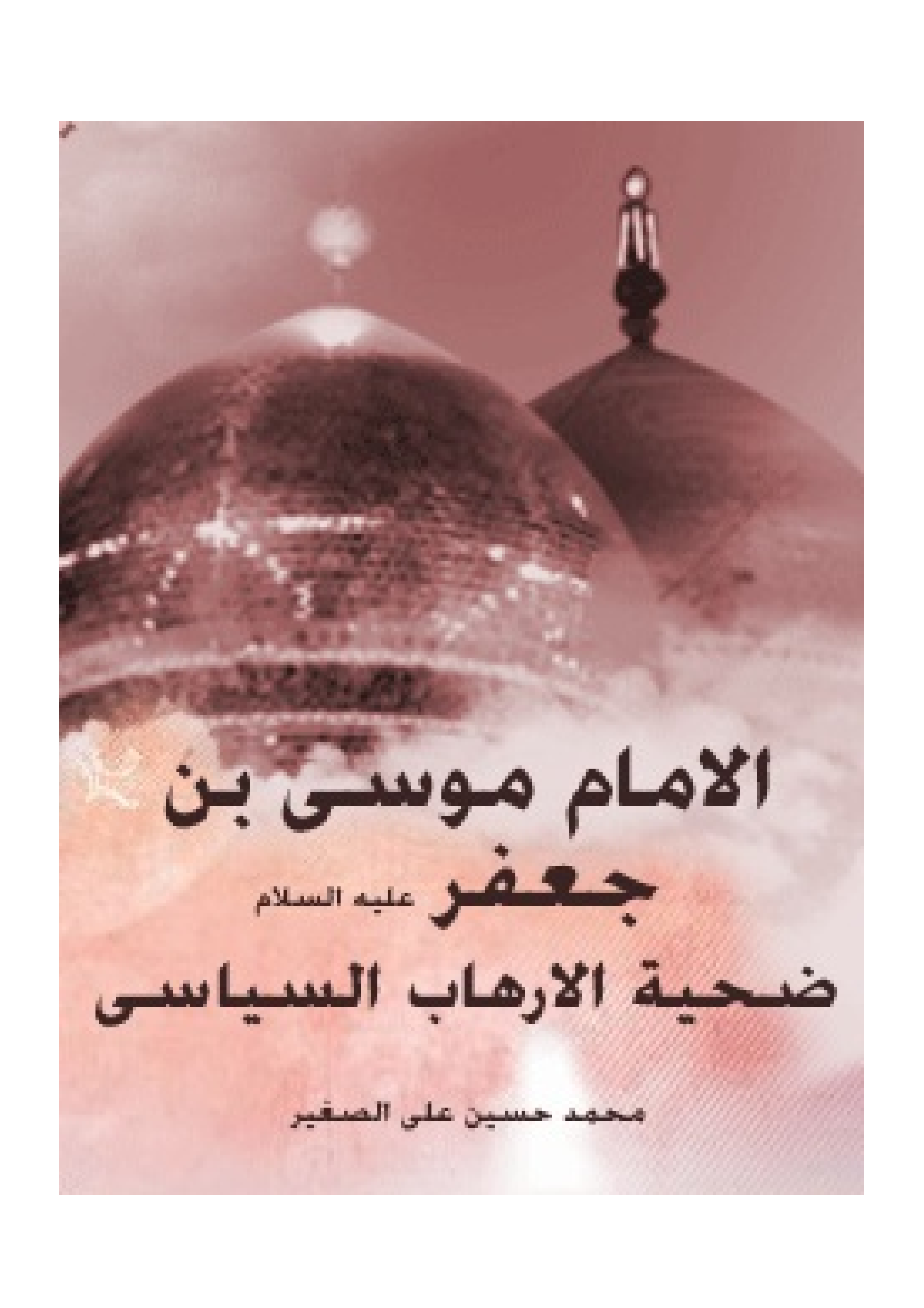




الامام موسى بن

جعفر عليه السلام

ضحية الارهاب السياسي

محمد حسين علي الصفيير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ضحية الارهاب السياسى

كاتب:

محمد حسين على الصغير

نشرت فى الطباعة:

مجلة حوزة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	(جديد)
٨	الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ضحية الارهاب السياسى
٨	اشارة
٨	المقدمة
١٠	الامام فى سماته و مميزاته
١٠	الوليد العظيم
١١	النشأة المباركة
١٢	المنزلة العليا
١٤	الامام فى مرآة التاريخ
١٧	من خصائص الامام
١٧	المنظور المشترك فى خصائص الأئمة
١٨	الورع و التقوى فى ظاهرة ايجابية
١٩	حلم الامام و كظمه للغىظ
٢٠	ظاهرة السخاء و الكرم النفسى
٢١	الامام و المسيرة العلمية الرائدة
٢١	المدرسة الأولى
٢٣	مصادر علم الامام
٢٦	سيرورة علم الامام
٣٢	تلامذة الامام و التراث العلمى
٣٥	تعليمات الامام لتهذيب الشعب المسلم
٣٨	الامام و ظواهر الحياة العقلية المتطورة
٣٨	العقل و المناخ العقلى المضطرب

٤١	تعدد الاتجاهات العقائدية
٤٢	الانشقاق الداخلى فى فرق الشيعة
٤٤	الامام فى خضم التيار الكلامى
٤٨	الامام و طواغيت عصره
٤٨	المبادئ السياسية المتقابلة
٤٩	فى استخلاف المنصور
٥١	فى عهد المهدي العباسى
٥٣	فى أيام موسى الهادى
٥٤	فى مملكة هارون الرشيد
٦٠	المناخ الثورى و اجراءات الارهاب السياسى
٦٠	قمع التحرك الثورى
٦٠	ثورة الحسين صاحب فخ
٦٢	انتفاضة يحيى بن عبدالله المحض
٦٥	التصفية الجسدية للعلويين
٦٦	موقف الامام من العنف الثورى
٦٨	البعد الاستراتيجى لسياسة الامام فى مقاومة الانحراف العباسى
٦٨	الامام و سياسة النضال العباسى
٧٠	الامام و اختراق النظام العباسى
٧٢	الامام و مجابهة الانحراف و التضليل الدينى
٧٤	الامام فى غياب السجون
٧٤	رؤية مجهرية لأسباب سجن الامام
٧٦	ايدولوجية تنقل الامام بين عدة سجون
٧٩	حياة الامام فى طوامير السجون
٨٠	الامام يوصى بأمواله و يوقف أراضيه

- ٨١ الامام في مدارج الشهادة
- ٨١ فزع الرشيد من منزلة الامام
- ٨٢ اغتيال الامام بالسسم
- ٨٣ الاشهاد على وفاة الامام
- ٨٤ تجهيز الامام و تشييعه الى مقره الأخير
- ٨٥ قصيدتان للمؤلف في الامام
- ٨٥ اشاره
- ٨٦ الامام موسى الكاظم
- ٨٦ في رحاب الامام موسى بن جعفر
- ٨٧ خاتمة المطاف و النتائج
- ٨٩ باورقى
- ١٠٤ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريبات الكمبيوترية

(جديد)

الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ضحية الارهاب السياسى

إشارة

المؤلف: محمد حسين على الصغير

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم فى حياة الايمان المشرق ألق و صفاء يخترق ضمير الكائن الانسانى، فيمنحه الدفء و الحرارة، و يمدّه بالنبض و الحركة، و يدفع به شوطاً بعيداً فى مضمار التكامل الاجتماعى. فاذا اقترن ذلك الايمان الخالص بالانابة المطلقة و الاخبات المتصاعد، التقى الهدف الأخلاقى الأمثل بالهدف الدينى السليم، و فى ضوء هذا الاغناء الفسيح تكون الثمار الايجابية مزدوجة العطاء، و تعود الأطروحة واضحة الأبعاد، فاذا أضفت لهذا و ذاك: الثبات فى المبدأ، و الصلابة فى الحق، و الصبر على المحن و الشدائد، خرجته بحصيلة أخلاقية وارفة الظلال، تتفياً المناخ الانسانى المزدهر فى رحاب العقيدة الراسخة، و تستبق الوعى الحضارى بخطوات واثقة، و تحتضن مدارج النضال المبدئى بقوة و روعة. و هكذا كانت الأجواء التى عاشها هذا الامام العظيم موسى بن جعفر (عليه السلام)، و هو ينهض برسالة السماء، و يحيا مأساة الانسان، و يعيش مظاهر الارهاب السياسى، و يقارع جور الطواغيت اضطهاداً لا تحده حدود، و تميزاً طبقياً لا يعرفه الاسلام، و رقابة ملتوية الأساليب، و رسدا بعيد المرامى، و أثره لا مثيل لها فى اقتطاع المناصب و احتجان الأموال و مصادرة الحريات؛ و الشعب المسلم فى بؤس و شقاء و حرمان، و طواوير الجياع يلتهمها الفقر و الضياع، و قصور السلاطين تموج بالتurf و البذخ و الاسراف، و لا سلطان [صفحة ٦] لأحد فى الانكار و التغيير، و الناس كل الناس بين خليفة لاه، و مسؤول ساه، و سياط تلهب الظهور. هذا غيض من فيض لتلك الصورة المأساوية التى دونها التأريخ فى الحنايا لا- فى الصفحات الأولى؛ و ينفجر الموقف عن اتجاهات ثورية، فتسيل الدماء، و تزهق الأرواح، و تتكاثر أعداد الأسرى، و ينفجر الموقف أيضاً عن هلع و فرع و قلق فيتجرع الناس مرارة الخوف و سيل الأزمات النفسية. و كان الحكم العباسى دون مغالاة: عبارة عن مخلوق دموى عنيف، ينام و يستيقظ على الارهاب و الفكر المتعثر، فلا يحلم الا بالدمار الشامل للرافضين، و لا يستمع لأنات هذا الشعب الضائع، و لا يفكر بمصير الأمة المتداعى، و كل ما يصدر عنه ازاء ذلك كله هو تفجير طاقات العنف و الانفعال للقضاء على المعارضين أو الناصحين، و لا يكاد يصحو من جرائمه اطلاقاً و لا يفكر لحظة زمنية فى يقظة الضمير التى قد تغتاب الطغاة حيناً، فيرتد عن تصرفاته الشاذة، و يعي أن الانسان كائن ذو أهمية خاصة و له نقطته المركزية فى الكون، و انما هو الاندفاع بأعمال القهر و القسر، و الاغراق فى العمى المطبق، و كأن تصرفاته السلوكية هذه انعكاس للبركان الحاقد المتواجد فى نفوس الحاكمين. و كان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى الاتجاه المعاكس لهذا التخلف العريض، و كان التماعه الذهنى المتوقد دقيقاً فى رصد العواطف المرفهة عند الانسان، و كان الوعى الرسالى لديه حريصاً على كشف القدرات الكامنة فى الذات الانسانية، فهو يريد لها الازدهار و الانبعاث لتكون كيانا مجسداً يتصرف و يعي و يدرك، لا آلة تستخدم و تشتري و تعار، و هو بذلك صريح دون رموز و ألغاز، و انما هوى الوعى المتدافع الذى يعصف بكيان التعسف و الانحدار الخلقى. [صفحة ٧] و من هنا تدرك مدى الهلع الذى يقض مضاجع السلطان، من الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) باعتباره العاصفة التى تقتلع مفاهيم الاستعباد الجماعى، و تخترق حواجز الاستبداد الفردى، فتتهار الأعراف السلطوية التى تعمل على صنمية المجتمع و تخديره، و تنتقل به من النمط التقليدى فى الاذعان و الاذلال الى سياق تحررى جديد من الحيوية و الإدراك. فالامام يشجب كل مظاهر القهر و الاكراه، و يدعو الى الموقف الحاسم، و يصدع بالصوت الجرىء

النافذ فيهم الأنظمة الهزيلة بقدرة فائقة تفوق قدرة السلاح، ولكنه النضال السلبي الموجه، أو المواجهة الراضية المنظمة، فلا مودعة مع الظالمين و القتلة، فكان ضحية الارهاب السياسى، نتيجة هذا الطرح الرائد. بيد أن رسالة السماء التى نهى الامام برفع لوائها، بدأت فى اتساقها و شموخها تنشر الهدى و تفيض المعرفة، فكان للنضال موقع فى كسر القيود و الأغلال، و كان لصوت العلم موقع و دوى فى الآفاق، و كان هذا التلاحم فى كشف الظلم و نشر العلم يعنى انتصار مدرسة أهل البيت فى هذين الخطين المتوازيين. و كانت حياة الامام (عليه السلام) تقتسمها المظالم و المعارف، مظالم الطواغيت، و معارف الرسالة الاسلاميه، و جاء هذا الكتاب لرصد ذلك الزخم الهائل من المعارف، و سبر ذلك السيل المتلاطم من المظالم، و هما موضوع هذه الرسالة فى الكشف الموضوعى و الاستقراء العلمى و تحديد الرؤية. و كانت طبيعة البحث فى أصوله و فروع و متعلقاته أن انتظم فى ثمانية فصول: كان الفصل الأول منها بعنوان: [صفحة ٨] «الامام فى سماته و مميزاته» و قد اشتمل على قبس من الأضواء الكاشفة عن مسيرة الامام بايجاز معبر فى ولادته، و نشأته المباركة، و التأكيد على منزلته العليا ناهضة نابضة دون عواطف، يلى ذلك كشف الامام من مرآة التاريخ فى شخصيته و مواهبه و قدراته، و تسليط الضوء على جزء من نماذج خصائص الامام بما فيها المنظور المشترك فى الخصائص بين الأئمة (عليهم السلام)، متحدثا عن الورع و التقوى فى ظاهرة ايجابية، و عن حلم الامام و كظمه الغيظ فى جبهة نفسية، متوقفا عند ظاهرة تتحدى شح الحاكمين فى الكرم و السخاء و المواساة. بما نعتبره دراسة مكثفة فى أبرز خصائص الامام و مميزاته. و كان الفصل الثانى بعنوان: «الامام و المسيرة العلمية الرائدة» و قد تناول بالبحث المعمق خمسة ظواهر متأصلة هى: المدرسة الأولى لأهل البيت فى ارساء قواعد العلوم المتطورة، و بناء صرح الحضارة الانسانية. و كانت الظاهرة الثانية معبرة عن مصادر علم الامام الكسبية و اللدنية بشواهد شاخصة، و أمثلة بارزة الملامح. و كان المبحث الثالث متساوقا عمليا مع ظاهرة السيورة النادرة، و الانتشار الدائع الصيت لعلم الامام الهادر فى الآفاق و الأقاليم. و تبنى المبحث الرابع ظاهرة الدور الريادى لتلامذه الامام و طلابه فى نشر التراث العلمى الأصيل الصادر عن الامام مشافهة أو تدوينا، فى نماذج حية ناطقة و قد أكدت فيه على من كان من هؤلاء التلاميذ مؤلفا و أحصيت بعضا من مؤلفاتهم. [صفحة ٩] و نظر المبحث الخامس فى ظاهرة متحركة لتعليمات الامام فى دائرة معارفه الموسوعية، و قد بدا سجلا حافلا بالأعلاق النفسية، و كنزا لا- يثمن من الذخائر المفجرة للطاقات البشرية. و كان الفصل الثالث بعنوان: «الامام و ظواهر الحياة العقلية المتطورة» و قد ركز البحث على أربع ظواهر عقلية فى حاة الامام (عليه السلام). كان الأول منها عارضا أمينا و محللا للعقل و المناخ العقلى المضطرب فى عصر الامام، و رصد شوارده و أوابده فى ضوء المنهج الاستقرائى. و كان الثانى متحدثا بموضوعية عن تعدد الاتجاهات العقائدية مذهبيا و كلاميا بلمحات بارزة تطرح الفكر الكلامى كما هو على صعيد المناقشة. و كان الثالث متحدثا عن الموجات الجديدة التى أحدثت الانقسام فى فرق الشيعة، و معرضا بالانشقاق الداخلى الذى عرض لها، فكان منه ما ولد ميتا فلم يكتب له بقاء، و منه ما استمر متعثر دون أى تأثير على الفكر الامامى الأصل، و منه ما ظل حتى اليوم فى كيان مترزلة. و كان الرابع مستوعبا لأفكار الامام الصاعدة فى خضم التيار الكلامى، و اثراته الفكر الاسلامى بالحقائق مجردة نظرا و عملا، و ذائقة توحيدية خالصة. و كان الفصل الرابع بعنوان: «الامام و طواغيت عصره» و قد بدأ برؤية استراتيجية للمبادئ السياسية المتقابلة لدى الامام و عند الطواغيت، فأعطت تصورا دقيقا للفروق المميزة بين فكر الامام السياسى فى البناء و الاعتقاد، و بين تسلط الحاكمين فى الاضطهاد و الاستبداد. [صفحة ١٠] تلت ذلك أربعة مباحث راصدة لمعاناة الامام الهائلة من أبعاد شتى، لدى استخلاف المنصور، و فى عهد ولده المهدي، و فى أيام موسى الهادى، و فى مملكة هارون الرشيد. و كان فيها مسح تاريخى مركز لعوالم الارهاب التى تعرض لها الامام، و تصوير للحاجة المأساوية التى مثلت كابوسا مطبقا على حياة الامام. و كان الفصل الخامس بعنوان: «المناخ الثورى و اجراءات الارهاب السياسى» و قد انتظم فى خمسة مباحث ناطقة بصدق و أمانة عن: / قمع التحرك الثورى من قبل العباسيين، و ثورة الحسين بن على (صاحب فخ)، و انتفاضة يحيى بن عبدالله المخلص، و التصفية الجسدية للعلويين، و موقف الامام من العنف الثورى. و كان هذا الفصل حافلا بمشاهد الدماء القانية، و تأريخ الثورات العلوية المضطربة، و تصوير الاجراءات الصارمة فى الاقتصاص، بما يمثل موجة الارهاب السياسى العنيف فى

معالجاته البدوية المعقدة، واستخفافه بالدماء والأعراض وقيمة الانسان. و عرض لموقف الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) من هذه الأحداث الحزينة، و لوح بتوجيهاته بالترقب و النصح الكريم، و أشار لمعارضته هذا المنهج. و كان الفصل السادس بعنوان: «البعد الاستراتيجي لسياسة الامام في مقاومة الانحراف العباسي» و هو عرض جديد لأبعاد استراتيجية بارزة في سياسة الامام المنطلقة من صميم رسالته و قيادته للأمة في ضوء تعليمات السماء. [صفحة ١١] و قد اشتمل على ثلاثة مباحث رئيسية لخصت سياسة الامام تجاه عملية التخطيط المكثفة لعوالم التضليل العباسي بأحداث ماثلة أبرزت الامام و سياسة النضال السلبي، و الامام و اختراق النظام العباسي، و الامام و مجابهة الانحراف و التضليل الديني. و هي عوالم تمثل عمق الصدق السياسي لدى الامام في صور دقيقة الآثار. و كان الفصل السابع بعنوان: «الامام في غياهب السجون» و هو فصل فريد تناول بالبحث العوامل الرئيسية التي أدت الى سجن الامام، و أكدت تكرار اعتقال الامام مرة بعد مرة، و عرضت لأماكن سجن الامام، و أبرزت الجوانب الايجابية لحياة الامام في السجن عبادة و علما و عملا. و كان ذلك في أربعة مباحث هي: رؤية مجهرية في أسباب سجن الامام. ايدولوجية تنقل الامام بين عدة سجون. حياة الامام في طوامير السجون. الامام يوصى بأمواله و يوقف أراضيه. و كان الفصل الثامن بعنوان: «الامام في مدارج الشهادة» و قد اشتمل على أربعة مباحث تناولت أواخر حياة الامام في الاعتقال، و اشتملت على بيان دوافع سجن الامام و محاولات اغتياله، و عرضت لمشاهد الاشهاد على وفاة الامام، و أنهت بمعالم تجهيزه و تشييعه الى مقره الأخير، حيث مرقده الشامخ - اليوم - في الكاظمية المقدسة. و هذه المباحث كالآتي: فرع الرشيد من منزلة الامام، اغتيال الامام بالسم، الاشهاد على وفاة الامام، تجهيز الامام و تشييعه الى مثواه الأخير. [صفحة ١٢] و كان ما تقدم من الفصول قد نهض بعنوان هذا الكتاب: «الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ضحية الارهاب السياسي» و لم يكن باستطاعة هذه الدراسة للامام بالدور المشرق للامام في ميادين الحياة الاجتماعية كافة، و اكتفت برصد الأحداث في مسيرة الامام، و الاشارة بعمق الى مخزونه الفكري و التراثي و العقائدي، فمثل ذلك ألقا من حياة الامام، و التمس قبسا من شعاعه الفياض، و عرض لنماذج من مميزاته الكبرى، و تناول بعرض جديد و أسلوب جديد ذلك اللعنان المتوهج في خصائص الامام، و علم الامام، و الحياة العقلية للامام، و سياسة الامام، و اضطهاد الامام، و استشهاد الامام. و كان الرأي الحر رائد هذه الدراسة، و استقرأ المجهول مهمتها الأساسية، و تصوير حقائق الأشياء هدفا موضوعيا. و ما توفيقى الا بالله العلي العظيم، عليه توكلت و اليه أنيب، و هو حسبا و نعم الوكيل. النجف الأشرف محمدحسين على الصغير [صفحة ١٣]

الامام في سماته و مميزاته

الوليد العظيم

الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين سيد الشهداء بن الامام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام). و هو الامام السابع من أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم). ولد - في أشهر الأقوال - في السابع من شهر صفر الخير عام ١٢٨ هـ عند سحر يوم [صفحة ١٤] الأحد أو الثلاثاء في «الأبواء» أحد منازل الطريق بين مكة و المدينة، و ذلك لدى عودة الامام الصادق من الحج [١]. و لدى ولادته الشريفة أمر الامام الصادق (عليه السلام) أحد أصحابه باطعام الناس ثلاثة أيام ابتهاجا بهذا الحدث السعيد [٢]. و كان وليدا مباركا، تبوأ مقعد الامامة، و تسلم ارث النبوة، ملئت به القلوب بهجة و اغتباطا، و عمرت به البشائر أفقا و رحابا، و سارت الركبان باطلائعه احتفاء و احتفالا. أمه: حميدة بنت صاعد الأندلسية، مثال المرأة المسلمة الملتزمة، و رمز النساء الصالحات حتى عرفت به «المصفاة» فيما أثر عن الصادق أنه قال: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب» [٣]. و كان في ملامحه العامة: أزهر الالف في الغيظ [٤] أسمر اللون [٥] «حسن الصوت حسن القراءة» [٦] و كان «رابط الجأش» [٧] و تمرس قراءة القرآن العظيم بخشوع و امعان «و كان اذا قرأ يحزن و يبكي، و يبكي السامعون لتلاوته» [٨]. و أجمعت

مصادر ترجمته المتقدمة بأنه لقب ب «الكاظم» حتى عاد علما له، و اكتفى به عن اسمه الشريف، و اشتهر ذلك شهرة عظيمة، و قد لقب به لكظمه الغيظ، و تجاوزه عن المسيئين. [صفحة ١٥] و كنيته «أبو الحسن» و «أبو الحسن الأول» و «أبو الحسن الماضي» و عرف ب «العبد الصالح» لفرط عبادته، و «النفس الزكية» و «الوقى» و «زين المتهجدين» و «الأمين» و «الصابر» و «الزاهر» سمي به لأنه زهر بأخلاقه الشريفة، و كرمه المضيء التام [٩]. و له كنى و ألقاب سواها، منها: «أبو ابراهيم» و «أبو علي» و «أبو اسماعيل» و الراجح أنها كنى متأخرة التأريخ، و قد أطلقت عليه بعد ذلك عندما أصبح أبا لهذا أو ذاك من الأولاد [١٠]. و قد وجد من ألقابه سبط ابن الجوزى فأضاف إليها: «السيد» و «الطيب» و «المأمون» [١١]. و هى ألقاب تحكى عظيم منزلته، و كرم أرومته، و مدارج كماله النفسى. و عرف بعد وفاته ب «باب الحوائج» عند القاصى و الدانى لا سيما العراقيين بخاصة، حتى قال الشاعر: باب الحوائج.. ما أتنه مروعة فى حاجة.. الا- و لى حاجها و قال الآخر فيه و فى حفيده الامام محمد الجواد: لذ ان دهتك الرزايا و الدهر عيشك نكد بكظم الغيظ «موسى» و بالجواد «محمد» يقول الاربلى (ت ٦٩٤ هـ): «و يعرف فى العراق بباب الحوائج الى الله، لنجح المتوسلين الى الله تعالى به...» [١٢]. [صفحة ١٦]

النشأة المباركة

درج الامام فى طفولته و صباه يتفياً ضلال النبوة، و يتغذى روح الايمان، و أدرك من حياة أبيه الامام الصادق (عليه السلام) عشرين عاما، ينتهل رافد معارفه، و يغترف من بحر علمه الهادر، و ابتهج به أبوه ابتهاجا عظيما و هو يافع يحتضن الفكر الناهض، و ينطلق الى الهدف الرائد، حتى قال أبوه: «الحمد لله الذى جعلك خلفا من الآباء، و سرورا من الأبناء، و عوضا عن الأصدقاء» [١٣]. و تمثلت فى الامام الأصالة منذ صغره، و عرف بالشمم و الآباء و هو صبى يافع، و ذاع صيته فى الآفاق مبكرا، و سرت هيئته فى الأنظار و القلوب، و اعتمرت الضمائر بمحبته حتى قال أبونواس [١٤]. اذا أبصرتك العين من غير ريبه و عارض فيك الشك أثبتك القلب و لو أن ركبا أمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب جعلتك حسبي فى أمورى كلها و ما خاب من أضحى و أنت له حسب و الظاهرة الجديرة بالاهتمام أن الامام كان منذ صباه يتمتع بحياة عقلية نيرة، يعى المسائل بفكر ثاقب، و يجيب السائل بادراك متوهج، حتى كان مثار اعجاب العلماء و الفقهاء، و قد تحدثوا عن ذلك بشكل مدهش ينم عن الاعجاب و الاحبار. فقد روى الاربلى عن أبى حنيفة امام المذهب الحنفى قوله: «رأيت موسى بن جعفر و هو صغير السن فى دهليز أبيه، فقلت: أين يحدث الغريب منكم اذا أراد ذلك؟ فنظر الى ثم قال: يتوارى خلف الجدار، [صفحة ١٧] و يتوقى أعين الجار، و يتجنب شطوط الأنهار و مساقط الثمار، و أفنية الدور و الطرق النافذة و المساجد، و لا يستقبل القبلة و لا يستدبرها، و يرفع و يضع بعد ذلك حيث شاء». قال: فلما سمعت هذا القول نبل فى عيني، و عظم فى قلبى، فقلت له: ممن المعصية؟ فقال: «ان المعصية لابد أن تكون من العبد، أو من ربه، أو منهما جميعا. فان كانت من الله (تعالى)، فهو أعدل و أنصف من أن يظلم عبده، أو يؤاخذه بما لم يفعله، و ان كانت منهما فهو شريكه. و القوى أولى بانصاف الضعيف. و ان كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، و اليه توجه النهى، و له حق الثواب و العقاب، و وجبت الجنة و النار». قال أبوحنيفة: فقلت: «ذرية بعضها من بعض» [١٥]. و هذه الاجابة فى شطرها الأول بدا بها الامام فى صباه فقيها ناطقا بالسنة، و صادعا بالافتاء، و فى شطرها الثانى بدا متكلمنا نزه البارى عن الظلم و القبح العقلى، و دحض نظرية الجبر و التفويض. و ليس عجيبا أن ينطلق الامام متهاديا بهذا المستوى الرفيع فى سن مبكرة. فللنشأة أثرها فى المعرفة و الادراك و التمييز، و للتربية الفذة ثمارها فى الوعى و الدراية المتنورة، و خصائص الامام - باعتباره معصوما - تبدو متكاملة فى ظل مواهبه و عصمته، و هى مزيج بين ملكته الراسخة التكوينية و بين عبقرياته المتعددة. و بعد هذا فحديثه حديث أبيه، و حديث أبيه حديث جده، و حديث جده حديث رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و رسول الله هو المشرع الأعظم، و كفى بذلك شرفا. [صفحة ١٨] و ليس جديدا القول ان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وريث النبوة الشرعى، و حامل الرسالة اماما مفترض الطاعة، و قد حمل بين جنبيه من عوامل الوراثة، و صدور

النص عليه، و مقومات النمو الفكرى ما يجعله حجة لله فى بلاده و على عباده. عاش الامام حياته فى الصبا و الشباب فى أكناف مدرسة أبيه، الامام جعفر الصادق (عليه السلام) زعيم مدرسة أهل البيت (صلى الله عليه و آله) فى موسوعيتها و موضوعيتها، و قد صقلت هذه المدرسة قابلياته و قدراته الخارقة، و هى تستوحى مصادرها من ذلك المخزون الثقافى الحافل بأصناف المعارف الانسانية التى سيرها الامام الصادق فى الخافقين، و أشرقت بأشعتها الملونة فى الفكر البشرى ففاق حد الطموح المرتقب الى الأفق المديد، فاذا أضفنا الى ذلك الاعداد الكريم الذى حظى به الامام، و المواهب الراقية التى انفرد بها، و الفضائل العامة التى اكتسبها، و ما أحياء من مآثر، خلصنا أنه خلاصة أطروحة أهل البيت فى التربية و التأصيل، و زبدة هذا الكون فى العبقرية و النبوغ. و لا أدل على هذا من تنويه أبيه به، و ارشاد الناس اليه، و وضعه موضع القيادة المرتقبة، ذلك كله مع وجود الامام الصادق (عليه السلام). فقد كانت الخطائية فى غلوها قد استشرى داؤها و بلاؤها فى عهد الامام الصادق (عليه السلام) على يد محمد بن مقلاص الأسدى المعروف بأبى الخطاب، و كان من أعنف الغلاة و أشدهم انحرافا، و قد تبرأ منه الأئمة مدى التاريخ، و حذروا شيعتهم، و فندوا آراءه الغالية جملة و تفصيلا. و قد التجأ عيسى الشلقانى الى الامام الصادق (عليه السلام) مستجيرا من هذه الظاهرة، طالبا القول الفصل فيها، فقال له الامام الصادق (عليه السلام): «يا عيسى: ما منعك أن تلقى ابنى - يعنى الامام الكاظم - فتسأله عن جميع ما تريد؟». [صفحة ١٩] فاتجه عيسى صوب الامام الكاظم، و كان صبيا فى المكتب - كما تقول الرواية - فلما رآه الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بدره بالقول: «يا عيسى؛ ان الله (تبارك و تعالى) أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبدا، و أخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلم يتحولوا عنها أبدا، و أعار قوما الايمان زمانا ثم سلبهم اياه، و ان أبأ الخطاب ممن أعير الايمان، ثم سلبه اياه». فقلت: «ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم» [١٦]. و نخلص من هذا الحديث الى أمور: الأول: أن الامام الصادق (عليه السلام) قد أراد الاشادة العملية بولده، و أمر شيعته بالتوجه نحوه، عالما بقدرته على الاجابة، ليوحي بذلك أنه الامام المفترض الطاعة. الثانى: أن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد بادر بالاجابة عما يختلج فى ضمير السائل قبل سؤاله، مما يشكل بعدا محوريا فى القول بالعلم اللدنى و الموهبى لدى الامام كما سلف لنا فيه القول ببحث سابق. الثالث: الاستعداد الفطرى لدى الامام موسى بن جعفر فى استقبال ما يطرح عليه من المعضلات و هو فى سن الصبا، مما يعنى تأثير النشأة المباركة فى مسلكيته العلمية النادرة. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «هكذا نشأ موسى بن جعفر فى هذه البيئة المباركة الناصعة النقاء، و فى تلك البيوت التى يعلو فيها ذكر الله أطراف الليل و آناء النهار، و تتردد فى جنباتها همسات التسييح و التهليل، و أصداء الابتهاال و الترتيل، و ينتشر منها على الناس فيوض العلم النافع، و دروس العمل الصالح، و أمثلة الخلق [صفحة ٢٠] الرفيع. و سرعان ما اكتملت خطوط رجولته الناطقة، و معالم شبابه الندى، و اتضحت للعيان صفاته الخلقية و مواهبه الخلقية و ملكاته الذاتية على نحو ممتاز لافت للنظر» [١٧]. حتى اذا انتقل الامام الصادق (عليه السلام) الى الرفيق الأعلى عام (١٤٨ هـ) استقل الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بالامامة، و نهى بأعباء القيادة، فكان بطلها المجرب، و عملاقها العظيم، و رائد التحرر الاجتماعى، و رافض الاستعباد الجماعى، و ناشر الفكر الانسانى. و كانت تطلعات الامام الرائدة تتقوم بعناصر حية تسعى الى اقامة المجتمع المتكامل بأساليب دفع ناهضة، تبعته من رقدة الجفاف و الانكماش و التخدير الى صحوة الوعى و الحرية، و تطل به على آفاق الأنشطة المتعددة فى الموقف و التفكير، و هو يتفجر بأنماط الحياة العاملة على الايمان بقضية الانسان، باعتباره نقطة الانطلاق فى الكون.

المنزلة العليا

لم يكن حب الامام الصادق (عليه السلام) لولده الامام الكاظم (عليه السلام) عاطفيا، و لا تقيمه لمكانته أبويا، و التأكيد عليه اعتباريا، و ان كانت العاطفة و الأبهة أمرا طبيعيا، و لكن الامام لا- يصدر عنهما فى النص أو الاشادة أو التقييم، و انما ينطلق فيما يفيض به من خلال التكليف الشرعى و الأداء الالهى ليس غير. و هذه الظاهرة فى السلوك لدى الامام الصادق ايدولوجية رسالية لا يحيد عنها فى قول أو عمل أو اقرار، فهو حينما يصرح باستيلاء حب ولده الكاظم عليه بقوله: [صفحة ٢١] «وددت أن ليس لى ولد غيره لثلا يشركه

في حبه أحد...» [١٨]. انما يعبر عن هدف آخر هو الاعلان بأنه الامام من بعده، و القائم بالأمر في الناس، و الحجّة على الخلائق، بدليل قوله لأوليائه: «قد وهب الله لى غلاما، و هو خير من برأ الله...» و قال لهم: «فدونكم، فوالله هو صاحبكم» [١٩]. و روى المفيد أن الامام الصادق دعا ولده الامام الكاظم، و قال لمن عنده: «عليكم بهذا بعدى، فهو و الله صاحبكم بعدى» [٢٠]. و هناك ما هو أكثر تفصيلا، و أقدم روايه، فعن على بن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يقول: سمعت أبى جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول لجماعة من خاصته و أصحابه: «استوصوا بابنى موسى (عليه السلام) خيرا، فانه أفضل ولدى، و من أخلف بعدى، و هو القائم مقامى، و الحجّة لله (تعالى) على كافّة خلقه من بعدى» [٢١]. و هذه الابانة من الامام الصادق بحق ولده الامام انما تعنى النص عليه، و اشهاد من يسمع على ذلك، و تبليغ أوليائه به، و قد جمع الامام الصادق ولده، و قال لهم: «هذا وصى الأوصياء، و عالم علم العلماء، و شهيد على الأموات و الأحياء» ثم قال: يا يزيد «ستكتب شهادتهم و يسألون» [٢٢]. و قول الامام للفيض بن المختار مشهور، و قد سأله عن الامام فأشار الى موسى بن جعفر و قال: «هذا صاحبكم فتمسك به» [٢٣]. [صفحة ٢٢] و لقد روى النص على امامته جماعة من أعيان أصحاب أبيه، منهم: أخوه على بن جعفر، و اسحاق بن جعفر، و المفضل بن عمر الجعفى، و معاذ بن كثير، و عبدالرحمن بن الحجاج، و الفيض بن المختار، و يعقوب السراج، و سليمان بن خالد، و صفوان بن مهران الجمال، و حمران بن أعين، و أبوبصير، و داود الرقى، و يزيد بن سليط، و يونس بن ظبيان [٢٤]. و هذا التواتر مما أجمع عليه الامامية، و نضيف الى هؤلاء: منصور بن حازم، و ابراهيم الكرخى، و يزيد بن أسباط، و سلمة بن محمد [٢٥] و سوى هؤلاء من الأعلام، مما استقرت عليه الامامية. و كان المجلسى قد أوفى بأكثرها [٢٦]. و هى متوافرة فى كل من عيون أخبار الرضا، و الكافى، و بصائر الدرجات، و اعلام الورى، و كمال الدين، و قرب الأسناد، و ارشاد المفيد، و الاختصاص، و غيبة النعمانى، و المناقب، و رجال الكشى، و كشف الغمّة، و الفصول المهمة، و سواها من كتب السير و التواريخ. و كان ترشيح الامام له مدعاة اعتزاز أتباع أهل البيت من العلماء و الفقهاء و المتكلمين و شرائع المجتمع كافّة، لأنه صادر عن صادق القول، و كان جماع قوله فى حق ولده على وجه الاجمال ما تحدث به الصادق (عليه السلام) الى عيسى بن شلقان: «يا عيسى ان ابنى هذا الذى رأيت، لو سألتة عما بين دفتى المصحف لأجابك فيه بعلم، ثم أخرجه ذلك اليوم بكتاب» [٢٧]. [صفحة ٢٣] و مع كل هذا فقد اختلف سواد الناس بعد الامام الصادق (عليه السلام)، و رجع قسم منهم الى ولده عبدالله دون دليل نصى أو استقرائى أو شرعى. و قد اختبر جماعة من أصحاب الصادق (عليه السلام) فيهم هشام بن سالم، و محمد بن النعمان حال عبدالله فلم يجدوه شيئا، طبق المواصفات الدقيقة للامام، فقالوا فى بعض أزقة المدينة بعد خيبتهم: الى أين نتوجه؟ الى المرجئة؟ الى القدريّة؟ الى المعتزلة؟ الى الزيدية؟ و اذا بمن يشير على هشام باتباعه، فيوقفه عند منزل الامام الكاظم (عليه السلام)، و يشير عليه بالدخول، فيدخل، و يقول: «فدخلت فاذا أبوالحسن موسى (عليه السلام)، فقال لى ابتداء: الى الى، لا الى المرجئة و لا الى القدريّة و لا الى المعتزلة و لا الى الزيدية، و لا الى الخوارج. قلت: جعلت فداك؟ مضى أبوك؟ قال: نعم؛ قلت: مضى موتا؟ قال نعم؛ فقلت: فمن لنا بعده؟ قال: ان شاء الله أن يهديك هداك. قلت: جعلت فداك، ان أخاك عبدالله يزعم أنه الامام بعد أبيه!! فقال: عبدالله يريد أن لا يعبد الله. قلت: جعلت فداك، فمن لنا من بعده؟ فقال: ان شاء الله أن يهديك هداك. قلت: جعلت فداك، فأنت هو؟ قال: لا أقول ذلك. فقلت فى نفسى: انى لم أصب طريق المسألة. ثم قلت له: جعلت فداك؛ أعليك امام؟ قال: لا. قال هشام: فدخلنى شىء لا يعلمه الا الله (تعالى) اعظاما له و هيبه. ثم قلت له: جعلت فداك؛ أسألك كما كنت أسأل أباك؟ قال: سل تخبر، و لا تدع، فان أذعت فهو الذبح. [صفحة ٢٤] قال هشام: فسألتة، فاذا هو بحر لا ينزف. قلت: جعلت فداك؟ شيعه أبيك ضلال، فألقى اليهم هذا الأمر؟ و أدعوهم اليك؟ فقد أخذت على الكتمان. قال (عليه السلام): من آنست منه رشدا، فألق اليه، و خذ عليه الكتمان، فان أذاع فهو الذبح، و أشار بيده الى حلقة. قال هشام: فخرجت من عنده فلقيت أباجعفر الأحول. فقال لى: ما وراءك؟ قلت: الهدى، و حدثه بالقصة. قال: ثم لقينا زرارة و أبابصير، فدخلنا عليه، و سمعنا كلامه، و سايله، و قطعنا عليه، ثم لقينا الناس أفواجا، فكل من دخل عليه قطع بالامامة...» [٢٨]. و كان لا مناص للمسيرة الاسلامية - كما ألزم قائدنا الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) - من جواد امام مفترض الطاعة فى كل عصر

و زمان حتى قيام الساعة، يكون هو الحجة على الخلق، و يقتدى الناس به و يهتدون بهديه، و يستضيئون بنور علمه، و يتقربون الى الله بمعرفته المطلقة. و تلفت المسلمون الملتزمون بأحكام دينهم - يمينا و يسارا - بحثا عن الامام الجامع الشرائط الشرعية المقررة فى مواصفات الامامة و ضوابطها العامة و الخاصة، فلم يجدوا من تجتمع فيه تلك الضوابط و المواصفات الا الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بل لم يكن من هو أهل لها غيره على وجه الحصر و التعيين...» [٢٩]. و هذا الحصر و ذلك التعيين قد نبه اليه الامام الصادق (عليه السلام) كما رأيت، فهو الحجة على أهل الأرض، بما انضمت عليه جوانحه من مآثر و معارف أشار اليها الامام الصادق بقوله: [صفحة ٢٥] «فيه علم الحكم، و الفهم، و السخاء، و المعرفة بما يحتاج الناس اليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و حسن الجوار، و هو باب من أبواب الله (عزوجل)...» [٣٠]. و هذ جماع ما عليه اشتراط الامام من سمات و مميزات. و قد أجمع أصحاب السنن و الصحاح على افتراض وجود امام باللازم من هذا الحديث الشريف: «من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية». و قد قامت الدلائل على امامة موسى بن جعفر من مصادرها كافة، و لم تكن مقتصرة على أولياء أهل البيت، و انما نص عليه المعتدلون كافة. فقد روى القندوزى - على سبيل المثال - أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد نص فى تسميته للأئمة، و فيهم موسى بن جعفر، و ما نص عليه من الأوصياء من بعده، و منهم موسى بن جعفر الذى يدعى بالكاظم [٣١]. هذا بالاضافة الى عشرات الأحاديث المستفيضة فى النصوص المتوافرة على تعيين أئمة أهل البيت حصرا، و ما سارت به الركبان من بشارته بذلك، و منها ما أخرجه الحافظ أبونعيم بسنده عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): «من سره أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنه عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدى، و ليوال وليه، و ليقنت بالأئمة من بعدى، فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، و رزقوا فهمما و علما، و ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، للقاطعين صلتى، لا أنالهم الله شفاعتي» [٣٢]. [صفحة ٢٦] و هذه اللمحات العابرة تكفى للاستدلال على ما نحن بصدد. أما التوسع فى موضوع الامامة كلاميا، و موقعها من النظام الاسلامي، فقد تكفلت به بحوث سابقة أوردنا فيها رأى المسلمين [٣٣]. أما الامام موسى بن جعفر نفسه فقد قال لعلى بن صالح: «ان الله لا يخلى أرضه من حجة طرفه عين أبدا، اما باطن و اما ظاهر، أنا حجة الله و حجته الباطنة... أنا المؤدى الناطق عن الرسول... أنا موسى بن جعفر» [٣٤]. و مهما يكن من أمر، فقد تسلم الامام قيادة الأمة، و هى قدره الالهى من الله (تعالى)، فى ظروف سياسية غائمة، و حياة عقلية مضطربة، تمثل القلب السياسى و العقائدى المرير، فقد انقسمت الأمة على نفسها فثويا و مذهبيا نتيجة التخطيط السياسى الحاكم، و انقسم أتباع أهل البيت أنفسهم، فكان الأمر يدور بين الافراط و التفريط. و انقسم الحكم أنفسهم فيما بينهم، فبين قائل بابادة الأئمة و استئصالهم علنا، و بين من مهد لذلك بالسجن و الاستدعاء، و بين من فرض حدود الرقابة الصارمة، فكمت الأفواه، و خمدت الأنفاس، الا أن الثورات الدموية من هنا و هناك بددت مناخ الصمت حيناً، و استبدلته بققعة اللجم و احتكاك الأسنة حيناً آخر، فتتج عن هذا و ذاك ضبط و شماس، أدى الى الانكماش الاجتماعى من جهة، و الى الانهيار النفسى من جهة أخرى. و عاش الامام بين ذلك فى رقابة و رصد و اعتقال، و لكن صفحته هى البيضاء فى نظر التاريخ، و قد انجلت عن واقع مؤثر فى الأحداث، فرغم [صفحة ٢٧] المنظور الضيق فى التفكير و الارادة و التنفيذ لدى الطبقة الحاكمة، نجد الامام منفتحاً فى نظره الشمولية الى الأمة، و الأمة فى مناخ مرير لا تحسد عليه فى البؤس و الحزن و الشقاء، حتى ليغيب الأمل المرتقب عن الميدان، و اذا بالامام يتقدم فى خطواته المضادة للاتجاه السلطوى، فينقذ الأمة من التدهور و الضياع، و يرتفع بها تدريجيا الى مستوى الحياة المليئة بالأمل و التفاؤل، فيقضى على التيار التشاؤمى العارم لدى كثير من الأحاسيس و العواطف المغالية بالانكماش و الكآبة، و هما داء قد استشرى فى عصر الامام حتى عاد داء العصر نتيجة افرازات مغرقة فى الحيف و العسف و الاستبداد، فأدى الى التمزق الداخلى فى صفوف الأمة، فتداركه الامام بقدراته الفائقة على التغيير، فأعاد للأمة الاستقرار النفسى المفقود باذكائه الجذوة الكامنة فى قرارة النفس الانسانية، فأفاق مستيقظة على هدير هذا الانبعاث الجديد الذى انتشلها من ذلك المستنقع الغارق بالتشاؤم و الخمول و الحزن السرمدى.

كان اللمعان الفكرى المتألق فى ذهنية الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) يضى بأشعته الغامرة فى نقلة للانسانية عبر مواصفات مثالية فى السلوك و الأخلاق و الحياة و الاجتماع، و لم تكن أفكار الامام فى هذا المنحنى الفسيح غارقة فى دنيا من المآثر الخارقة على سبيل التحدى، و انما هى امتداد موضوعى للعقل المفكر الواهب، و ثمرة فعلية للحس العملى الذى نهده الفكر الامامى من عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى قيادة موسى بن جعفر نفسه. و كان هذا التخطيط المنهجى فى ذلك المناخ المتفجر الرهيب، قد أعطى نتائج مدهشة فى الثبات الذى كاد أن يتلاشى و يذهب ضوءه الخافت من الأعماق، و كان هذا الثبات مرتكزا فى الاتكاء على قاعدة صلبة تعنى بعودة [صفحة ٢٨] الاستقرار النفسى بعد أن منى بالقلق و التمزق و الانفراط، و بذلك تحول المجتمع - رغم كل المعوقات - الى صورته الجديدة فى الاعتراف بالشخصية بعد فقدان الأمل بالاصلاح و التوازن. لقد كان الشعب المسلم يعانى من الغرباء القاتلة فى ظل الحكم العباسى الجاثم بثقله على النفوس، و قد يتتابه شعور عارم رقيق أو كثيف بالكآبة المطبقة لما يشاهده من التدارك السفلى فى القيم و الاعتبار و التعامل العام، و هى صفحات تحكى عن اللون القاتم المميز للعصر بما أبقتة لنا الوثائق المعتمدة، و ما أملتة النصوص التاريخية المفعملة بالمآسى كصورة حقيقية تتحدث عن انحلال و انحطاط تلك الحقبة من الزمن الصعب، حتى لم يعد مسلم متحفز جاد ليتذوق طعم الحياة. و بالرغم من أن التاريخ - و هو يكتب بلغة رسمية - قد ناصب العداء لأئمة أهل البيت عن قصد و عمد، لأنه بسبيل من ارضاء شهوة خلفاء الجور و ولاء السوء الذين يضطربون اضطرابا عنيفا لأية بادرة تؤكد التمازج ذلك الأفق الرفيع فى حياة أئمة أهل البيت، الا أن النصاعة لهذه الحياة فى السيرة و السمات و العطاء قد أرغمت التاريخ على الاقرار بالنتائج المذهلة التى حققتها فى الميدان الاجتماعى حين فضحت أساليب الزيف و الدجل السياسى، و حين عصفت بتلك الكيانات الهزيلة و كشفت الأقنعة عن تلك الممارسات اللانسانية، و ظهر من بين هذين ذلك الوجه المشرق للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) و هو يتزعم تلك المهمة الصعبة، فى حين تمتع مصادر الهوس الدينى من التفوه باسمه، فقد جذت الألسن عن الحديث حوله أو الاشارة اليه، فذلك من المحظور الذى لا- يباح، و رغم هذه الضبابية و ذلك التعتيم، رأينا الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) يمثل الألق الهادى لسنن الطريق، فكان النجم المتألق شعاعا و نورا و قد عصفت بالشبهات و الانحرافات، فى صراع مرير. [صفحة ٢٩] و كانت ألسنة الخطف هى أقلام الحق فيما وصف به الامام، و كان التاريخ مع تجهمة العباس للامام قد أفلت منه كثير من الاعتراف و الاقرار بالواقع المشهود، و تلك سمة خاصة بأئمة أهل البيت، فهم و ان كتم التاريخ جل فضائلهم و مآثرهم، الا أنه ما استطاع أن يلوح بمنقصة واحدة فى أى معلم من معالم أى امام، و ما ذاك الا لقرب الصلة مع الله (تعالى)، دون الاغترار بملحظ الرضا و الغضب فى المشاعر القابلة لخيانة الذمم و اتباع العاطفة أو المصلحة فى كتابة التاريخ. و تأسيسا على ما تقدم، فقد وجدنا العزل السياسى للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) متقاطعا مع الأضواء المتلائمة ليقظة التاريخ فى التحدث عنه، و هذا ما يفسر تلك الاشارات الرائعة عن شخصية الامام فى سجل الخالدين، مما يعنى أن التخطيط المتواصل لاقصاء أهل البيت سياسيا، لم يوفق لاقصائهم فكرا، و أن البعد عن السلطة و الحكم لم ينسحب طردا ليعزلهم عن القيادة و التشريع، و أن السلطان الدنيوى لم يستطع ان يطوح بالسلطان الدينى المائل. و لقد كان ما منح به التاريخ الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) من السمات فى المستوى الفكرى و العلمى و العقلى و المعرفى و النفسى يفوق فى مفرداته ما وصف به أساطين الاسلام وقادة الأمة، و معنى هذا أن الامام قد اقتطع هذا المنح اقتطاعا عن ذمة التاريخ بين كل الدواعى القاضية باقصاء شبح الامام عن الأفق سياسيا و مذهبيا. لقد قال التاريخ بملء فيه أن الامام (عليه السلام): «كان أجل الناس شأنا، و أعلاهم فى الدين مكانا، و أسخاهم بنانا، و أفصحهم لسانا، و أشجعهم جنانا، قد خص بشرف الولاية، و حاز ارث النبوة، و بوأ محل الخلافة، سليل النبوة، و عقيد الخلافة» [٣٥]. [صفحة ٣٠] و النظرة التحليلية لهذا النص تقضى باختفاء الأجواء الضبابية المحيطة بتاريخ الامام، فهى تتزعج الصورة الحقيقية للامام انتزاعا، و هى تعنى بالمنظور الصادق فى الأداء و التعبير. و ليس بالامكان التفرغ لتدوين ما كتبه التاريخ عن الامام بهذا الملحظ، فهو كثير جدا، و سبق اليه من تناول الموضوع، و لكنى

أقف منه موقفا وسطا، لا أتغافله ولا أستوعبه، وإنما هو شيء بين ذلك. فقد قال ابن الصباغ أنه: «الامام الكبير القدر، والأوحد الحجة الحبر» [٣٦] وقال أيضا: «و أما مناقبه و كراماته الظاهرة، و فضائله و صفاته الباهرة، فتشهد له بأنه: افترع قبة الشرف و علاها، و سما الى أوج المزايا فبلغ أعلاها، و ذلت له كواهل السيادة فامتطأها، و حكم في غنائم المجد فاختر صفاياها، فاصطفاها» [٣٧]. و قال أبو حاتم - واصفا الامام - بأنه: «ثقة أمين صدوق» [٣٨] و أضاف ابن تغرى بردى أنه: «كان سيّدا، عالما، فاضلا، سنيا، جوادا، ممدحا، مجاب الدعوة» [٣٩]. و قال ابن تيمية: «موسى بن جعفر مشهور بالعبادة و النسك» [٤٠]. و قال الشيخ المفيد: «و كان أبو الحسن موسى (عليه السلام) أعبد أهل زمانه، و أفقههم، و أسخاهم كفا، و أكرمهم نفسا» [٤١]. و وصفه ابن طلحة الشافعي بأنه: «الامام الكبير القدر العظيم الشأن، المشهور بالكرامات» [٤٢] أما الذهبي فقد أجمل القول - تارة - بأنه «الامام [صفحة ٣١] القدوة» [٤٣] و فصل القول شيئا ما بقوله: «كان موسى بن جعفر من أجواد الحكماء، و من العباد الأتقياء، و له مشهد معروف ببغداد» [٤٤]. و هنالك عشرات الشهادات في حق الامام (عليه السلام)، سردها الأستاذ باقر شريف القرشي، و تطلب من مظانها للباحثين عن المزيد [٤٥]. و التاريخ حينما يصور هذه اللقطات، فانما ينزع الى الموضوعية المحدودة بأقلام هؤلاء العلماء، و الا فضائله أسمى رفعة، و أكثر عائدية، و أجل منزلة مما دونه و أفادوه. و الذى بهرنى حقا أن أجد هارون الرشيد يغتصب نفسه اغتصابا، فيدلى برأيه فى الامام - مضطرا - لولده المأمون، و قد دهش المأمون باحترام الرشيد للامام و تقديمه و تعظيمه، قال هارون: «يا بنى: هذا امام الناس و حجة الله على خلقه، و خليفته فى عبادته، أنا امام الجماعة فى الظاهر و الغلبة و القهر، و انه و الله لأحق بمقام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) منى و من الخلق جميعا، و الله لو نازعنى فى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناه، فان الملك عقيم... يا بنى: هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر، ان أردت العلم الصحيح تجده عند هذا» [٤٦]. و لئن ذكر القدامى جزءا يسيرا من ملامح الامام القياضية و المرجعية. فقد أورد المحدثون شيئا من ذلك. و قد أورده أغلبهم اقتضابا، و مهما يكن من أمر، فان ما ذكره القدامى و المحدثون يعتبر تبلورا محدودا التصق بمرآة التاريخ فحكى توهجا لامعا فى سيرة الامام و آثاره. [صفحة ٣٢] قال الدكتور زكى مبارك من رواد النهضة الحديثة فى مصر: «كان موسى بن جعفر سيّدا من سادات بنى هاشم، و اماما مقدما فى العلم و الدين» [٤٧]. و قال الأستاذ خير الدين الزركلى: «موسى بن جعفر الصادق بن الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الامامية، كان من سادات بنى هاشم، و من أعبد أهل زمانه، و أحد كبار العلماء الأجواد» [٤٨]. و قال الدكتور عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية العراقية الأسبق: «الامام الكاظم... كان ذا تأريخ حافل بالزهد و الورع و الكرم و دماثة الخلق، و قد لقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسىء اليه» [٤٩]. و قال العلامة محمد أمين السويدي البغدادي: «موسى الكاظم هو الامام الكبير القدر، الكثير الخير، كان يقوم ليله و يصوم نهاره، و سمى الكاظم لكثرة تجاوزه عن المعتدين» [٥٠]. و قال سيدنا الأستاذ السيد أبو القاسم الموسوى الخوئي: «موسى بن جعفر بن محمد: هو الامام السابع المنصوص على امامته من قبل أبيه و أجداده الطاهرين، سلام الله عليهم أجمعين» [٥١]. و قال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي: «الامام موسى الكاظم: روى عنه العلماء فى فنون العلم من علم الدين و غيره، حاملا بطون الدفاتر، و ألفوا فى ذلك المؤلفات الكثيرة المروية عنه بالأسانيد المتصلة: و كان يعرف بين الرواة بالعالم» [٥٢]. [صفحة ٣٣] و قال السيد هاشم معروف الحسنى: «كان أبو الحسن موسى بن جعفر يتابع رسالته آباءه فى نشر العلم و الحديث و الأخلاق و الدفاع عن الاسلام، و روى عنه أصحابه آلاف الأحاديث فى مختلف المواضيع... و قد روى عنه المحدثون فى مختلف أبواب الفقه و غيره من المواضيع الاسلامية أكثر مما روه عن غيره ممن جاء بعده من أئمة أهل البيت» [٥٣]. و قال الشيخ باقر شريف القرشي: «الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فذ من أفذاذ العقل الانسانى، و من كبار أئمة المسلمين، و أحد شموع ذلك الثقل الأكبر الذى أضاء الحياة الفكرية فى الاسلام» [٥٤]. و قال الشيخ محمد حسن آل ياسين: «نشأ الامام موسى بن جعفر فى حجر هذا الأب العظيم (الامام الصادق) متفيا ظلال شجرة النبوة و دوحه الامامة، حيث اختار الله موضع الرسالة و مختلف الملائكة و مهبط الوحى، و حيث استقر ملتقى رافدى السماء و الأرض، و اجتمع الثقلان اللذان لن يفترقا حتى يردا الحوض: كتاب الله و عتره الرسول. فكانت نشأة متميزة فذة لا يتسنى مثلها الا لنظرائه من ذرية النبيين

و سلاله المرسلين، فاذا هو منذ صباه: بحر موج بالعلم، دفاق بالمعرفة، زخار بفقه الكتاب و حقائق الدين و أسرار الشريعة» [٥٥]. و بعد هذه الاضمامه من الأقوال العطرة الندية، أحسبني في غنى عن القول: ان الامام موسى بن جعفر، أحد عمالقة الفكر الانساني، و النموذج الأرقى [صفحة ٣٤] لحضارة العقل البشري، شأنه بذلك شأن الأئمة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

من خصائص الامام

المنظور المشترك في خصائص الأئمة

هنالك ملحظ جدير بالأهمية أن الأئمة (عليهم السلام) يشتركون بمميزات فريدة، فلا يعنى التأكيد على خصائص امام منهم، نفى تلك الخصائص عن الآخرين، لأنهم يصدر عن نبع واحد، و يصبون في روافد متقاربة المصادر، و كلها تتجاذب أطرافها من ذلك المورد الثر الذي أسال فيضه اللامتناهى جدهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله). الا أن لكل امام سمات بارزة تلوح و كأنها من مآثرة بخاصة. و ما ذاك الا نتيجة الظروف الموضوعية لشتى الأحداث التي يحياها الامام بكل تداعياتها و ملاساتها، فيتجه الامام مبادرا للرد العملي على الظواهر السلبية بظواهر ايجابية، و على التناقضات بالقصد و الاعتدال. فحينما نرى الغضب و الطيش و الانتقام ضاربا أطنابه في المجتمع المسلم من قبل الطغاة، نجد الامام يقابل ذلك بالحلم و الأناة و رحابة الصدر، و حينما تكون أموال المسلمين مبذر بالعبث و الاسراف، و موارد الحياة مصادرة لترفه الحاكمين و الولاء، نجد الامام مشاركا للشعب المضطهد في رزقه و عيشه، فيناهض ذلك الاحتكار و الاختلاس بظاهرة الكرم و السخاء تلبية للضروريات الملحة في الاغاثة و الانقاذ، و حينما تكون أوضاع الجهل و الضياع و التسبب متفشية في المناخ الاجتماعي، نجد الامام مشمرا عن ساعديه في نشر العلم، و اذاعة المعارف، و بث الدعاة و المبلغين للقضاء على مظاهر الأمية و حياة التخلف. [صفحة ٣٥] و هكذا الأمر في بقية الظواهر المتجددة على الشعوب المغلوبة و هي تساس بالارهاب و التسلط الغاشم، فنجد الامام - أى امام لا على التعيين - ينهد بمسؤوليته القيادية لصد الاعتداء المتلاحق الأثيم على الحريات و الحرمان و الذمم؛ و من هنا تبرز خصائص كل امام قائمة بذاتها، تعبيرا عن الحالة المضادة التي يعنى بمقاومتها، و الا فالأئمة (عليهم السلام) في ميزان واحد راجح بالعطاء و البر و التقوى و العلم و المجاهدة و النضال، و ينبغي لفت النظر بجديته معمقة الى أن الظرف الاجتماعي في كثير من الأحيان قد يملئ التكليف الشرعي على الامام، فيؤدى رسالته تبعا لمسؤوليته، على الوجه الأتم. و من هنا رأينا أمير المؤمنين عليا (عليه السلام): محاربا و مجاهدا، و زاهدا و معرضا عن السلطان، حتى جاءه الأمر يسعى اليه دون العمل من أجله، فنهض بمسؤوليته الشرعية لا تأخذه في الله لومة لائم، فكان النموذج الأرقى للخليفة الحاكم بأمر الله (تعالى). بينما نجد الامام الحسن بن علي (عليه السلام) صابرا محتسبا مترصدا، لأنه رأى الغدر و الخيانة فتفك بجيشه غير المقاتل، و نظر الى الذمم و هي تشتري، و الى الضمائر و هي تباع، فأعرض عن الحكم لتفاقم هذه الظواهر المعقدة، و قد شكلت خطرا متفاقما، كاد أن يعصف بكيان الاسلام، فبادر الى الصلح المشروط الذي ما وفى به عدوه على رؤوس الأشهاد، و بذلك سجل الامام الحسن نصرا فعليا على معاوية، بأنه يغدر و يفجر، و بأن من كان كذلك ليس أهلا للامامة الشرعية. في حين نلاحظ الامام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليه السلام) يتجه الى الكفاح المسلح حينما رأى مسؤوليته تقتضى هذا الموقف. فأعلنها ثورة عارمة ضد الظلم و الاستبداد و الانحراف العقائدي، فضحى بنفسه و آله و صحابته، فكان مضرب المثل في الاباء و الشجعان و الفداء و التضحية، و ذهب شهيد عظمته على مذبح الحرية و الوعي الديني، و هو و ان لم يحقق نصرا فعليا في معركة الطف، و لكنه حقق [صفحة ٣٦] نصرا مستقبليا قوض فيه أركان الحكم الأموي، و أبقي جذوة النضال الديني متقدة مع الأجيال، و ظل رمزا شاخصا لكل عمل ثوري في تأريخ الاسلام. بينما نجد ولده الامام زين العابدين (عليه السلام) و قد عاش مأساة الطف بكل مشاهداتها الدامية، كن قد ادرع الصبر

لباسا، و أحيا ثبات الأبطال قائدا، و جدد عهد الرسول الأعظم داعيا، و أعلن حقوق الانسان مشرعا، فعاد ما أثر عنه يفوق مقررات الأمم المتحدة، و منظمات حقوق الانسان الدولية. و كان الامام محمد الباقر (عليه السلام) مؤسسا لمدرسة أهل البيت في فروعها العلمية المتعددة، و مجددا للحضارة الاسلامية على رأس القرن الثاني من الهجرة، حينما كان الجهل مسيطرا على الحياة الاجتماعية، و حينما كانت الدعوات منحرفة عن النهج السوي، و نزغات النزق و اللهو متحكممة في ضمير الجيل الناشئ، فكانت ظاهرة العلم الرفيع الهادف يترجمها الامام الباقر (عليه السلام)، مبتعدا عن مظاهر الزيف المعقدة في الجهل و الغرور و الدجل السياسي، متحفزا لخلق جيل متكافأ فرصه الثقافية بما يتناسب مع حمل الاسلام نظاما و عقيدة و حياة، فكان له ذلك. و حينما تسلم الامام الصادق (عليه السلام) قيادة الأمة، بعد وفاة أبيه، عام (١١٤ هـ)، اتجه بالركب الحضاري - و قد رسخت أصوله - الى مبدأ جديد من القيم العليا، في حين تتصارع الأحزاب و رجال المؤامرات في الساحة على استصفاء الملك و السلطان، الا أن تجربة الامام الصادق في السياسة و الحياة و الاجتماع، حددت له في ضوء مسؤوليته الرسالية التكليف الشرعي في بناء صرح الاسلام على أسس رصينة لدى تنازع الأهواء، و تعدد النحل و المذاهب. أما حين يلتصق في الأفق بريق السلاح، و يلتهب المناخ بالثورة اثر الثورة، و يقرع الحديد بالحديد، و تسفك الدماء بين أبناء الدين الواحد دون جدوى [صفحة ٣٧] و دون أثر، و اذا بورث النبوة يحتفظ بالبقية الباقية من حملة الاسلام، و يشمر ساعديه لاعادة الدين غضا طريا نديا في مبادئه، فتلتف حوله الأطراف كافة، كما يلتف الورق حول الشجرة النضرة، فكان زعيم الجماعة الاسلامية علما و عملا و كياسة، كما كان زعيم مدرسة أهل البيت اصالة و موضوعية و ازدهارا. حتى اذا تسلم منصب الامامة سيدنا و مولانا الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عند وفاة أبيه الصادق عام (١٤٨ هـ) و هو في العشرينات من العمر في ظل حكم اربابي صارم، و سيف دموي قاطع عالج الأمر بروية فائقة، و بظواهر مضادة لتلك الممارسات اللانسانية، فضاقت به السلطات ذرعا، و ارتهن مغيبا بين أطباق السجون و أقيية المعتقلات، و لم يمنعه ذلك من ارسال أشعته النافذة الى القلوب من خلال تلك الظواهر التي ستحدث عنها اجمالا.

الورع و التقوى في ظاهرة ايجابية

و هي ميزة انفرد بها أئمة أهل البيت بأدق معانيها الهادئة، و تجلت بنضائد تلك السيرة الزكية لأولئك الميامين الأبرار، و الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) أحد النماذج الفضلى لهذا المنهج الدقيق، و الورع لديه ظاهرة ايجابية و ليست انهزامية، و التقوى لديه حقيقة اثتلافية و ليست سلبية، و التعامل مع الورع و التقوى منظور متطور لا يوازيه ذلك التهرب من الواقع، و لا التخفف من أعباء الحياة، و هما يمثلان لدى الامام حقيقة تاريخية في الاجتماع و الاندماج مع الناس، و لأنهما مفهومان من مفاهيم الاسلام فهما يتأطران بالصلاح و الاصلاح و رباطة الجأش، و ينزعان الى الصلابة و الايثار و الايمان المطلق، نعم هما مرتبطان بذلك الوثاق النزيه الطاهر: خشية الله في السر و العلن، و الخوف منه في الشدة و الرخاء، و هما مظهران للعبودية الخالصة المطمئنة، [صفحة ٣٨] و من هذا الخلال وصف الامام بأنه أعبد أهل زمانه و أفقههم، و كان يصلى نوافل الليل فيصلها بصلاة الصبح، فاذا طلعت الشمس خر ساجدا لله، و يقول في دعائه: «اللهم اني أسألك الراحة عند الموت، و العفو عند الحساب». و من دعائه: «عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك». و كان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع، و كان أوصل الناس لأهله و رحمه [٥٦]. و كان يجازي المسيء باحسانه اليه، و يقابل الجاني بعفوه عنه [٥٧] و هذه ظواهر ايمانية ايجابية تمثل الورع و التقوى في صور متعددة، و كان عمله يكشف عن هذه الحقيقة في ملامح من رياضة السلوك، تحتضن الزهد و التقشف و الدربة كما حدث أخوه علي بن جعفر، قال: «خرجنا مع أخي موسى بن جعفر (عليه السلام) في أربع عمر يمشى فيها الى مكة بعياله و أهله، واحدة منهم مشى فيها ستة و عشرين يوما!! و أخرى خمسة و عشرين يوما، و أخرى أربعة و عشرين يوما!! و أخرى أحد عشر يوما» [٥٨]. و في هذا المسلك توطين للنفس على الشدائد، و رغبة ملحة في تحصيل منازل الأولياء، و هو يسير على قدميه في طريقه الى حرم الله تعالى. أما اذ لحظت حياته الخاصة، فكان يقنع

بالجش من الطعام و الخشن من الثياب، و الاقلال من الأكل، و الانشغال بالسنن و الفروض. و كان مع هذا العيش البسيط يلبي نداء الاحتياج، و يقف مع الناس فى الفرح و الحزن، و يشاطرهم الأسى فى البؤس و الفقر، و يدفع بهم شوطا كبيرا [صفحہ ٣٩] نحو الألفه و التوادد و حسن العشرة، و هو فيما بينهم كأحدهم فى اصلاح ذات البين، و قضاء الحقوق، و حل الاشكال الاجتماعى.

حلم الامام و كظمه للغيط

و هذه مميّزة أخرى اتسم بها الامام، و هى مرتبة فى ترويض النفس لا ينالها الا ذو حظ عظيم، و قد كان حظ الامام منها الأوفر، ألا و هى الحلم و كظم الغيظ، و ليس هذا شيئا جديدا على الامام فقد عرف به فى أدوار حياته كلها، حتى أصبح ذلك شعارا لاصقا به، و لقبا يتسابق مع اسمه الشريف فى العلمية عليه، حتى قال ابن أبى الحديد عنه «موسى بن جعفر بن محمد، هو العبد الصالح، جمع بين الفقه و الدين و النسك و الحلم و الصبر» [٥٩]. و للامام فى المشهد شواهد و أمثال و أحداث، ذكرها التأريخ فى طياته، حتى عرف عنه أنه يحسن لمن يسىء اليه، فقد ذكر السيد الأمين عن الخطيب البغدادي: «أن الامام موسى بن جعفر كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث اليه بصره فيها ألف دينار» [٦٠]. و حديث صراره فى هذا الملحظ متواترة، حتى روى أبو الفرج بسنده عن يحيى بن الحسن، قال: (كان موسى بن جعفر اذا بلغه عن الرجل ما يكره، بعث اليه بصره دنانير، و كانت صراره ما بين الثلاثمائة الى المائتين الى المائة دينار، و كانت صرار موسى مثلا) [٦١]. و الامام (عليه السلام) يكظم غيظه عن أعدائه حتى يعودوا أولياءه، و عن مبغضيه حتى يكونوا أحياءه، و له فى ذلك أخبار حسان. [صفحہ ٤٠] قال الشيخ المفيد بسنده، و كذلك الخطيب البغدادي عن جده عن أصحابه: «أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب (رض) كان بالمدينة يؤذى أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، و يسبه اذا رآه، و يشتم عليا (عليه السلام)، فقال للامام بعض جلسائه: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشد النهى، و زجرهم أشد الزجر، و سأل عن العمرى، فذكر له أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة. فركب اليه فى مزرعته فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره... و نزل فجلس عنده، و ضاحكه و قال له: كم غرمت فى زرعك هذا؟ قال: مائة دينار. قال الامام: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: أنا لا أعلم الغيب. قال الامام: انما قلت لك كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئنى مائتا دينار. فأعطاه الامام ثلاثمائة دينار، و قال: هذا زرعك على حاله، فقام العمرى فقبل رأسه، و سأل أن يصفح عن فارطه، فقبس اليه أبو الحسن (عليه السلام) و انصرف. و ذهب الامام الكاظم الى المسجد فوجد العمرى جالسا، فلما نظر الى الامام، قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته». فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصتك؟ قد كنت تقول خلاف هذا، قال: فخاصمهم و شاتمهم، و جعل يدعو لأبى الحسن موسى كلما دخل و خرج» [٦٢]. [صفحہ ٤١] و من برامج حلم الامام و كظمه للغيط: مداراته للناس، و ذلك ما يحتاج الى رحابة صدر، وسعة أفق، و انفتاح نفس، و له فى ذلك أمثلة نابضة، و لعل من أطرفها: «أنه اجتاز بشر ذمّه و فيهم ابن هياج فأمر بعض اتباعه أن يتعلّق بلبّام بغلة الامام و يدعيها، فمضى الرجل الى الأمام، و تعلّق بلبّام بغلته و ادعاها، فعرف الامام غايته، فنزل عن بغلته، و أعطاها له [٦٣]. و من أمثلة حلمه الرائعة ضمّ الحلم الى الكرم، و التجاوز عن أصحاب السيئات، و قد روى الكليني عن معتب قال: «كان أبو الحسن موسى (عليه السلام) فى حائط له يصرم، فنظرت الى غلام له قد أخذ كاره من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته فأخذه و ذهبت به اليه، فقلت: جعلت فداك؟ انى وجدت هذا و هذه الكاره، فقال للغلام: فلان، قال: لييك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدى، قال: فتعري؟ قال: لا يا سيدى، قال: فلأى شىء أخذت هذه؟ قال: اشتيت ذلك. قال: اذهب فهى لك، و قال: خلوا عنه» [٦٤]. و قد يكون الحلم و كرم الأخلاق عسيرا فى اللحظات الحاسمة، و قد يخرج المرء عن طوره فى الاتزان عند الحرج، و لكن الامام فى مثل هذا الموقع كان سيد الموقف، فقد روى ابن أبى الحديد المعتزلى: «أن عبدا لموسى بن جعفر (عليه السلام) قدم له صحفة فيها طعام حار، فعجل فصبتها على رأسه و وجهه، فغضب فقال له: «و الكاظمين الغيظ» قال الامام: قد كظمت. قال: «و العافين عن الناس» قال: قد عفوت. [صفحہ ٤٢] قال: «و الله يحب المحسنين» قال: «انت حر لوجه الله، و قد نحلّتك ضيعتى الفلانية» [٦٥]. و أنت ترى الامام فى هذه الشواهد يصدر عن نفس مندمجة فى معايير جديدة من الحلم و الكظم، فهو لا

يكظم الغيظ فحسب، بل يتفضل و يعفو و يوجد، فيخلق جوا نديا من المحبة و الألفة و السلام. و الامام يقصد عامدا الى هذا المنهج، فقد جمع أولاده و أوصاهم: «يا بني؛ انى أوصيكم بوصية من حفظها انفتح بها، اذا أتاكم آت، فأسمع أحدكم فى الأذن اليمنى مكروها، ثم تحول الى اليسرى فاعتذر لكم، و قال: انى لم أقل شيئا فاقبلوا منه» [٦٦]. و الامام فى هذا كله ينطلق من مفهوم قرآنى بعيد النظر، قوى الأسر، و هو يطبقه فعلا، ليدعم القول بالعمل. قال تعالى: (خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين) [٦٧]. و قال تعالى: (ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم) [٦٨]. و من أولى من عدل القرآن بتطبيق مبادئ القرآن. يضاف الى هذا كله؛ أن الامام يزين حلمه بالتواضع، و سيرته هذه بمكارم الأخلاق، و ذلك مسلك عرفانى له شواهد عند الامام. أورد السيد الأمين عن تحف العقول: ان الامام مر برجل من أهل السواد، دميم المنظر، فسلم عليه و نزل عنده، و حادثه طويلا، ثم عرض [صفحة ٤٣] عليه نفسه فى القيام بحاجته... فقيل الامام: يابن رسول الله، أتزل الى هذا؟ ثم تسأله عن حوائجه، و هو أحوج اليك؟ فقال: «عبد من عبيد الله، و أخ فى كتاب الله، و جار فى بلاد الله، يجمعنا و اياه خير الآباء آدم، و أفضل الأديان الاسلام، و لعل الدهر يرد من حاجتنا اليه، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه» [٦٩]. و هذا النحو من التواضع فيه نظرة فاحصة لأصول الأخوة البشرية فى ضوء انسانية الاسلام، و فيه تلويح بأن بقاء الحال من المحال، فهذا الرجل المحتاج اليوم، قد يضطر الآخرون لاحتياجه يوما ما، و تلك نظرات قل من يدقق فيها منفتحا عليها كما صنع الامام (عليه السلام).

ظاهرة السخاء و الكرم النفسى

نظر الامام الى سرف أبى جعفر المنصور، و سرف ولده المهدي، و تبذير موسى الهادى، و معجون هارون الرشيد، و هم يتناوبون على احتجان أموال المسلمين، و يمعنون بمصادرة أملاكهم، و حقوق الناس بأيدي الطغمة الحاكمة تدار بها الكؤوس و موائد القمار، و مجالس العبث و اللهو، فكان الامام بظاهرة سخائه يمثل ردة فعل لاستبداد العباسيين فى بخلهم على الآخرين، و جشعهم المفرط فى الاستيلاء على مصادر الغنى و الثروة، فعمد الى انعاش الضعفاء، و ارفاد المحرومين، و اجراء الرزق على أهل الفاقة، فسارت الركبان بأنباء كرمه الفياض، و تحدث الشعب المسلم عن أفضال هذا السخاء و العطاء. قال الشيخ المفيد: «و كان أوصل الناس لأهله و رحمه، و كان يتفقد فقراء المدينة فى الليل، فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين و الورق، و الأدقة و التمور، فيوصل ذلك، و لا يعلمون من أى جهة هذا» [٧٠]. [صفحة ٤٤] و هذا منهج جديد فى الاسرار بهذه الأعطيات، لتكون خالصة لوجهه الكريم، و لئلا يزرى بالفقير فقره، و قد كفاه الامام ذلك. و لم تكن بين الامام و الفقراء أية وساطة، و انما هو معهم فى قضاء حوائجهم وجهها لوجه. فقد أورد الأستاذ باقر شريف القرشى: ان بعض الفقراء دخل على الامام يسأله العطاء، فقال له الامام: لو جعل لك التمنى فى الدنيا، ما كنت تمنى؟ قال: كنت أتمنى أن أرزق التقية فى دينى، و قضاء حقوق اخوانى، فاستحسن الامام جوابه، و أمر أن يعطى ألف دينار [٧١]. و كان الامام فى كرمه يقابل الألفاظ بالاحسان، و الهدية بالعطاء الوفير، فقد أهدى اليه أحد العبيد فى بعض أسفاره شيئا من الألفاظ فقبلها الامام بقبول حسن، و سأل عن اسم العبد و مولاه، فوقف عليه. فقال الامام لمولاه: «غلامك فلان تبيعه؟ قال له: جعلت فداك؛ الغلام لك و الضيعة، فاشتري أبو الحسن الضيعة و الرقيق بألف دينار، و أعتق العبد، و وهب له الضيعة...» [٧٢]. و أمثلة كرم الامام عديدة، و هدفها البر و الاحسان، و طبيعتها اغاثة الملهوف، و امدادها ذلك الحلال الخالص الذى ينتقيه الامام من طيب ماله و غلات مزارعه، و أراضي الموروثة، و تلك موارد سليمة الأصل، و ربما افتقرت أن يعمل الامام بنفسه على انمائها، و أن يتفقد بها بذاته من أجل اعمارها؛ و قد يستغرب هذا من الامام مع توفر مساعديه و غلمان من جهة، و مع جلالة قدره و عظيم منزلته من جهة أخرى، و لكنه العمل الذى يوجها [صفحة ٤٥] نحوه، و ليكون به قدوة تحتذى لأتباعه و أوليائه، فالعمل شرف لا يدانيه شرف. و عمل الامام لا يقلل من قيمته القيادية على الاطلاق، بل يقربه من النفوس الوداعة المطمئنة، و يعلى منزلته فى أنظار ذوى الهمم العالية. روى على بن حمزة قال: «رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل فى أرض له، قد استنقعت قدماء فى العرق، فقلت: جعلت فداك؛ أين الرجال؟ قال (عليه السلام):

يا على؛ قد عمل باليد من خير منى فى أرضه. فقلت: و من هو؟ فقال (عليه السلام): رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أمير المؤمنين (عليه السلام) و آبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم، و هو من عمل النبيين و المرسلين و الأوصياء و الصالحين» [٧٣]. فاذا علمنا أن للامام ضياعا موروثه، و أن بعض المزارع كانت بحيازته بالاحياء لأراضيها، و أن قسما منها تملكها بالشراء، علمنا مصدر هذا الكرم، و مورد هذا السخاء الرهيف [٧٤]. يقول الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين: «و كلمة يجب أن تسجل هنا... تلك هى أن هذا الكرم الواسع الذى أصبحت صرره مضرب المثل، لم يكن بفضل ما يصل الامام من الأموال الشرعية من أتباعه و شيعته فى شرق الأرض و غربها، لأن إيصال تلك الأموال لمستحقيها لا يعد كرما و جودا. و انما تجسد ذلك السخاء الثر و العطاء المغدق بسبب ما كان يصله من حاصل ضياعه و مزارعه التى دخلت فى ملكه شراء أو ارثا من أسلافه» [٧٥]. [صفحة ٤٦] و هنا نسجل ظاهرة يرددها المعنيون بسيرة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) و هى ظاهرة صراره التى يضرب بها المثل حتى قيل: «عجا لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة» [٧٦]. و معنى هذا أن فى صراره الغنى و الاغناء، و فى صلاته بها الكفاية و الثراء، و اذا دققنا النظر فى قيمة الدينار الذهبى فى عصره عرفنا مدى قيمة صراره بالصلوات بالمائة و المائتين و الثلاث و الأربع حتى الألف من الدنانير، فهى تسبب لمن تصل اليه الغنى بحدود معينة، و للامام فى ذلك أخبار طريفة تقدم بعضها فى موقعها من الرسالة شاهدا أو نموذجا. قال الاربلى: «و ذكر جماعة من أهل العلم أن أبا الحسن (عليه السلام) كان يصل بالمائتى دينار الى الثلاثمائة دينار، و كانت صرار موسى (عليه السلام) مثالا» [٧٧]. و روى عن محمد بن عبدالله البكرى قال: «قدمت الى المدينة أطلب دينا فأعياى، فقلت: لو ذهبت الى أبى الحسن (عليه السلام) فشكوت اليه، فأتيته... و سألتنى عن حاجتى فذكرت له قصتى، فدخل و لم يقم الا يسيرا حتى خرج الى، فقال لغلامه: اذهب، ثم مد يده الى فدفع الى صرة فيها ثلاثمائة دينار...» [٧٨]. فاذا علمنا أن ثمن الدار فى عصر الامام أربعون دينارا كما يقول المؤرخون، عرفنا أن هذا المبلغ ضخيم فى حينه. و من النماذج الراقية لكرمه الفياض ما حدث به عيسى بن محمد بن مغيث القرظى - و كان قد بلغ تسعين سنة حينما حدث بهذا الحديث - [صفحة ٤٧] قال: «زرعت بطيخا و قثا و قرعا فى موضع بالجوانية على بئر يقال لها: «أم عظام» فلما بلغ الخير و استوى الزرع، بغتنى الجراد فأتى على الزرع كله، و كنت قد غرمت على الزرع و فى ثمن جملين: مائة و عشرين دينارا. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلم ثم قال: ايش حالك؟ فقلت أصبحت كالصريم، بغتنى الجراد فأكل زرعى، قال: و كم غرمت فيه؟ قلت: مائة و عشرين دينارا مع ثمن الجملين، فقال: يا عرفه؛ زن لأبى المغيث مائة و خمسين دينارا... فقلت: يا مبارك، ادخل و ادع لى فيها، فدخل و دعا... ثم علفت عليه الجملين و شيعته، فجعل الله فيها البركة، زكت فبعث منها بعشرة آلاف» [٧٩]. و كان الامام (عليه السلام) يتصدق بالمزارع و الضياع و البساتين، و يوقف بعضها على ذريته من بعده، و قد جمع روايات ذلك و أشار اليه الأستاذ محمد حسن آل ياسين [٨٠]. و هذا أيضا يضاف الى قاموس كرم الامام و فيضه الزاخر. و لنا أن نتساءل عن هذه النفس الكريمة فى العطاء و الايثار، كيف اندفعت هذا الاندفاع لاحياء النفوس، و بعث الأمل فى القلوب البائسة و المنكوبة؟ و الاجابة عن هذا لا تحتاج كثير تأمل أو طول تفكير، فما يصدر عن الامام فى هذا الصدد نابع من مفاهيم انسانية عليا سبق لها آباؤه و أجداده، و لا حاجة بنا أن نذكر أن الامام الحسن بن على أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يوصف بأنه (كريم أهل البيت) و هذا أشهر من أن يذكر، و لا كبير جهد لدينا أن نعتبر هذا الجود الغامر من صميم المفردات [صفحة ٤٨] الانسانية التى طرحها الامام بحيث اعتبر ذلك مثالا لشجرة فى الجنة فقال: (السخاء شجرة فى الجنة، و أغصانها فى الدنيا، فمن تعلق بغصين منها أدته الى الجنة. و البخل شجرة فى النار، و أغصانها فى الدنيا، من تعلق بغصن منها أدته الى النار) [٨١]. [صفحة ٤٩]

الامام و المسيرة العلمية الرائدة

المدرسة الأولى

كانت جامعة أهل البيت (عليهم السلام) هي الأمل الباسم لصيانة التراث الاسلامي من الضياع، و مؤسس هذه الجامعة هو أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) بما غرس من أصول معرفية ذات ارتباط عريق بالفيض النبوي الشامل، فالنبي مدينة العلم و علي بابها باجماع المسلمين، و كان سيدا شباب أهل الجنة الحسن و الحسين يغذيان أصول هذه الجامعة بما سمح لها العصر، و ما وجدا الى ذلك سيلا، و كان الامام زين العابدين مشفقا على هذه الجامعة من الانحلال و التدهور بعصر فقدت به مقاييس الفضيلة، و لكنه استطاع من خلال قيادته و مناداته بحقوق الانسان، و سيل أدعيته الهادئة أن يضيف ظلال الاستقرار على المبادئ العامة للجامعة دون الاغراق بالتفصيلات الدقيقة. حتى اذا أوشك القرن الأول [صفحة ٥٠] الهجري على الغياب، التمتع في الأفق ذلك الشهاب الثاقب الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام). فكان المجدد الحقيقي لحضارة التشريع، و كان الرائد الصادق لمعارف الرسالة الاسلامية، بناء و تطويرا و اذاعة و نشر [٨٢]. حتى اذا تسلم الامام جعفر بن محمد الصادق قيادة الأمة، كان زعيم مدرسة أهل البيت الريدية دون منازع، و بدأ التحرر الانساني في العقل يخطو خطوات رهيفة في الانفتاح على كل جديد، و بدأ الفكر المعرفي يتطلع الى المزيد من الثقافة العليا، و انحسر المد العلمي عن كوكبة من المعارف السائرة مع الزمن، فللتشريع أساطينه، و للفقهاء جهابذته، و للحديث رجاله، و للعلم التجريبي متخصصوه، و للعلوم الانسانية روادها الأوائل، و للابداع في النظر و الفنون و الحياة العقلية جمهرة من المتبعين و العاملين باخلاص و أمانة. ولدى اضطلاع الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بالمسؤولية القيادية، نهض بصيانة هذا التراث الضخم، و عمل على اذاعته في الآفاق، و أصبح العلم الشاخص الذي ترنو له الأبصار و الضمائر. و كانت هذه المدرسة عالمية الدلالة، انسانية العطاء، اسلامية المصادر، تتسم بالعمق و الأصالة، و تمتاز بالموسوعية النادرة، و كان من خصائصها الشمولية و الاستيعاب لمفردات الحضارة الاسلامية، لا- تجمد على مادة، و لا- تقف عند موضوع، فهي متجددة الآراء، موضوعية النظرة، سليمة الأداء. و كان من رصانتها الاجتماعية أنها للانسان بكل شرائحه المتعددة، و للمسلم المتحفز بكل آثارها الراسخة، و هي بذلك تحقق مبدأ الرسالة العامة التي لا تقتصر على موقع، و لا تتحدد باقليم، بعيدة عن الأثرة، قريبة من التفاعل الاجتماعي. [صفحة ٥١] و اذا تدارسنا ببصيرة و امعان مركز الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) من هذه المدرسة؛ رأينا القائم على ادارتها و استمراريتها بعد أبيه، و وجدناه المشفق الحذب على اغناء هذه المدرسة و اثرائها، فكان العامل اليقظ على تطبيق أهدافها المركزية من جهة، و الناشط الواعي في نمو حركتها من جهة أخرى، و قد حقق ذلك بما عرف عنه بأنه الرائد المتمرس لمعالم التحضر الانساني، و القائد المجرب في ميادين التجديد و الابداع. و لم يكن الامام مخلى السرب، آمن الجريئة، و ليس لديه من النفوذ ما يجعله في وضع استقرارى يحمده عليه، و ليست له الحرية الكاملة في التحرك و الانطلاق، و مع هذا كله، لم تكن السجون و المعتقلات التي تعرض لها، و لا موجات الارهاب السياسى التي واجهها لتعيق مسيرة هذه المدرسة الصاعدة، لأن الكفاح في غمرات هذا المناخ كان متوصلا على أية حال، حتى ان رسائله و اجاباته و فتاواه لتصدر عنه و هو في غياهب السجون، فيتلقاها تلامذته و أولياؤه بالنشر و الاذاعة و ابلاغ الناس. و لم تكن الرقابة الصارمة لتحيد من نشاط هذه المدرسة الا بحدود، و ذلك أن الامام قد غرس في كل دار منها نبتة طيبة تجد التربة الصالحة للازدهار و الاثمار، فيتناولها تلامذته المقربون بكل حرص و أمانة، و هم أداة التبليغ الاسلامي الأمين. ان معاناة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) كانت كفيلة بالقضاء على كيان هذه المدرسة، و لكن الشعلة ما كان لها أن تنطفئ، و قد خلق من حولها الرواة و المحدثون و الأعلام يذكون جذوتها، و يتابعون ايراءها و ايقادها، و هي تزدهر ما بين المغرب و المشرق. و من هنا بلغت الذروة في العطاء السائر الذي يدان فيه للامام عبر تطلعاته في جعل العلم بديلا لجاهلية النظام العباسي في كل ممارساته التي تدل على الجهل و الضلال و الزيف المتعمد، و كان ذلك [صفحة ٥٢] خطرا داهما على كيان الأمة يهددها بالدمار و البوار، لولا أن يتداركها الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في ذلك التوجه النابض. يقول الأستاذ باقر شريف القرشي: «و كان من أهم ما عنى به الامام موسى (عليه السلام) نشر الثقافة الاسلامية، و اشاعة المعارف العامة بين الناس، و قد عملت تعاليمه الرفيعة على تنمية العقول، و تثقيف الأفكار، و تقدم المسلمين في الميادين العلمية... و نظرا لمركزه العلمي الخطير فقد شاع ذكره في البلاد، و تحدث الركبان بوفرة

مواهبه و مقدراته العلمية، و قد دان شطر كبير من المسلمين بامامته، و جعلوا مودته، و الأخذ بقوله، فرضا من فروض الدين» [٨٣]. و هنا يقترن الهدف الدينى بالهدف العلمى، فتكون الحصيلة المزدوجة من اقترانهما: أن ما يبلغ علميا يصدر عن قناعة دينية، و بذلك يكتب لأى أثر فى هذا المنظور السيورة النافذة. و كان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد استشف من وراء الغيب أن حياته مهددة بالخطر سياسيا، و ليس فى مقدوره تغيير هذا المنحنى السياسى الطائش، فاتجه الى الرسالة العلمية مناضلا فى ميادينها كافة، و التزم الخط المنهجى لجامعة أهل البيت فى تخطيطها البعيد، و هو يستشرف العالم الاسلامى فى حركته العلمية الدائبة، فغذاها - أعنى الجامعة - بفيض امداده الذى لا ينضب، و تبنى الملتفين حول أغصانها بأبوة مانحة للتوجيه و النصيح الكريم، و تلقى هؤلاء هذا العطف المثالى بجد و اجتهاد فما فرطوا فى شىء، بل اهتملوا الفرص المواتية - على شدة الرقابة - للافادة و الاضاء، و كان هذا الحافظ الشريف، يسترعى نظر الامام فى العطاء، فكتب، و ألف، و حدث، و أفتى، و ناظر، و حاضر، فصان الجامعة بأبنائها الواثقين، و نشر مبادئها الكبرى فى شتى الممالك و الأقاليم، فكانت قبله الطالبين و السالكين معا. [صفحة ٥٣] و عاد هذا التراث الهادى متوافرا لدى العلماء، و فى أيدي العاملين على ارفاد الثقافة الملتزمة، و الصابرين على شدة المحنة فى التحرى و الرصد. و نجم عن هذا كله: خلود هذه المدرسة السيارة بعطائها الجزل، و كيانها المستقل. و استقلالية مدرسة أهل البيت حقيقة زمنية شاخصة، فهى لا تستمد كيانها من السلطات القائمة، و هى لا تسير بركاب الحاكمين، و هى لا تستعين بالقوة لفرض سيطرتها على العقول، و هى لا تتوسل بالمال على تعزيز نفوذها، و هى لا تلجأ الى الأساليب الشائعة فى العصر للتغلغل فى ضمائر الناس، بل قامت على سجيته، فطرية الأداء، عفوية الارادة. و كان دور الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) دور المجدد و المطور لمبادئ هذه المدرسة بما أوتى من قوة عقلية و ادراك علمى متميز، و بما استقى من معارف متسلسلة من ذلك الرافد الأساس الذى تفجرت منه أمواج الثقافة عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام). و عندما تتحقق هذه الظواهر فى أى أثر معرفى يكون الخلود السرمدى الرابض فى صدر الحياة، و تكون الافادة من تراثه الأثير فى الموقع المتجدد، و اذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فما علينا الا أن نتحدث لماذا عن موارد هذا العلم و مصادره.

مصادر علم الامام

هناك مسألة كبرى تشغل مساحة كبيرة من التساؤل، و تثير فى طريقها جملة من الاشكاليات التى لا يستهان بها، و قد يبدو عليها الاستغراب حينا، و الاستبعاد حينا آخر. هذه المسألة تنحصر فى مصادر علم الأئمة (عليهم السلام). و تشكل الاجابة عن هذه المسألة مشكلة معقدة عند بعض الباحثين الذين يجهلون كنه حقائق الأشياء. [صفحة ٥٤] و ما دمنا فى هذا الصدد، فان الموروث الاستقرائى هو الذى يجيب عن هذه الحقيقة باعتبارها أرفع مستوى عن الأوهام، فقد بحثنا من قبل موارد علم الامام الصادق (عليه السلام) فكانت من منبعين، هما: ١ - العلم التكبسى الذى توارثه كل امام عن آباءه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). ٢ - العلم الموهبى الذى يرتبط بالله (تعالى) بما يفرضه من لدنه على الأئمة لاكمال متطلبات الرسالة، باعتبار الامامة امتدادا للنبوة [٨٤]. و نحاول استقراء لمحات من الموضوع، فى ضوء مصادر علم الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، حيث نجد المبدأ ثابتا بدلائله العلمية. ان العلم الوراثى الذى احتضنه الامام الكاظم (عليه السلام) مما تدل عليه الآثار و تصرح به الروايات الصادرة عن آباءه (عليه السلام): و هذا النوع من العلم له مصدران هما الكتاب و السنة ليس غير. و اذا كان الأمر كذلك، خرجنا من عهدة التساؤل و الاثارة، فهو علم كسبى يتدارسه الامام فى ظل من كان قبله من الأئمة شفاهها أو تدوينا أو رواية، أو هى كلها، و الامام موسى بن جعفر تلميذ أبيه الامام الصادق، و الصادق تلميذ أبيه الامام الباقر حتى ينتهى أمر ذلك الى أمير المؤمنين، و علم أمير المؤمنين فرع أثر من علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما فى ذلك من شك. اذن نحن أمام مخزون مدخر لكنوز العلم السائر مصدره، ذلك الباب الذى لا يوصد، و هو مبنى اما على الرواية المتسلسلة حتى تتصل برسول الله (صلى الله عليه و آله) و اما على أساس العلم التكبسى الذى يتلقاه الامام من أبيه، و هكذا. و كان الامام أحمد بن حنبل زعيم الحنابلة شديد الإعجاب بما يرويه عن الامام موسى بن جعفر عن آباءه

(عليهم السلام)، فيقول: «حدثني موسى بن جعفر، [صفحة ٥٥] قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)». ثم قال أحمد بن حنبل بعد رواية هذا السند بالحرف الواحد: «هذا اسناد لو قرئ على المجنون لأفاق» [٨٥]. و من كان هذا سنده في الرواية عرفت مصدر علمه الوراثي. لقد سألت خلف بن حماد الامام موسى بن جعفر مسألة، فأجابها عليها، فقال له خلف: جعلت فداك؛ من يحسن هذا غيرك؟ فرجع الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) يده الى السماء، وقال: «اني والله ما أخبرك الا عن رسول الله عن جبرئيل عن الله (تعالى) [٨٦] وهناك ما هو أصرح من هذا في النظر الى موقع علم الوراثة من علمه، قال ابن المغيرة: «كنت أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عند أبي الحسن (عليه السلام) (يعني الامام موسى بن جعفر) قال له يحيى: جعلت فداك، انهم يزعمون أنك تعلم الغيب فقال: لا والله؛ ما هي الا وراثة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [٨٧]. وهنالكَ انباء آخر عن العلم الوراثي التدويني لديه (عليه السلام)، فقد سئل الحسين بن زيد عن معرفة الامام موسى بن جعفر ببعض الغيب، فقال: «و كيف لا يعرفه، وعنده خط علي (عليه السلام)، و املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [٨٨]. وهذا العلم غير خاضع للاجتهد، و هو نص صريح مطلق، و لا مصدر له الا الكتاب و السنة كما هو الواقع بما تفيدته الآثار، فقد روى سماعة عن الامام موسى بن جعفر، قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله و سنة [صفحة ٥٦] نبيه (صلى الله عليه وآله)، أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله و سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) [٨٩]. و بهذا يتضح للباحث المحاييد أن مصدر علم الامام يستند الى الركنتين الأساسيين في التشريع: القرآن العظيم و السنة النبوية. و كان انتظام هذا المصدر متجانسا مع طبيعة حياة الامام الدراسية، فما تحدث أحد أنه درس على أحد، أو أخذ عن أحد، فليس له شيوخ أو أساتيد كما هو شأن العلماء الآخرين، و لم يحضر في حلقة أستاذ، و لم يتخرج في معهد ما، و انما تخرج في مدرسة أبيه ضمن التسلسل الاسنادي في الرواية و الحديث و التفقه العام، حتى أصبح قائد هذه المدرسة بعد حين. و لا أدل على صحة هذا القول و واقعه من شهادة هارون الرشيد في حق الامام، و هو يشير اليه فيما قاله لولده المأمون: «يا بني؛ هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر بن محمد، ان أردت العلم الصحيح فعند هذا» [٩٠]. و كان من العلم الصحيح الذي أشار اليه الرشيد، أن الامام (عليه السلام) يؤكد على الكتاب و السنة فيما يتلقى من العلم، و يدرأ الرأي و القياس في الافتاء، فعن سماعة عنه (عليه السلام) قال: و سألته فقلت: ان أناسا من أصحابنا قد لقوا أباك و جدك، و سمعوا منهما الحديث، فربما كان شيء يبتلى به بعض أصحابنا، و ليس في ذلك عندهم شيء يفتيه، و عندهم ما يشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس؟ فقال: لا، انما هلك من كان قبلكم بالقياس. فقلت له: لم لا يقبل ذلك؟ [صفحة ٥٧] فقال: لأنه ليس من شيء الا و جاء في الكتاب و السنة» [٩١]. و اتساع السنة، و استيعاب الكتاب كما يدور في الابتلاء العملي أو النظري للأمة، مما لا شك فيه، نعم قد يجهله من يجهل، و قد يعلمه من يعلم، و انما علم الكتاب و السنة عند أهله. و قد أكد الامام هذا الملحظ في حديث آخر قال في آخره: «... أتى رسول الله الناس بما استغنوا به في عهده، و بما يكتفون به من بعده الى يوم القيامة». فقلت له: فضاع منه شيء؟ فقال: لا، هو عند أهله» [٩٢]. و هو بهذا يشير الى وراثته لهذا العلم الذي انضوى عليه صدره. و بهذا يتجلى لنا مصدر علم الامام استقراره و واقعا. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و هكذا يتضح أن كتاب الله و سنة رسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله) كاناهما المصدرين الحقيقيين الوحيدين حصرا و تعيينا لعلم الامام الكاظم، و دائرة معارفه الكبرى الشاملة، و أن كل ما كان يحمله من فضل و فكر متفرع منهما، و كان أبوه الامام الصادق - و هو بحر العلم و ينبوع المعرفة باجماع المسلمين و اتفاق الباحثين - طريقه الأوحى الى تناول ذلك كله، و أستاذه الأكبر الذي لم يعرف أستاذا غيره، و قد تلقى من نميره المتدفق صفو العطاء و الرواء، فكانت حصيلة تلك الأستاذية المثلى و ذلك الارث العظيم بروز هذا الانسان الملائكي الفريد، مجسدا على الأرض بصورة الامام موسى بن جعفر» [٩٣]. [صفحة ٥٨] و اننا اذ ثبت هذا الأصل، و هو ثابت بالدليل، فليس من قبيل التعصب أو المبالغة، فلسنا منهما في شيء، و انما هو البحث الموضوعي الخالص لا القول الجزاف، بل هناك ما هو صريح بالسنة التدوينية لدى الامام، و فيه ما يحتاج اليه الناس، بل فيه فوق هذا الانفتاح على مغاليق الأمور، و قد أكد الامام الصادق

(عليه السلام) على هذا الملحظ بقوله: «ان عندنا ما لا- نحتاج معه الى الناس، و ان الناس ليحتاجون الينا، و ان عندنا كتابا من املاء رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خط على (عليه السلام)، صحيفة فيها كل حلال و حرام. و انكم لتأتون بالأمر، فنعرف اذا أخذتم به، و نعرف اذا تركتموه» [٩٤]. و أما العلم الموهبي الذى أشار له البحث، فهو لطف الهى بعيد عن المزاعم الغالية، و لكنه فوق مدرسة الكسب و التعلم التقليدى، و حقيقته نابعة فيما آتاه الله عباده المقربين فى ضوء قوله (تعالى) - فيما اقتص من خبر موسى (عليه السلام) مع العالم الذى قد يعرف بالخضر - (فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما) [٩٥] فهو علم لدنى يهبه الله لمن يشاء من عباده الصديقين، و كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أبرز مصاديق هؤلاء العباد. و هذا ما يفسر لنا قول الامام موسى بن جعفر (عليه السلام): «بلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض، و غابر، و حادث، فأما الماضى فمفسر، و أما الغابر فمزبور، و أما الحادث فقذف فى القلوب و نقر فى الأسماع» [٩٦]. [صفحة ٥٩] و ليس ما تحدث عنه الامام فى الوجه الثالث و هو العلم الحادث، من العلم بالغيب اختصاصا، و لكنه من علم الغيب افاضة أو اخبارا، فعلم الغيب بحد ذاته مما يختص به الله وحده، و هو بوصفه مما يختص به الله غيره باعتباره حالة ممكنة يخص بها الله من يشاء من رسله و أصفياه ضمن قوله (تعالى): (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - الا من ارتضى من رسول..) [٩٧]. و هذا ليس من قبيل الوحي، و لكنه يتأتى بوسائط تحدث عنها الامام، فالقذف فى القلوب، و النقر فى الأسماع، و الالهام اليقيني الخالص، كل أولئك من مفردات هذا العلم. فعن على بن يقطين، قال: قلت لأبى الحسن موسى (عليه السلام): «علم عالمكم؟ سماع أم الهام؟ فقال: قد يكون سماعا، و يكون الهاما، و يكونان معا» [٩٨]. و هذا ما يفسر لنا تلك الانباءات الغيبية المتواترة التى تحدث عنها الامام ببصر قاطع، و أخير عن وقوعها فوقعت. فكتب الامام الى الرشيد: «يقول موسى بن جعفر: رسولى يأتيك يوم الجمعة، و يخبرك بما يرى، و ستعلم غدا اذا جاثيتك بين يدى الله من الظالم و المعتدى على صاحبه». فأخبر هارون بذلك فقال: (ان لم يدع النبوة بعد أيام، فما أحسن حالنا). فلما كان يوم الجمعة مات الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) [٩٩]. [صفحة ٦٠] و كاخباره عن مدى بعض الأعمار، و ما تبقى منها، و ما أزيد عليها، بلغه جاده، فكان ذلك [١٠٠]. و كالتماسه أن يدعو للمفضل و هو فى النزاع الأخير، فأخبر بموته قائلا: قد استراح [١٠١]. و كتعظيمه لأجر بيان بن نافع بأبيه، و اخباره بأنه قبض فى هذه الساعة، فبقى ابن نافع متحيرا، حتى أتاه الخبر مطابقا [١٠٢]. و كاخباره بمن سيموت فى سفره قبل أن يصل الى أهله [١٠٣]. و كاخباره بحضور أجل من وصل عمته فريد الى أجله عشرين [١٠٤]. و كقوله (عليه السلام) لعبدالله بن يحيى الكاهلى: «اعمل خيرا فى سنتك هذه، فان أجلك قد دنا». فما لبث الا يسيرا حتى مات [١٠٥]. و كأمره الفورى لعثمان بن عيسى، و قد نزل هو و رفاقه فى منزل، فأمره أن يخرجوا منه الساعة. فلما خرجوا انهارت الدار [١٠٦]. و كقوله (عليه السلام) لاسحق بن عمار: «يا اسحاق تموت الى سنتين، و يتشتت أهلوك و ولدك، و عيالك، و أهل بيتك...» فكان كما أخبر [١٠٧]. [صفحة ٦١] و كالخبر المستفيض المعروف بدرهم شطيطة، و هو درهم أرسلته هذه المرأة الصالحة حقا شرعيا للامام، و قد أخفاه المرسل بيده عن الامام، ازدراء بقله المبلغ و تواضعه، فطالبه الامام بذلك الدرهم عينه، و وزنه درهم و دائقان، فى الكيس الذى فيه أربعمئة درهم [١٠٨]. و كان هذا كله رصدا لحقائق الأشياء بلمح غيبى لا سبيل معه الى التردد و الانكار، فهو واقع بالفعل. و قد سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن الامام يعلم الغيب؟ فقال: «لا، لكن اذا أراد أن يعلم الشئ، أعلمه الله» [١٠٩]. و قد سئل الامام موسى بن جعفر نفسه: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يبسط لنا العلم فنعلم، و يقبض عنا فلا نعلم». و قال: «سر الله (عزوجل)، أسره الى جبرئيل، و أسره جبرئيل الى محمد (صلى الله عليه و آله) و أسره محمد الى من شاء» [١١٠]. و هذا الطرح الموضوعى للأئمة يوحى بصريح القول: أن علم الغيب خاصة الهية، و لكن الله (تعالى) قد يفيض من هذا الرافد على رسوله، و رسوله يفيض على أهل بيته، و أهل بيته قد يتحدثون بجزء منه بضرر قاطع، فينبئون عن الحدث المستقبلى بلغه الحتم. و قد كان أمير المؤمنين الامام على (عليه السلام) دقيقا فى الرد على من نسب اليه علم الغيب، فقال: «ليس هو بعلم غيب، و انما هو تعلم من ذى علم، و انما علم الغيب علم الساعة، و ما عدده الله بقوله: [صفحة ٦٢] (ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس

بأى أرض تموت ان الله عليم خبير) [١١١]. و ما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه، و دعا لى أن يعيه صدرى، و تفتطم عليه جوانحى» [١١٢]. و الامامية لا تستكثر امداد العلم الموهبى لأئمة أهل البيت و يشاركهم فى هذا ذوو النظر العقلى من أهل الاسلام، و أدلته فى السيرة أكثر من أن تحصى، و لقد قال الامام الصادق لعبدالله النجاشى: «و الله ان فينا من ينكت فى قلبه، و ينقر فى اذنه، و تصافحه الملائكة». فقلت: اليوم، أو كان قبل اليوم؟ فقال الامام: «اليوم و الله يابن النجاشى» [١١٣]. و لا- أدل على هذا من خوف الجابرة و هلع الطغاة من هذه الظاهرة، فهم يتحسسون منها، و ترتعد لها فرائصهم، فقد تحدثت عن مستقبلهم، و قد تكشف عما خبأ الدهر لهم. و قد يبدأ الامام ذلك كما أخبر المأمون بأنه سيلي الخلافة [١١٤]. و لا برهان على حقيقة هذا الأمر مما اكده الدينورى فى روايته: ان الرشيد قال يوما للأصمعى، و هو يحدثه عن ولديه الأمين و المأمون: «كيف بكم؟ اذا ظهر تعاديهما، و بدا تباضهما، و وقع بأسهما بينهما؟ حتى تسفك الدماء، و يود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى». [صفحة ٦٣] فسألنا الأصمعى:... هذا شئ قضى به المنجمون عند مولدهما، أو شئ أثرته العلماء فى أمرهما؟ قال الرشيد: بل شئ أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء فى أمرهما. قال الرواة: «فكان المأمون يقول فى خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد، فلذلك قال ما قال» [١١٥]. و سواء استجاب أعداء الامام لهذا النوع من العلم الذى تحدث به القرآن فيما اقتص من نبأ موسى مع العالم، و صفة هذا العالم بأنه علم من الله علما، أم لم يستجيبوا، فقد ألمحت الى نماذج من لمحات هذا العلم فى ضوء ما نطقت به الوثائق التاريخية. و مهما يكن من أمر؛ فان الامام موسى بن جعفر فى علمه الوراثى و اللدنى قد بلغ الغاية القصوى، فما سئل الا أجاب، و ما حدث الا استوفى، و ما أنبأ الا كان، و ما قال الا صدق. و كان سبيل انتشار علمه وجوده الشريف مباشرة قبل اعتقاله، فهو يدلى به لرواد المعرفة وقادة الفكر العلمى. و كان سبيل انتشاره بعد اعتقاله، تلاذته المقربون، و ما صدر عنه من رسائل و اجابات و هو فى غياهب السجون. و قد ظهر من هذين ما طبق الخافقين.

سيرورة علم الامام

نهض الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بأعباء الامامة فى ريعان الشباب و عنفوان الفتوة، و عمره عشرون عاما. و رغم الظروف القاتلة للتحرك، و الليالى الحالكه التى قضاها فى السجون، فان المهمة الأساسية لديه هى [صفحة ٦٤] «تعليم الانسان» و هذا التعليم الانسانى له أبعاده فى آفاق متعددة من الهداية و التشريع و المعارف الانسانية بمفرداتها الهائلة، و كل هذه الآثار كانت تدور فى فكر الامام، فيجسدها بأطاريح تعبر عن آرائه المتميزة، و هى تعبر عن الفكر الاسلامى ليس غير. و قد بدأ المد الاسلامى العقلى بالانحسار نتيجة السياسة المترفة و الحياة اللاهية التى انتهجها الطغاة، فكان على الامام التصدى للمفاهيم و النظريات الجديدة التى تسربت الى البيئة العربية جراء هذا التلاقح الحضارى بين الأمم و الشعوب، و كان عليه أن يرصد ذلك بحذر و يقظة و اعداد، من أجل الحفاظ على جوهر الاسلام، و كانت المبادئ و النظريات الوافدة تشكل محورا جديدا فيه كثير من الأخطار، و فيه كثير من التحديات، و فيه كثير من الاضافة المعرفية أيضا. و بدأ الامام فى تصديه لهذه الظواهر، فدرأ منها ما رآه يصطدم بتعاليم السماء، و أقر منها الأفكار التى تحمل سمة التقاليد العربية للحضارات بحيث يرى مداليلها الموروثة تصب فى روافد معرفية لا تتعارض مع مفاهيم الاسلام فى رسالته الانسانية. و كل حرصه أن لا يهملش دور التراث الاسلامى فى بناء الحياة العقلية الجديدة كما سترى هذا فى الفصل القادم مفصلا. و قد مهد الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بذنه الوقاد المتفجر، بين يدي تلك الامدادات الداعية الى احياء التراث التشريعى فى الاسلام، و رفد القيم الدينية و تطويرها و اغنائها بالعناصر النابعة من صميم العقيدة لا من خارجها، و هو بذلك يوحد الفكر الانسانى فى ملامح متأصلة فى خضم التيارات الكبرى المتصارعة. و كانت ثقافة الامام التكاملية - باعتباره قد أعد اعدادا خالصا - تفيض عبر صور مشرقة تحمل بين سماتها ألوان الأصالة و الابداع، فتشكل ألقا [صفحة ٦٥] مذهلا فى استيحاء الفكر الاسلامى الخالص من مصادره الأولى، و هو يزخر برهافة عالية و حس مجرد. و كانت نقطة الانطلاق فى هذا الخط المحورى: التأكيد على تلقى العلم

الناهض، و التحصن بسيجاجة المحكم، و من ثم الشروع بتحقيق الهدف المركزي الذى يسعى اليه. و لتطبيق هذا المبدأ كانت دعوة الامام بادىء ذى بدء تتمثل بتوجيهه النابض: «تعلم من العلم ما جهلت، و علم الجاهل ما علمت» [١١٦]. و هذه الدعوة ترمى الى هدف ذى شقين رئيسيين فى الارادة: تعلم ما تجهل، و تعليم من يجهل، و تلك هى النظرة الشمولية التى تدرأ الأنانية، و تدعو الى السماح بانتشار العلم و ضبطه و مدارسته و تعليمه. و قد ندب الامام لهذه المهمة من يستمع الى القول فيتبع أحسنه، و أكد طلب العلم، و علل فضيلة ذلك بقوله: «زاحموا العلماء فى مجالسهم و لو حبوا على الركب، فان الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر» [١١٧]. و هذا التشبيه التمثيلى الذى يسره الامام الكاظم (عليه السلام)، صورة ناطقة حية تمثل احياء القلوب بنور الحكمة، كاحياء الأرض الميتة بوابل المطر، و هذا يقضى بأن الجاهل من الأموات، و المزاحم للعلماء من أجل الافادة من الأحياء فعلا. و دخل على الامام الحسن بن عبدالله و كان زاهدا، و من أعبد أهل زمانه فى المسجد، فأومأ اليه الامام فأتاه، فقال له الامام: يا أبا على ما [صفحة ٦٦] أحب الى ما أنت عليه و أسرني به، الا- أنه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة. فقال له: جعلت فداك، و ما المعرفة؟ قال الامام: اذهب تفقه و اطلب الحديث. قال عمن؟ قال الامام: عن فقهاء المدينة، ثم اعرض الحديث على... ففعل، فدلته الامام على ما يلزمه من المعرفة [١١٨]. و روى ابن حمدون فى تذكرته: قال موسى بن جعفر (عليه السلام): وجدت علم الناس فى أربع: أولها: أن تعرف ربك. و الثانية: أن تعرف ما صنع بك. و الثالثة: أن تعرف ما أراد منك. و الرابعة: أن تعرف ما يخرجك عن دينك. و قد فسر ابن حمدون هذه الأربع: الأولى: وجوب معرفة الله تعالى التى هى اللطف. الثانية: معرفة ما صنع بك من النعم التى يتعين عليك لأجلها الشكر و العباداة. الثالثة: أن تعرف ما أراد منك فيما أوجبه عليك، و ندبك الى فعله لتفعله على الحد الذى أراده منك، فتستحق بذلك الثواب. الرابعة: أن تعرف الشئ الذى يخرجك عن طاعة الله فتجتنبه [١١٩]. و بديهي أن الامام قد أراد بهذا العلم ذلك العلم الروحى، و غايته أن ينبع من المعرفة الداخلية للإنسان، و هو العلم الالهى الذى يقف بالإنسان على [صفحة ٦٧] الحقيقة، فتصقل بها روحه، و يمسك بها عمله، و يتعلق بأضوائها ضميره. فهو يتحدث عن العلم و يريد غايته. و لهذا نجد الامام يحث على العلم، و يفضل على العباداة الساذجة، فيقول: «فقيه واحد... أشد على ابليس من ألف عابد، لأن العابد همه نفسه فقط، و الفقيه همه مع ذات نفسه ذات عباد الله و ارضائه... و لذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد، و ألف ألف عابد» [١٢٠]. و يعلل الامام قبول العمل مع العلم، و رده مع الجهل، فيقول: «قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، و كثير العمل من أهل الهوى و الجهل مردود» [١٢١]. و كان من غرر أقواله، و عجيب نصائحه، و بليغ وصاياه قوله: «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى» [١٢٢]. و المزابل معروفة و هى مجتمع النفائات، و الزرابى هى البسط و الفرش الفاخرة، و اذا كانت الأولى رفضها العلم طبيعة و منطقاً، فهى خير من الثانية مع اقبال النفس عليها. و هدف الامام فى هذا التوجه هو التوصل الى حقائق ناصعة و مرضية عند الله تعالى، لأنها الطريق الأمثل فى استقراء المجهول. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و لكى يكون العلم فى جانبه الدينى مرضيا عند الله تعالى، و محققا هدفه الكبير فى تعزيز الايمان و ترسيخ الاعتقاد و الابتعاد عما يسخط الله عزوجل، نهى الامام عن الأخذ بالبدع، و حذر أشد [صفحة ٦٨] التحذير من العمل بالرأى خلافا لحكم الله و نص رسوله (صلى الله عليه و آله) و فى ذلك يقول مخاطبا بعض أصحابه: «لا- تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيه (صلى الله عليه و آله) ضل، و من ترك كتاب الله و قول نبيه (صلى الله عليه و آله) كفر» [١٢٣]. و لما كان القياس فى بعض حالاته ضربا من ضروب الابتداع، و لونا من ألوان الأخذ بالرأى، فقد نهى (عليه السلام) أصرح النهى عن العمل بالقياس فى تقرير حكم النظر و المشابه ان لم تكن العللة المشتركة منصوبة بصريح اللفظ. و جاء فى الرواية عن سماعة بن مهران أنه قال للامام: «انا نجتمع فنتذاكر ما عندنا، فلا يرد علينا شئ الا و عندنا فيه شئ مسطر، و ذلك مما أنعم الله به علينا بكم. ثم يرد علينا الشئ الصغير ليس عندنا فيه شئ، فينظر بعضنا الى بعض، و عندنا ما يشبهه، فنقيس على أحسنه». فقال الامام (عليه السلام): ما لكم و للقياس!! انما هلك من هلك قبلكم بالقياس [١٢٤] [١٢٥]. و كان علم الامام متقل الأفياء فى موضوعات متعددة، و مفردات لا حصر لها، و قد اشتملت عليها المصادر المتخصصة، و قد أوردت أحاديثه و رواياته

و استنتاجاته و هي تزخر بالعطاء السمع الكثير، وكان أبرزها ما ضم الكتاب و احتوته السنه من الروائع، و قد تلقاها الناس في شتى القصبات و الأقاليم فحدبوا على مدارستها. و له شذرات ثمينه استخرجها من القرآن الكريم، تتجلى بتفسيرها منزله أهل البيت القيادية، و تؤكد دور الولاية الكبرى في قبول الأعمال و تلقي الحسنات، و الانابة الى الله عزوجل. [صفحه ٦٩] ففي قوله تعالى: (بلى من كسب سيئه) [١٢٦]. قال الامام: بغضنا [١٢٧]. و في قوله تعالى: (و أحاطت به خطيئته...) [١٢٨]. قال الامام: «من أشرك في دمانا» [١٢٩]. و في قوله تعالى: (فاكتبنا مع الشاهدين...) [١٣٠]. قال الامام: «نحن نشهد للرسول على أممها» [١٣١]. و في قوله تعالى: (و اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم...) [١٣٢]. قال الامام: «هم عدونا أهل البيت، اذا سألوا عنا قالوا ذلك.» [١٣٣]. و في قوله تعالى: (و ما ظلمونا و لكن كانوا أنفسهم يظلمون) [١٣٤]. قال الامام: «ان الله أعز و أمنع من أن يظلم، أو ينسب نفسه الى الظلم، و لكن الله خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، و ولايتنا ولايته» [١٣٥]. و في قوله تعالى: (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين...) [١٣٦]. قال الامام: «الذين فجروا في حق الأئمة، و اعتدوا عليهم» [١٣٧]. [صفحه ٧٠] و في قوله تعالى: (و وهبنا له اسحاق و يعقوب كلا هدينا و نوحا هدينا من قبل و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجزي المحسنين - و زكريا و يحيى و عيسى...) [١٣٨]. استدلل فيهما الامام على الرشيد بأن أبناء أمير المؤمنين هم أبناء رسول الله (صلى الله عليه و آله) من جهة أمهم فاطمة (عليها السلام)، فقال: «انما ألحق عيسى بذراري الأنبياء من قبل مريم، و ألحقنا بذراري الأنبياء من قبل فاطمة، لا من قبل علي (عليه السلام)». فقال له الرشيد: أحسنت أحسنت يا موسى، زدني من قوله. فقال الامام: اجتمعت الأئمة برها و فاجرها، أن حديث النصراني حين دعاه النبي (صلى الله عليه و آله) الى المباهلة، لم يكن في الكساء الا النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام)، فقال تبارك و تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و أنفسنا و أنفسكم...) [١٣٩]. فكان تأويل (أبناءنا) الحسن و الحسين، و (نساءنا) فاطمة، و (أنفسنا) علي بن أبي طالب. فقال الرشيد: أحسنت [١٤٠]. و في هذا السياق أورد الامام موسى بن جعفر عند المهدي العباسي، في قوله تعالى: (و آت ذا القربى حقه...) [١٤١]. قال الامام: ان الله تبارك و تعالى لما فتح على نبيه فداك و ما ولاها، لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فأنزل الله على نبيه (صلى الله عليه و آله): [صفحه ٧١] (و آت ذا القربى حقه...) [١٤٢]، فلم يدر رسول الله (صلى الله عليه و آله) من هم، فراجع في ذلك جبرئيل، و راجع جبرئيل (عليه السلام) ربه، فأوحى الله اليه: أن ادفع فداك لفاطمة (عليها السلام) [١٤٣]. و في مقام التحذير و الانذار اتخذ الامام سبيلا للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، أورد الامام رفيقا تارة، و عنيقا تارة أخرى، ليحقق أبعاد هذه الفريضة التي ابتعد عنها الناس، و هو يسير ذلك - مضافا الى التحذير - في سياق العبرة و الموعظة، و له في هذا مواقف أغمض التاريخ عنها عينا، و أضرب عن ذكرها صفحا، و أكتفى منها بنموذج صريح صارخ، فيما أوردته الشيخ المفيد بسنده: «فقد أدخل الامام علي الرشيد، فكان مما قاله الرشيد له حين أدخل عليه، ما هذه الدار؟ قال الامام: هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها و ان يروا سبيل الرشيد لا يتخذوه سبيلا و ان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا...) [١٤٤]. فقال له هارون: فدار من هي؟ قال الامام: هي لشيعتنا فترة و لغيرهم فتنة. قال هارون: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ فقال الامام: أخذت منه عامرة، و لا يأخذها الا معمورة. [صفحه ٧٢] قال هارون: أين شيعتك؟ فقرأ الامام: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيتهم البينة) [١٤٥]. قال هارون: فنحن كفار؟ قال الامام: لا، و لكن كما قال الله: (... الذين بدلوا نعمه الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار) [١٤٦]. «فغضب عند ذلك الرشيد و غلظ عليه، فقد لقيه الامام أبو الحسن (عليه السلام) بمثل هذه المقالة و ما رهبه، و هذا خلاف قول من زعم أنه هرب منه من الخوف» [١٤٧]. و بهذه الشذرات النادرة نكتفي ايرادا لما فجره الامام موسى (عليه السلام) من طاقات قرآنية تهدى سواء السبيل فاذا وقفنا عند باب الفقه و الأحكام تشريعا و انتقاء و افاضة، فاجأنا ذلك البحر الخضم الذي استقت منه مصادر التشريع أحكامها في الفقه و الحديث. و أبرزها: الكافي للكليني، و من لا يحضره الفقيه للصدوق، و الاستبصار و التهذيب للشيخ الطوسي، و وسائل الشيعة للحر العاملي، و سواها من كتب الفقه و الحديث و الاستدلال بما هو متوافر فيها من فتاوى و أحاديث و

روايات، جعل لها القرآن شاهداً، واستخرج من آياته دليلاً، وذلك من باب النوادر التي لا يمكن أن تقدر بضمن لأنها من الكنوز و الذخائر النفيسة. «سئل (عليه السلام): ما يقول العالم (عليه السلام) في رجل قال: نذرت لله لأعتقن كل مملوك كان في رقي قديماً، و كان له جماعة من المماليك؟ فكان الجواب [صفحة ٧٣] بخطه (عليه السلام): ليعتقن من كان في ملكه من قبل ستة أشهر، و الدليل على صحة ذلك قوله تعالى: (و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [١٤٨]. «و الحديث ما ليس له ستة أشهر» [١٤٩]. و في السياق نفسه، سئل (عليه السلام): ما يقول العالم في رجل قال: و الله لأتصدقن بمال كثير؛ فما يتصدق؟ فأجاب الامام بخطه: ان كان الذي حلف من أرباب شياه، فليصدق بأربع و ثمانين شاة، و ان كان من أصحاب النعم، فليصدق بأربعة و ثمانين بعيراً، و ان كان من أرباب الدراهم فليصدق بأربعة و ثمانين درهماً، و الدليل عليه قوله تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) [١٥٠]. فعدت مواطن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل نزول تلك الآية، فكانت أربعة و ثمانين موطناً [١٥١]. و سئل (عليه السلام)، ما يقول العالم في رجل نبش قبر ميت، و قطع رأس الميت و أخذ الكفن؟ فكان الجواب بخطه: يقطع السارق لأخذ الكفن من وراء الحرز، و يلزم مائة دينار لقطع رأس الميت، لأننا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمه قبل أن ينفخ فيه الروح [١٥٢]. [صفحة ٧٤] و عن علي بن أبي حمزة، قال: كنا بمكة سنة من السنين، فأصاب الناس تلك السنة صاعقة كبيرة حتى مات من ذلك خلق كثير، فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام)، فقال مبتدئاً من غير أن أسأله: يا علي ينبغي للغريق و المصعوق أن يتربص به ثلاثاً الى أن تجيء منه ريح يدل على موته. قلت: جعلت فداك، كأنك تخبرني أن دفن ناس كثير أحياء؟ قال: نعم، يا علي، قد دفن ناس كثير أحياء، و ما ماتوا الا في قبورهم» [١٥٣]. ان هذه الاجابات و هي سمحة لا عسير فيها، و واضحة لا ابهام بها، توحى بالمستوى العلمي لموازين الشريعة و أحكامها، و كانت استدلالاتها حجة لا تقبل الريب أو الشك، و هي غيضة من فيض. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و يظهر من بعض النصوص المأثورة عن الامام أن هناك من كان يعترض عليه في أحكامه و فتاواه، فلا يجد مناصاً من اضافة شرح أو زيادة استدلال، لا قناع خصمه بصواب قوله و صحة فتواه». و قد أورد بعض النماذج على ذلك [١٥٤]. و من ذلك: أن أبا يوسف أمره الرشيد بسؤال الامام. فقال للامام: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال الامام: لا يصلح. قال أبو يوسف: فيضرب الخباء في الأرض و يدخل البيت؟ قال: نعم. قال: فما الفرق بين الموضعين؟ قال الامام: ما تقول في الطامث أتقضى الصلاة؟ [صفحة ٧٥] قال: لا. قال الامام: فتقضى الصوم؟ قال: نعم. قال الامام: و لم؟ قال أبو يوسف: هكذا جاء. قال الامام: و هكذا جاء [١٥٥]. و قد دحض الامام في اجابته هذه مبدأ القول بالقياس، كما أوضح بأن الأحكام توقيفية تؤخذ كما ورد بها النص، و أن لا اجتهاد في مقابل النص. و عن علي بن يقطين، قال: سأل المهدي أبا الحسن (عليه السلام) عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل؟ فان الناس انما يعرفون النهي عنها، و لا يعرفون التحريم لها. فقال له أبو الحسن (عليه السلام): بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل. فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عز وجل؟ يا أبا الحسن. فقال الامام: قول الله عز وجل: (انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغى بغير الحق...) [١٥٦]. و أما الاثم فانها الخمر بعينها [١٥٧]. قال أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) و الاثم: قيل هو الذنوب و المعاصي عن الجبائي، و قيل الاثم ما دون الحد عن الفراء، و قيل: الاثم الخمر، و أنشد الأخفش: شربت الاثم حتى ضل عقلى كذاك الاثم تفعل بالعقول [صفحة ٧٦] و قال الآخر: نهانا رسول الله أن نقرب الخنا و أن نشرب الاثم الذي يوجب الوزر [١٥٨]. و قد ظهر مما تقدم: أن الاثم لا يخلو من معنيين: اما أن يكون هو المعاصي و الذنوب، و الخمر أحد مفرداتها و أبرز مصاديقها، و اما أن يكون هو الخمر بعينها كما تدل عليه الرواية عن الامام الكاظم، و يؤيده لغة و استعمالاً عند العرب الشاهدان الشعريان المتقدمان، و على كلا المذهبين في المعنى، فالخمر محرمة بهذه الآية، اما لكونها أحد مصاديق الاثم، و اما لأنها الاثم ذاتها، و اما بهما معا [١٥٩]. و لم يكن علم الامام مقتصر على جانب معين، و انما كان يعالج شتى المواضع بأسلوبه الرقيق، و بلغات متعددة؛ فقد كلم الامام غلاماً بالحشية، و أمره، و نهاه، و أوصاه... فعجب علي بن أبي حمزة من ذلك، فقال الامام: «لا تعجب، فما خفى عليك من أمر الامام أعجب و أكثر، و ما هذا من الامام في علمه الا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فان الامام بمنزلة

البحر لا ينفد ما عنده، و عجائبه أكثر من ذلك، و الطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً، و لا تنفذ عجائبه» [١٦٠]. ان هذه الظاهرة في التفوق العلمى تمثل ذاتية التحرك المعرفى لدى الامام، حتى أنها جلبت انتباه السلاطين و هم لا يعابون بالعلم، و لكنهم تحلقوا حول [صفحة ٧٧] الامام اختياراً، و هم أدركوا الناس بكفايته العلمية، فقد روى أن هارون الرشيد أنفذ الى الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فأحضره، فلما حضر عنده، قال ان الناس ينسبونكم لابن فاطمة الى علم النجوم، و ان معرفتكم بها معرفة جيدة، و فقهاء العامة يقولون: ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: اذا ذكرنى أصحابى فاسكتوا، و اذا ذكروا القدر فاسكتوا، و اذا ذكروا النجوم فاسكتوا. و أمير المؤمنين على (عليه السلام) كان أعلم الخلاق بعلم النجوم، و أولاده و ذريته الذين يقول الشيعة بامامتهم كانوا عارفين بها. فقال له الكاظم (عليه السلام): هذا حديث ضعيف، و اسناده مطعون فيه، و الله تبارك و تعالى قد مدح النجوم، و لولا أن النجوم صحيحة لما مدحها الله عزوجل، و الأنبياء (عليهم السلام) كانوا عالمين بها، و قد قال الله تعالى فى حق ابراهيم الخليل (عليه السلام): (و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين) [١٦١]. و قال فى موضع آخر: (فنظر نظره فى النجوم - فقال انى سقيم) [١٦٢]. فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها، و قال: انى سقيم. و ادرى (عليه السلام) كان أعلم أهل زمانه بالنجوم. و الله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم: (و انه لقسم لو تعلمون عظيم) [١٦٣]. و قال فى موضع: (و النازعات غرقا) الى قوله: (فالمدمبرات أمرا) [١٦٤]. [صفحة ٧٨] يعنى بذلك اثني عشر برجاً، و سبعة سيارات، و الذى يظهر بالليل و النهار بأمر الله عزوجل، و بعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم، و هو علم الأنبياء و الأوصياء و ورثة الأنبياء الذين قال الله عزوجل: (و علامات و بالنجم هم يهتدون) [١٦٥]. و نحن نعرف هذا العلم و ما نذكره [١٦٦]. و هذا الاتساع فى الادراك المعرفى لا- يصدر الا- من تلك النجمة المختارة فيما وهبت من العلم الرفيع، و كما قال هو (عليه السلام): «ان الله لا يجعل حجة فى أرضه يسأل عن شىء، فيقول: لا أدري» [١٦٧]. و لما كان الهدف العلمى معنياً باصلاح الذات أولاً، كان اهتمام الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بالنفس الانسانية و تهذيبها معلماً بارزاً من معالم تنمية الأخلاق و تقويمها لديه، فعمل على شحذ الهمم و صقلها، و حذب على معالجة ظواهر التخلف الاجتماعى، و عنى بالتربية الفاضلة المهيبة، و أراد للانسان حياة الصدق و الايثار، و حجب اليه محاسبة نفسه، و موازنة عمله. قال الامام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسناً استزاد الله، و ان عمل شيئاً استغفر الله منه، و تاب اليه» [١٦٨]. هذه المحاسبة أداة فاعلة فى الازدياد من الخير، و العمل على ضبط النفس و صيانتها من السيئات، و لو ارتطم بها كان عليه الانابة و الاستغفار، و هذا كله من سيماء الصالحين. [صفحة ٧٩] و يضيف الامام (عليه السلام) الى هذا التوجه خصائص أخرى ينبغى لأهل الخير الارتباط بها على الصعيد العملى فيقول: «التحدث بنعم الله شكر، و ترك ذلك كفر، فأربطوا نعم ربكم بالشكر، و حصنوا أموالكم بالزكاة، و ادفعوا البلاء بالدعاء، فان الدعاء جنه ترد البلاء و قد أبرم ابراما» [١٦٩]. و ندب الامام الى تعظيم أمر الخير، و اجتناب قليل الذنب، و أشار الى مراقبة النفس بخوف الله سرا، و دعا الى مكارم أخرى بقوله: «لا تستكثروا كثير الخير، و لا- تستقلوا قليل الذنوب، فان قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً، و خافوا الله فى السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف، و سارعوا الى طاعة الله، و أصدقوا الحديث، و أدوا الأمانة، فان ذلك لكم، و لا تدخلوا فيما لا يحل لكم، فانما ذلك عليكم» [١٧٠]. و هذا المنطق الجزل منحنى جديد فى استباق الخير، و الانتهاء عن الفكر، و الاسراع فى الطاعة، و حمل معالى الأمور شعاراً. و نهى الامام النفس عن الهوى، و النفس أئمن متاع ينبغى أن لا يفرط فيه جزافاً، و لا يلقي له القيادة انحداراً، قال الامام: «اتق المرتقى السهل اذا كان منحدره و عراً» [١٧١]. و الحديث هذا من غرر الأحاديث بلاغة و دلالة و ايجازاً. و دعا الامام الى الموازنة فى استقبال أيام العمر، فلا يستوى لدى الانسان الأريب يومه، و لا يستغل بيوم عما قبله، و ليكن يومه خيراً من أمسه، و غده خيراً من يومه، لثلاً- يغبن. [صفحة ٨٠] قال الامام: «من استوى يومه فهو مغبون، و من كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، و من لم يعرف الزيادة فى نفسه فهو فى النقصان، و من كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة» [١٧٢]. و كانت دعوة الامام الى التقوى تمثل ملحظاً ايجابياً يتوصل معه المرء الى الحق، فيقول: «اتق الله و قل الحق و ان كان فيه هلاكك، فان فيه نجاتك. اتق الله و دع

الباطل و ان كان فيه نجاتك، فان فيه هلاكك، اياك أن تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله. المؤمن مثل كفتي ميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه» [١٧٣]. و كان من أروع ما تحدث به الامام بيانا و دلالة و استقطابا تلك النفحات الندية العطرة التي تختلج في جوانحه الحري، و هي تسترعى مشاعر الانسان نحو أخيه الانسان، و سعى المؤمن في قضاء حاجة أخيه المؤمن، و وقوف الأخ جنب أخيه في الله لدى الشدائد، و متابعة الاحسان، ذلك كله في توجيهات رائعة المساس بصلب حياة الناس و تفجير طاقاتهم، و اعادة جزء من حقوقهم اليهم، مما أتاحه الله على أيدي الساعين الى الخير. قال الامام: «ان الله عبادا في الأرض يسعون في قضاء حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، و من أدخل على مؤمن سرورا أفرح الله قلبه يوم القيامة» [١٧٤]. [صفحة ٨١] أين نحن اليوم من هذه الحياة الحرة الكريمة التي يدعو الامام الى الامام بها؟ و أين هو السعي الحثيث لقضاء حوائج الناس؟ و أين أصحاب الجاه و المال و السلطان عن هذه المعاني التي تنبع من الضمير في تلبية النداء الانساني؟ و أين هم الراغبون بالأمن يوم القيامة؛ مساكين هؤلاء الذين تتاح لهم الفرص في اجراء المعروف و هم يتخلفون عنه، و ما الحياة الا اصطناع الخيرات، و الأيام دول... ألا وازع من شعور و احساس بالنفع الاجتماعي؟ ألا عودة بالغرائز الى ما فيه خير الدنيا و الآخرة؟ ألا اصلاح لدخائل هذا الكائن الثائفة فيلجأ الى موانئ الايثار و العمل الصالح؟ يخيّل الى أن الناس هم الناس في الأثرة و الأنانية، يسعى أكثرهم الى الشر و المكر، و يسعى القليل منهم الى الخير و المعروف، و قليل أولئك الذين يعانون من أجل مصلحة الآخرين، و لكنهم الآمنون يوم القيامة. و هنالك حديث ذو اسناد عال يرويه العبد الصالح علي بن جعفر الصادق عن أخيه الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فيه التحذير كل التحذير من التقصير في قضاء حاجة المسلم لأخيه المسلم، و هو من مضامين الاختبار العملي لحقيقة ولاية أهل البيت، و هو محك الاتصال بهذه الولاية و الفوز بها، و الا فهو النهش في القبر من قبل أبشع ضروب الأفاعي حتى يوم القيامة. يقول الامام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك و تعالى ساقها اليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، و هو موصول بولاية الله تبارك و تعالى، و ان رده عن حاجته و هو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعا من نار ينهشه في قبره الى يوم القيامة مغفورا له أو معذبا، فان عذره الطالب كان أسوأ حالا» [١٧٥]. [صفحة ٨٢] و كان الامام شديد الوطأة على الرافضين لاصطناع هذا المعروف المفترض، فهو ينذر و يحذر، و هو ينبئ و يخبر، عسى أن تتسع ذهنية أهل الحول و الطول و الفاعلية لاستقبال هذا التوجيه و التسديد. قال الامام: «من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره و هو قادر، فقد قطع ولاية الله عزوجل» [١٧٦]. و لم ينس الامام أن يتعاهد الناس بضروب التوجيه نحو الخير بكل طرقة و وسائله و أساليبه، و هو يريد للمسلم أن يتسم بالرجولة و الاستقلالية و القرار، و أن لا يعيش ذنبا أو تبعا، و أن لا يرى مذبذبا لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء فالانسان موقف، و الموقف سمة ذوى الادراك العقلي في التمييز الدقيق بين الحق و الباطل، و افراز الخير عن الشر، في رؤية مركزية. فعن الفضيل بن يونس الكاتب، قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد (عليه السلام): «أبلغ خيرا، و قل خيرا، و لا تكونن امعة». قلت: و ما الأمعة؟ قال الامام: تقول أنا مع الناس، و أنا كواحد من الناس. ان رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال: «يا أيها الناس، انهما نجدان، نجد خير و نجد شر، فما بال نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير» [١٧٧]. و لقائل أن يقول ما علاقة هذا كله بسيرورة علم الامام، و قد يكون الاعتراض وجيها، الا أن نظرة فاحصة في المثل العليا التي يدعو اليها العلم، تفترض أن هذه الانسانيات الصارخة من أهم أهداف ذلك العلم الذي يدعو [صفحة ٨٣] الى الحب و الاخاء و السلام و المواساة، و هو ما رأيته في هذا الطرح، و كان استقبال النخبة الواعية لهذه المعطيات الخيرة سبيلا رائعا الى انتشار علم الامام في الآفاق، و هذا ما يؤكد عليه الامام الرضا نجل الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام)، قال الامام الرضا: «رحم الله عبدا أحيا أمرنا؛ فليل له: و كيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا و يعلمها الناس، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا» [١٧٨]. أليس ما قدمناه من محاسن الكلام؟ أليس كلامهم جزءا من علومهم؟ و اذا ودعت هذا الجانب من العطاء العلمي السمح، و أردت الوقوف على الحياة العقلية عند الامام، فستجده عملاق النظر العقلي، و بكل الجدل الكلامي المفعم بروح الحضارة و التألق الفكري، بما سيره من مناظرات و محاضرات و محاورات تكفل بها الفصل القادم. و اذا أردت طلائع الاصرار على افاضة العلم في أحلك

الظروف، فما عليك الا الوقوف على تلك المراسلات و المكاتبات التي حررها الامام (عليه السلام) سواء أكان في المدينة المنورة في ظل الرقابة و الرصد السياسي، أم كان في محنة الارهاب في قعر السجون و المعتقلات، فان الظاهرة اللائحة في هذا الأثر أن الامام كان على أهبة الاستعداد المتكامل للاجابة الناجعة. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين في هذا الشأن: «لم يكن بإمكان السائلين و المستفهمين الراغبين في معرفة حكم الشرع و رأى الدين، أن يحضروا الى المدينة لملاقاة الامام و سماع ما يغنيهم به فيما يريدون معرفته و الوقوف على وجه الصواب فيه، بل كان بين هؤلاء المؤمنين المنتشرين في أصقاع العالم الاسلامي من لا يجد وسيلة الا مكاتبة الامام [صفحة ٨٤] للسؤال منه عما يخص شؤون دينه أو هموم دنياه و مشاكلها المستجدة على الدوام، و كان الامام يتلقى تلك الكتب برحابة صدر، و يقرأها بامعان، و يحرر لهم أجوبة ذلك كتابة أيضا [١٧٩]. و يبدو من قراءة تلك المكاتبات و الجوابات أن الامام لم يكن يكتفى في بعض الأحيان بمجرد الرد على مورد السؤال و بيان الحكم الشرعي فيه، و انما كان يتعدى هذا الجانب بعد الاجابة عليه الى التنبيه على أمور أخرى ليست من صلب المطلب الذي حرر الكتاب لأجله، و لكنها ذات مساس بصاحب الرسالة فيما يتعلق بوهم فكري قد سقط فيه، أو شأن ديني قد جهله أو غفل عما ينطوي عليه من نتائج غير محمودة العاقبة...» [١٨٠]. و هنالك آثار تدل على هذا الملحظ بالاشارة الى تنبيهات خارجة عن الموضوع داخله فيه، فهي غيره و هي امتداد له [١٨١] و الذي يعيننا هذا الزخم الهائل من الاجابات التي تندفع بدقة و امعان لتعيد الى الذهن ما رآه السيد أمير على الهندي عندما تحدث عن مدى الخسارة الكبرى التي منى بها العالم الاسلامي بوفاء الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، و لكنه استثنى بقوله: «غير أن الحلقة العلمية - لحسن الطالع - لم تتوقف بوفاته، اذ طفتت تزدهر برئاسة ابنه موسى، الملقب بالكاظم». لقد كان هذا الازدهار على يد الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) حقيقة علمية لا فرضية اعلامية، فعلى الرغم من كل المعوقات الجامعة التي منى بها عصره، و في ظل جميع الافرازات السياسية المضنية، رأينا عطاء الامام حثيثا في شموليته، [صفحة ٨٥] مشرقا في انسانيته، متوسعا في ترامي أطرافه. و كان من التوفيق الالهي و اللوح الغيبي المتواصل أن نشأ في ظل الامام و رعايته جيل عتيق من أعظم تلامذته و طلابه في مرافقتهم اياه و ملازمتهم له، فهم قد انتهلوا من نمير علمه العذب، و هم أيضا قد بادروا الى تسجيل ذلك في الآثار، مما أوجد حالة علمية تحدها الرغبة الملحة في اشاعة المعرفة الانسانية، و تدفعهم النيات الخالصة الى تعميق ما حصلوا عليه من الثقافية التشريعية النقية، و تواكبهم الآمال المشرقة في تحصيل المعارف الاسلامية الجوهرية، و كان هذا الترويض قد حرّمهم كثيرا من الامتيازات و الحقوق في حياتهم السياسية، فلم ينعموا برفاه اقتصادي، و لم يحلموا بجاه اعتباري، و لم يحصلوا على مكسب اضافي، و كان العكس هو الصحيح، فالدولة لهم بالمرصاد، تتعقب حركاتهم و سكناتهم، و تحتجن حقوقهم العامة و الخاصة، و تصدر لهم كل حرية. و بتعبير أوضح: فان تلامذة الامام بالتفافهم حول علم أهل البيت (عليهم السلام)، قد اتخذوا التضحية مبدأ، و الحرمان شعارا، لما سوف يتعرضون له من النعمة و البؤس و الشقاء، و لما سوف يطرأ على حياتهم و استقرارهم من جور و عسف، و لما سوف تتعرض له حريتهم الشخصية من ملاحقة أجهزة القمع و الارهاب.

تلامذة الامام و التراث العلمي

احتضن تلامذة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) خزانة التراث العلمي للامام، و نهض هؤلاء التلامذة بعبء الرواية و التحديث و التأليف و التصنيف، و شرعوا بمهمة التلقي الحثيث لينهضوا بمهمة الابلاغ و التبليغ، و ما عتّموا أن أجادوا فني المدارس و البحث، و من ثم تخصصت كل طائفة منهم بفن من الفنون الأساسية كان أبرزها: علوم القرآن، الحديث، الفقه، الأصول، الكلام، الغريب، المنطق، الفلسفة، و الانسانيات بعامة. [صفحة ٨٦] فكان منهم المفسرون و المحدثون و الرواة و علماء الأخبار، و رجال التشريع، و قادة الفكر الامامي، و رواد الثقافة الحرة، و حماة التراث. و لم تكن معارف الامام لتفرض على الطلاب فرضا في شيء من مفرداتها الموسوعية الضخمة، و انما كانت حرية الاختيار من ألمع ملامحها، و ارادة التخصص هي الحاكمة في المشروع العلمي، دون أية

ضغوط أو إخراجات أو تعقيد، فالأكره غير وارد على الإطلاق في فرض علم معين؛ نعم لا ريب أن علوم الشريعة أسماها منزلة، و أجداها عائدية، لأنها من سبل الهداية. و الظاهرة التي تلحظ في الاتجاه كثرة تلامذة الامام، و تعدد نزعاتهم العلمية، و المنظور العام لهذه الظاهرة يؤكد حقيقتين: الأولى: تتمثل بهذه الأعداد الهائلة لأولئك التلامذة مع وجود الصارف التعسفي لازديادها، نظرا لاجراءات الضغط السياسي. الثانية: تتمثل بذلك المخزون الثقافي المدخر و هو يفيض بالحرية و الأكاديمية في مجالي التخصص و البحث الطليق على حد سواء، و هذا ما نهضت به في بداية القرن العشرين الجامعات الرصينة في العالم، و الا ما كان لدى الأتنيين و الاغريقين قبل المسيح (عليه السلام)، حينما كان بعض الفلاسفة يتمتعون الهواء الطلق و هم يلقون دروسهم بحرية في حدود. و لست أعلم مصدرا حديثا أو روائيا من موسوعات الامامية الا و عرض لمئات الرواة و المحدثين و العلماء من أصحاب الامام و تلامذته، يضاف لذلك كتب التراجم و السيرة و الفهارس و البيلغرافيا [١٨٢]. [صفحة ٨٧] يقول الأستاذ باقر شريف القرشي: «لقد احتفى بالامام - موسى بن جعفر (عليه السلام) - أثناء اقامته في يثرب جمع غفير من كبار العلماء و رواة الحديث ممن تتلمذ في جامعة أبيه الكبرى التي أنارت العقل الانساني، و أطلقت من عقال الجهل، و قد أفاض عليهم الامام الشيء الكثير من علومه و معارفه المستمدة من علم جده الرسول (صلى الله عليه و آله)، كما زود الفقه الاسلامي بطاقات كبيرة من آرائه...» [١٨٣]. و كان احتفاء هؤلاء التلامذة فيه كثير من الاعداد الحضاري، و كثير من الحرص المعرفي، و هناك نص ثمين في هذا السياق رواه ابن طاووس، و النص هذا يشير الى: أن أصحاب الامام و خواصه كانوا يحضرون مجلسه، و معهم في أكمامهم ألواح أبنوس لطاف، و أميال، فاذا نطق الامام بكلمة، أو أفتى في نازلة، بادروا الى تسجيل ذلك [١٨٤]. و تلامذة الامام كتلامذة غيره من العظماء، ليسوا في سوية واحدة، و انما تختلف مراتبهم في الضبط و العدالة و الوثاقة، فمنهم الطبقة العليا الرفيعة المعبر عنهم: بأصحاب الاجماع الذين أشار اليهم الشيخ الطوسي (ت ٦٦٠هـ) بقوله: «انه اجتمع أصحابنا على تصديق ستة نفر من فقهاء الكاظم و الرضا (عليهما السلام)، و هم: يونس بن عبد الرحمن، و صفوان بن يحيى بياح السابري، و محمد بن أبي عمير، و عبدالله بن المغيرة، و الحسن بن محبوب السراذ، و أحمد بن محمد بن أبي نصر...» [١٨٥]. و منهم من هو دون ذلك، و هو ما تتكفل بالاشارة اليه مصادر الجرح و التعديل عند الامامية. [صفحة ٨٨] و هؤلاء أصحاب الاجماع يمتازون بأن لهم مؤلفات و روايات تؤخذ بعين الرضا و التسليم لمضامينها كما قيل أن مراسيل ابن أبي عمير كمسانيد غيره من الثقات. و قد ألف صفوان بن يحيى أكثر من ثلاثين مؤلفا، و روى عن أربعين من تلامذة الامام الصادق (عليه السلام). و ألف يونس بن عبد الرحمن أكثر من ثلاثين مؤلفا نص عليها آل ياسين [١٨٦]. و ألف عبدالله بن المغيرة الكوفي الخزاز ثلاثين كتابا، أبرزها: كتاب الزكاة، و كتاب الصلاة، و كتاب الفرائض، و كتاب الوضوء، و كتاب في أصناف الكلام [١٨٧]. أما الحسن بن محبوب السراذ فمؤلفاته كثيرة، و هو من ثقات أصحاب الامامين موسى بن جعفر، و ولده علي الرضا (عليهما السلام) [١٨٨]. و لأحمد بن محمد بن أبي نصر البنزطي عدة مؤلفات نص عليها ابن النديم [١٨٩]. يقول الأستاذ هاشم معروف الحسني بعد ذكره لهؤلاء الثقات: «هؤلاء الستة، و ستة من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق، قد أجمع المحدثون على تصديقهم و الأخذ بمروياتهم، و هذا ما تعنيه تسميتهم بأصحاب الاجماع» [١٩٠]. و الحديث عن ثقات الأصحاب قد يطول بنا، فهم من الكثرة بمكان، و الذي يعيننا من هذا كله: أن هؤلاء فرادى و مجتمعين قد شكلوا المحور [صفحة ٨٩] الأساسي لنشر علم الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فنهذ كل منهم بمهمته ما استطاع الى ذلك سبيلا دون ملل أو كلل. فكانوا رجال المهمات الصعبة كما يقال اليوم. و لا- نريد أن نؤكد على هؤلاء فحسب، فقد كان من ثقاته: الحسن بن علي بن فضال الكوفي، و عثمان بن عيسى، و داود بن كثير الرقي، و علي بن الامام جعفر الصادق (عليه السلام). و من خواص أصحابه: علي بن يقطين، و أبو الصلت: عبدالسلام الهروي، و اسماعيل بن مهران، و أحمد بن محمد الحلبي، و موسى بن بكير الواسطي، و ابراهيم بن أبي البلاد الكوفي [١٩١]. و قد تحدث الأستاذ باقر شريف القرشي عن كوكبة أصحاب الامام و تلامذته و الرواة عنه من المشهورين شهرة مستفيضة في مائة و خمسين صفحة احتضنت تراجم ثلاثمائة و واحد و عشرين علما من أعلامهم، بما يعد مرجعا مهما في معرفه أحوالهم، و تعداد مؤلفاتهم، و

بيان منزلة كل واحد منهم [١٩٢]. وقد رصد الأستاذ محمد حسن آل ياسين مهمات طائفة من هؤلاء المنفلين عن الامام، و أكد دورهم في التصنيف و التأليف، و تناول ضبطهم في تدوين الأمالي و تسجيل الأصول، فقال: «و أمر يجب أن يسجل بفخر و اعتزاز أن النوابع و البارعين من حضار مجلس الامام و حلقة درسه، و من المتلقين الواعين الذين سمعوا منه و شافوه، قد بادروا أولا بأول الى تسجيل تلك الأمالي و المسموعات في مدونات خصصوها لهذا الغرض سماها بعضهم (الأصول) و ربما أضافوا فيها الى تلك المشافهة من الامام الكاظم (عليه السلام) ما روه مباشرة أو اسنادا عن أئمة أهل البيت السابقين (عليهم السلام)، [صفحة ٩٠] و كان منهم من بوب تلك الروايات بحسب مطالبها و موضوعاتها، فجعل كل ما يتعلق بموضوع منها في كتاب خاص مستقل باسمه و محتواه» [١٩٣]. ثم قدم الأستاذ آل ياسين كشفا ببلغرافيا دقيقا للمؤلفين من تلامذة الامام (عليه السلام) و سجل أسماء كتبهم و موضوعاتها، و أشار الى المصادر التي ذكرتها، فكان عدد ما توصل اليه: مائة و خمسة عشر مؤلفا، تصل بعض أعداد مؤلفات الواحد منهم الى ثلاثين كتابا، و تلك لعمري ثروة طائلة. كما أشار الى الأحاديث التي جمعها أبو عمران موسى بن ابراهيم المروزي مما سمعه من الامام (عليه السلام)، و دونه عنه، و يعرف ب «مسند الامام موسى بن جعفر». و قد وقف على نسخته المخطوطة في خزانه الكتب الظاهرية بدمشق، و عرف بها في بحث تفصيلي في مجلته «البلاغ» الصادرة في الكاظمية: ١٣٩٦ هـ [١٩٤]. و كان لتسجيل مرويات الامام من قبل طلابه النابهين و تدوينها في رسائل و كتب و أطاريح - حذر التلف و الضياع و النسيان - أهمية كبرى ذات هدفين في سياق واحد، الأول: كونها سلاحا معرفيا متميزا بكفايته العالية المتقدمة يقضى فيه على الجهل و الأمية و التخلف. و الثاني: كونها عبارة عن وثائق مكتوبة عن الامام مباشرة لها قيمتها التاريخية الدقيقة. و هما معا مما تحتاج له مرحلة التدوين الموثق للاحتفاظ بذخائر أهل البيت من مصادرها الأولى. و للأمانة و التقدير؛ فله در تلك الصفوة المختارة في تحقيق هذه المهمة الريادية بتلك الأجواء القاتمة، حتى ليعد عملهم هذا ثورة شعواء على التقاليد السياسية [صفحة ٩١] الموروثة في الغاء دور أهل البيت في المجالات كافة. كما يعتبر هذا الجهد الجبار حيوية نابضة جديدة في احكام الروابط المصيرية الكبرى بين الامام و تلامذته، بحيث تحولت تلقائيا الى أواصر مثبتة من الحب و الولاء و التفاني، فتشابكت العلاقات الأساسية بينهما بحيث عادا ممثلين حقيقيين لتلك الثوابت الأخلاقية في وجه مشرق من الاخلاص و التضحية للمبادئ التي يحملها فكر أهل البيت في ميادين العقيدة و الحياة، و بما يتطلب ذلك الاخلاص و تلك التضحية من ثبات، و جرأة، و ألم، و خوف، و قلق، و مداراة، و ترقب، و حرمان، و مأساة. و هذا سبيل النضال المرير المعاكس لتيار الضغط و الشر و الارهاب، و ليس هو مجرد أفكار عابرة تنام حيناً، و تستيقظ حيناً، و لكنه الاعتداد بالفكر المناوئ لحقائق الأشياء، و هو لذلك يحسب له ألف حساب و حساب من قبل السلطان. و لك أن تقدر مدى عناء هؤلاء العلماء من ملوك الزمان، و لك أن تتصور تلك التضحيات الضخام التي قدموها من أجل اعلاء كلمة الله في الأرض، فهم بين هلع و اضطراب من الولاء، و هم بين رقابة و استنفار من الأجهزة، بل حتى قذف ببعضهم الى السجون. فهذا محمد بن أبي عمير، و هو من أوثق الرواة، و تقدم أن مراسليه بمنزلة الصحاح، و قد ألف أربعة و تسعين كتابا في مختلف الفنون، فكان أحد أساطين الفقه و الحديث [١٩٥]. و كان من عباد الله الصالحين، شديد الورع، معروف بالتقوى، ذا منزلة متميزة في العابدين، مشتهرا بسجوده و تخته حتى ضرب به المثل [١٩٦]. و يبدو أن سجلا خاصا بأعيان أصحاب الامام كان لديه، أو أنه على معرفة بعلي القوم كما يقال، فأمر به الرشيد الى السجن، و بقي في غيابه [صفحة ٩٢] سبعة عشر عاما، و جىء به مكبلا بالقيود، فطلب اليه الرشيد أن يعرفه بأسماء الشيعة، فامتنع عن ذلك، فأمر به أن يضرب مائة سوط، فكاد أن ييوح بأسمائهم. يقول هو نفسه: فكدت أن أبوح بأسمائهم، الا أنني سمعت نداء يونس بن عبد الرحمن يقول لى: يا محمد بن أبي عمير؛ أذكر موقفك بين يدي الله، فتقويت بقوله، فصبرت، و لم أخبر، و الحمد لله [١٩٧] و يبدو أن يونس بن عبد الرحمن كان معه في السجن، فناداه بذلك. و هذا هشام بن الحكم، و هو من أبرز علماء الكلام من الامامية، و ذو منزلة عليا عند الامام الصادق و ولده الكاظم (عليهما السلام)، و هو في الشرف الباذخ من التكريم و التجلة لديهم، و له باع طويل في الاحتجاج لمبدأ الامامة، و نصر فكر الأئمة في العقائد، و له من المؤلفات العدد الأكثر كما ذكر ذلك ابن النديم و النجاشي [١٩٨]. و قد ذكر له

القرشي ثلاثين كتابا فيما تتبعه [١٩٩]. وقد عدد آل ياسين من مؤلفاته بأسمائها: اثنين و ثلاثين كتابا [٢٠٠] وقد قيل بالجود، و وجد عليه يحيى بن خالد البرمكي، فوشى به الى الرشيد بأنه يقول بالامامة، و أن الامام اذا أمره بأمر نفذ ذلك. و وقف الرشيد على هذا الأمر، و استمع الى هشام يقول: «ان الامام اذا أمره بحمل السيف، أذن لأمره، و نفذ طلبه». فأمر الرشيد بالقاء القبض عليه، فهرب هشام الى الكوفة مستخفيا، و نزل على بشير النبال، و كان من حملة الحديث، فأخفاه. [صفحة ٩٣] ثم اعتل علة شديدة، و الطلب عليه حثيث، فقال له آتيك بطبيب؟ قال: لا؛ أنا ميت. و لما حضره الموت قال لبشير: اذا فرغت من جهازى، فاحملنى وضعنى فى الكناسة، و اكتب رقعة: هذا هشام بن الحكم الذى طلبه الرشيد مات حتف أنفه. و كان الرشيد قد أخذ به اخوانه و أصحابه، فاعتقلهم؛ و نفذ بشير الوصية، فحضر القضاء و المعدلون فشهدوا بذلك، و كتب به الى الرشيد [٢٠١]. و هذا يونس به عبدالله، كثر حساده و أعداؤه، لقوله بهذا الأمر، حتى ضجر، و شكك ذلك الى الامام، و قال له: انهم يقولون لى زنديق!! فنهه الامام عن وجده، و قال له: «ما يضرك أن يكون فى يدك لؤلؤة، فيقول الناس: هى حصاة. و ما ينفعك أن يكون فى يدك حصاة، فيقول الناس لؤلؤة» [٢٠٢]. و كان سلاح الاتهام بالزندقة قد يشهر فى وجوه أولياء أهل البيت ظلما و عدوانا، فينكل بهم، و يعتدى عليهم. كل هذا المناخ الجاف البغيض لم يمنع أصحاب الامام موسى بن جعفر من التوجه اليه حتى و هو سجين، و كان من بينهم: هند بن الحجاج، و على بن سويد، و المسيب بن زهرة الذى نيطت به حراسة الامام، أو حبس عنده [٢٠٣]. الا أن الامام هداه السبيل، فأصبح من أوليائه، و من حملة أسرار الأئمة [٢٠٤]. [صفحة ٩٤] و كان من أبرز أصحابه الذين تشرفوا بخدمته فى سجن السندى: موسى بن ابراهيم المروزى. و قد سمح له السندى بالاتصال بالامام، و الاستماع اليه، لأنه كان معلما لولده. و قد قام موسى هذا بدور مشرف حينما ألف كتابا مما رواه عن الامام مباشرة و سماه «مسند الامام موسى بن جعفر» [٢٠٥] و قد سبق الحديث عنه. و هكذا تابع تلامذة الامام أستاذهم الأعظم، و نشروا علمه بين الناس، و استخدموا الوسائل المشروعة لاداعته، حتى بلغوا بهذه الغاية الذروة، بما قضى على الجمود و الاخفاق المعرفى، و بما حرر تلك الأحاسيس الكئيبة- نتيجة ظلم العصر - و أطلق منها بالثقافة الواعية. ان هذه الكوكبة اللامعة سلوكا و ادراكا و مسؤولية، لتستحق منا الاجلال و الكرامة، لأنها آثرت المصلحة الاسلامية على مصالح الذات، فعانت من الكيد السياسى و التخطيط الارهابى صابرة محتسبة، لم تنزع الى منصب، و لم تطمع بسلطان، و لكنها فضلت ما عند الله مردا، فزهدت بما عداه من الظواهر.

تعليمات الامام لتهديب الشعب المسلم

فى أعالى النصح البشرى، و قمة الوعي الاصلاحى تبدو للامام موسى بن جعفر وصايا و ارشادات و حكم قصار، تمثل عصارة الفكر التجريبي فى حياة العقل، أفاض بها الامام نضرة عطرة تتروح بها القلوب، و تهفو لها المشاعر و الأحاسيس، و هى جزء لامع من ذلك الاشعاع المتوهج الداعى لتهديب النفس الانسانية، و انقاذ الهيكل [صفحة ٩٥] الاجتماعى من التداعى و الانهيار، و الأخذ بكيان الشعب المسلم الى التماسك و الاستمرار، و كأنها تلك اليد التى تدفع به الى شواطئ الأمن و الدعة و الحرية من وراء الغيب. و هى بعد ألفاظ جارية مجرى الأمثال فى الذبوع و الانتشار، فيها بلاغة القول، و فخامة المعنى، و جلاء الصورة، جاءت برصف بيانى عفوى جديد، لا عنت فيه و لا تكلف به، فهو حديث النفس للنفس. و نداء الضمير للضمير، و أى ضمير أنقى و أظهر من ضمير الامام موسى بن جعفر، و هو يريد للمستوى الأخلاقى أن يتطور، و للذات أن ترتفع عن صغائر الأمور، و للنفس أن تمتلىء نورا و ثباتا و يقينا، و أن يلتقى الوجه الخارجى للانسان بالمحتوى الداخلى ليشكل كلا لا ينفصل فى تهذيب الأفكار. و تلك اشارات و رموز و شواخص لا تجد أمثالها فى غير مشروع أهل البيت الحضارى، فهم للبشرية جمعاء، و هم للناس فى كل زمان و مكان. و الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قديس أهل البيت فى السلوك و الانابة، و رهبانى هذه الأمة فى الخشوع و السمت العرفانى، هذا من جانب؛ و من جانب آخر نجده رمز التصدى للانحلال و التدهور، و قد نذر نفسه من موقع المسؤولية الرسالية لقيادة الأمة، و مباشرة مشكلاتها فى التربية و التعليم و الأخلاق و وجهها لوجه، فما استلان عودا، و لا وهن تبليغا، و لا ضعف أداء، كيف لا؟ و هو الناطق الهادر بالابلاغ الرسالى، لم

تشنه عن مهمته العقبات ولا- النكبات فى أقسى الظروف ضراوة، و أشد العصور استفزازا، فكان الشاخص المائل الذى تستطيل له العيون، فيغمرها هيبة و وقارا و جلالا. ان هذه النصائح و الوصايا المختارة التى ستقرأها بالامكان - لو استثمرت استثمارا عقليا مجردا - أن تؤدى الى رحاب الحكمة و رياضة [صفحة ٩٦] النفس بعيدا عن الأوهام و التعالى، فهى تصور المبدأ العام للآداب الرفيعة، و هى تعبد الطريق الى تفاعل الضمير مع الحياة، و تدعو الى التعامل البشرى السليم، و هى بعد: ليست من قبيل الأصوات التى لا تجد لها صدى فى التأثير، بل هى نهج عالمى نظما و تكوينا و فكرا، ينطلق من ذات عرفت بترسيخ القيم و المبادئ، و من شأنها أن توفر على الطالب قراءة عشرات الكتب فى تهذيب النفس. و لا يخالجنأ أدنى شك أن هذه المقطعات السائرة من تعليمات الامام تعتبر كنزا من كنوز الاسلام، حاولنا اختيار نماذج منها تعنى بالأدب، و الخلق، و البر، و الايثار، و التراحم، و الاحسان، و الارتفاع بالانسان الى انسانيته الفاضلة، و هى من خزائن علم الامام فى الدين و الاجتماع و الحب و فلسفة الحياة من نواذر الآثار العالمية. و ميزة أخرى أنها من السهل الممتنع، فهى فى غاية الوضوح و السماح، و كان دورى فيها: حسن الاختيار، و ترتيبها على طريقة «الألفباء» تسهيلا للتداول، و تنظيما للآخذ. و كانت مواردنا منتشرة و مزدهرة فى طائفة من المصادر منها: أصول الكافى للكلينى، و التوحيد و المعانى للصدوق، و التهذيب و الاستبصار للشيخ الطوسى / و الارشاد للمفيد / و قرب الاسناد للحميرى / و المحاسن للبرقى / و تحف العقول لابن شعبة / و الاحتجاج للطبرسى / و كشف الغمة للاربللى / و بحار الأنوار للمجلسى، و وسائل الشيعة للحر العاملى، و أعيان الشيعة للأمين الحسينى العاملى / و حياة الامام موسى بن جعفر لباقر شريف القرشى / و الامام موسى بن جعفر لمحمد حسن آل ياسين، و سواها. [صفحة ٩٧] (أ) ١ - الله ينزل المعونة على قدر المؤونة، و ينزل الصبر على قدر المصيبة. ٢ - أداء الأمانة و الصدق يجلبان الرزق، و الخيانة و الكذب يجلبان الفقر و النفاق. ٣ - اتق الله، و قل الحق و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك. ٤ - اتق الله، و دع الباطل و ان كان فيه نجاتك، فان فيه هلاكك. ٥ - اياك أن تمنع فى طاعة الله، فتفتق مثليه فى معصية الله. قال عند قبر حضره: ٦ - ان شيئا هذا آخره، لتحقيق أن يزهد فى أوله، و ان شيئا هذا أوله، لتحقيق أن يخاف آخره. ٧ - اذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيرا حتى يعرف ذلك منه. ٨ - ان العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره، و لا يغلب الحرام صبره. ٩ - ان كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شىء من الدنيا يغنيك. ١٠ - ان أعظم الناس قدرا الذى لا يرى الدنيا لنفسه خطرا. ١١ - أما أن أبدانكم ليس لها ثمن الا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها. ١٢ - أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا. ١٣ - ان العاقل: لا يحدث من يخاف تكذيبه، و لا يسأل من يخاف منعه، و لا يعد ما لا يقدر عليه، و لا يرجو ما يعنف برجائه، و لا يتقدم على ما يخاف العجز عنه. ١٤ - ان الرفق و البر و حسن الخلق يعمر الديار، و يزيد فى الرزق. ١٥ - اصبر على طاعة الله، و اصبر عن معاصى الله... [صفحة ٩٨] ١٦ - اياك و الكبر، فانه لا يدخل الجنة من كان فى قلبه حبة من كبر. ١٧ - اياك و مخالطة الناس و الأنس بهم، الا أن تجد منهم عاقلا و مأمونا فأنس به، و اهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية. ١٨ - اياك و الطمع، و عليك باليأس من أيدى الناس. ١٩ - اياك و الكسل و الضجر، فانهما مفتاح كل سوء. ٢٠ - اياك و المزاح فانه يذهب بنور ايمانك، و يستخف بمروءتك. ٢١ - اياك و الكسل و الضجر، فانهما يمنعانك من حظك فى الدنيا و الآخرة. ٢٢ - اياك أن يراك الله فى معصية نهاك عنها، و اياك أن يفقدك عند طاعة أمرك بها... ٢٣ - أمت الطمع من المخلوقين؛ فان الطمع مفتاح الذل، و اختلاس العقل، و اختلاف المروات، و تدنيس العرض، و الذهاب بالعلم. ٢٤ - ان ضوء الروح العقل، فان كان العبد عاقلا كان عالما بربه، و اذا كان عالما بربه أبصر دينه. ٢٥ - ان كل الناس يبصر النجوم، و لكن لا يهتدى بها الا من يعرف مجاريها و منازلها، و كذلك أتم تدرسون الحكمة، و لكن لا يهتدى بها منكم الا من عمل بها. ٢٦ - ان لله عبادا فى الأرض يسعون فى حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة. ٢٧ - أفضل العباد بعد المعرفة: انتظار الفرج. ٢٨ - اذا كان الرجل حاضرا فكنه، و اذا كان غائبا فسمه. ٢٩ - اتق المرتقى السهل اذا كان منحدره و عرا. ٣٠ - ان قوما يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفا؛ هم الآمنون يوم القيامة. [صفحة ٩٩] ٣١ - ان أهل الأرض لمرحومون ما تحابوا، و أدوا الأمانة، و عملوا بالحق. ٣٢ - اذا لم تستح فاعمل ما شئت. ٣٣ - ان الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء. ٣٤ - ان الصمت باب من أبواب

الحكمة، و ان الصمت يكسب المحبة، و انه دليل كل خير. ٣٥ - أحسن من الصدق قائله، و خير من الخير فاعله. ٣٦ - أما و الله؛ لئن عز بالظلم فى الدنيا، ليدلن بالعدل بالآخرة. (ت) ٣٧ - التدبير نصف العيش. ٣٨ - التودد الى الناس نصف العقل. ٣٩ - تفقهوا فى دين الله، فان الفقه مفتاح البصيرة، و تمام العبادة، و السبب الى المنازل الرفيعة و الرتب العالية فى الدنيا و الدين. (ث) ٤٠ - ثلاثة يجلين البصر: النظر الى الخضرة، و النظر الى الماء الجارى، و النظر الى الوجه الحسن. (ر) ٤١ - رأس السخاء أداء الأمانة. (ز) ٤٢ - زاحموا العلماء فى مجالسهم و لو حبوا على الركب، فان الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر. [صفحة ١٠٠] (ص) ٤٣ - الصنعة لا تكون صنعة الا عند ذى دين أو حسب. (ع) ٤٤ - العجلة هى الخرق. ٤٥ - عليك بالرفق فان الرفق يمن و الخرق شؤم. ٤٦ - عليك بالاعتصام بربك، و التوكل عليه، و جاهد نفسك لتردها عن هواها، فانه واجب عليك كجهادك عدوك. ٤٧ - عونك للضعيف أفضل من الصدقة. ٤٨ - العجب كل العجب للمحتمين من الطعام و الشراب مخافة الداء ان نزل بهم، كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار اذا اشتعلت فى أبدانهم. (غ) ٤٩ - الغضب مفتاح الشر. (ف) ٥٠ - فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب. (ق) ٥١ - قلة العيال أحد اليسارين. ٥٢ - قلة الوفاء عيب بالمروءة. (ك) ٥٤ - كثرة الهم تورث الهرم. ٥٥ - كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان. [صفحة ١٠١] ٥٦ - كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون. ٥٧ - كن باراً و اقتصر على الجنة، و ان كنت عاقا فظا فاقصر على النار. ٥٨ - كذب سمعك و بصرك عن أخيك... ٥٩ - كفى بالتجارب تأديبا، و بمر الأيام عظة، و بأخلاق من عاشرت معرفة، و بذكر الموت حاجزا عن المعاصى... ٦٠ - الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبه الله فى النار. (ل) ٦١ - لا دين لمن لا مروءة له، و لا مروءة لمن لا عقل له. ٦٢ - لا تمنحوا الجاهل الحكمة فتظلموها، و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم. ٦٣ - ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه، و تاب اليه. ٦٤ - لا تكونن مبتدعا. ٦٥ - لا خير فى العيش الا لمسمع واع أو عالم ناطق. ٦٦ - لا تبذل لآخوانك من نفسك ما ضرره أكثر من منفعتهم. ٦٧ - لو ظهرت الآجال لافضحت الآمال. ٦٨ - لا تضع حق أخيك اتكالا- على ما بينك و بينه، فانه ليس بأخ من ضيعت حقه. ٦٩ - لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته. ٧٠ - ليس حسن الجوار كف الأذى، و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى. ٧١ - لا تذهب الحشمة بينك و بين أخيك، و ابق منها، فان ذهابها ذهاب الحياء. [صفحة ١٠٢] ٧٢ - لا تحدثوا أنفسكم بفقر و لا بطول عمر، فان حدثت نفسك بالفقر بخل، و من حدثها بطول العمر يحرص. (م) ٧٣ - من أيقن بالخلف جاد بالعطية. ٧٤ - ما عال امرؤ اقتصد. ٧٥ - من أحزن والديه فقد عقهما. ٧٦ - من ضرب بيده على فخذه، أو واحدة على الأخرى عند المصيبة، فقد حبط أجره. ٧٧ - من اقتصد و قنع بقيت عليه النعمة. ٧٨ - من بذر و أسرف زالت عنه النعمة. ٧٩ - المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها الا بالصبر، و الاسترجاع عند الصدمة. ٨٠ - المؤمن كمثل كفتى ميزان، كلما زيد فى إيمانه زيد فى بلائه. ٨١ - من لم يتفقه فى دينه لم يرض الله له عملا- ٨٢ - المصيبة للصابر واحدة، و للجازع اثنتان. ٨٣ - ما عبد الا- و ملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع الا رفعه الله، و لا يتعاضم الا وضعه الله. ٨٤ - مجالسة أهل الدين شرف الدنيا و الآخرة. ٨٥ - محادثة العالم على المزابل، خير من محادثة الجاهل على الزرابى. ٨٦ - من نظر برأيه هلك. ٨٧ - من ترك أهل بيت نبيه (صلى الله عليه و آله) ضل. [صفحة ١٠٣] ٨٨ - مشاركة العاقل يمن و بركة و رشد و توفيق من الله، فاذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك و الخلاف، فان فى ذلك العطب. ٨٩ - من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيرا به فى بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عزوجل. ٩٠ - من أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة. ٩١ - المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستغل بالمعاول، و المؤمن لا يستغل دينه بشىء. ٩٢ - من تكلف ما ليس من عمله ضاع عمله، و خاب أمله. ٩٣ - ما أهان الدنيا قوم قط الا هنأهم الله اياها، و بارك لهم فيها، و ما أعزها قوم الا بغضهم الله اياها. ٩٤ - من أتى الى أخيه مكروها فبنفسه بدأها. ٩٥ - من ولده الفقر أبطره الغنى. ٩٦ - ما أستب اثنان الا انحط الأعلى منهما الى المرتبة السفلى. ٩٧ - المؤمن أخو المؤمن لأمه و أبيه، و ان لم يلد له أبوه. ٩٨ - المعروف تلو المعروف غل لا يفكه الا مكافأة أو شكر. ٩٩ - ملعون من اتهم أخاه. ١٠٠ - ملعون من

لم ينصح لأخيه. ١٠١ - ملعون من احتجب عن أخيه. ١٠٢ - ملعون من اغتاب أخاه. ١٠٣ - من لم يكن له من نفسه واعظ تمكن عدوه منه. ١٠٤ - المغبون من غبن من عمره ساعة. [صفحة ١٠٤] ١٠٥ - من ترك التماس المعالي لانقطاع رجائه فيها لم ينل جسيما. ١٠٦ - من تكلم في الله هلك، و من طلب الرئاسة هلك، و من دخله العجب هلك. ١٠٧ - من قصده رجل من اخوانه مستجيرا في بعض أحواله، فلم يجره أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عزوجل. ١٠٨ - من استشار لا يعدم عند الصواب مادحا، و عند الخطأ عاذرا. ١٠٩ - من اقتصد و قنع بقيت عليه النعمة، و من بذر و أسرف زالت عنه النعمة. ١١٠ - من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك و تعالى ساقها اليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، و هو موصول بولاية الله تبارك و تعالى، و ان رده عن حاجته و هو يقدر على قضائها، سلط الله تبارك و تعالى عليه شجاعا من نار ينهشه في قبره الى يوم القيامة، مغفورا له أو معذبا، فان عذره الطالب كان أسوأ حالا. (ي) ١١١ - يعرف شدة الجور من حكم به عليه. ١١٢ - ينادى مناد يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا- يقوم الا من عفا و أصلح، فأجره على الله. ١١٣ - ينبغي لمن عقل من الله أن لا- يستبطأه في رزقه، و لا- يتهمه في قضائه. [صفحة ١٠٥]

الامام و ظواهر الحياة العقلية المتطورة

العقل و المناخ العقلي المضطرب

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام): «ان ضوء الروح العقل، فاذا العبد عاقلا- كان عالما بربه، و اذا كان عالما بربه أبصر دينه» [٢٠٦]. و هذا القول أطروحة فريدة يضعها الامام بين يدي العارفين، فالعقل عند الامام مدار الحجة على الانسان، و هو سبيل الاطراد العلمي بما يزنه من دقائق الأمور، و هو أيضا منار الهداية في الحياة، حتى اعتبره الامام عدلا لرسالة السماء و قيادة الأئمة فقال: «ان لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة و حجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل و الأنبياء و الأئمة، و أما الباطنة فالعقول» [٢٠٧]. [صفحة ١٠٦] و بهذه الرؤية نجد اهتمام الامام بالعقل الانساني المجرد، و عدة من الأصول التي لا غنى عنها في تيسير الحياة و ضبط النفس، و هو يسلط الأضواء على العقل في رصد منابع الخير كلها، فيقول: «من أراد الغنى بلا مال، و راحة القلب من الحسد، و السلامة في الدين، فليتضرع الى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، و من قنع بما يكفيه استغنى، و من لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا» [٢٠٨]. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين تعقيبا: «و لما كان المراد من العقل في هذه النصوص هو النضج المثمر و الوجود الفاعل المؤثر - و ليس ما يقابل الجنون الذي يعنى فقدان السيطرة على الشعور المنضبط و الاحساس المترن - كان الانسان المجرد من المعرفة و المحروم من التعلم و ان كمل عقله؛ محكوما بالنقص الذي لا- ينكر و لا- يستر، بسبب جهله المخمل بدوره الانساني النافع لنفسه و مجتمعه، و لذلك أضاف الامام الى ما تقدم منه في تكريم العقل: التنبيه على أهمية العلم و شأنه الكبير و أثره العظيم في بناء الأفراد و المجتمعات» [٢٠٩]. و لما كان العقل المتكامل منحة الهية من وجه، و تجربة ذاتية من وجه آخر، وجدنا القلة النادرة في الاجتماع البشري هي التي تتمتع به ادراكا و معرفة و فلسفة. و حينما تطورت الحياة العلمية في عصر الامام بفضل الجهود المضنية للعلماء و الباحثين و المترجمين، فقد وجدنا في ضوء ذلك تطورا سريعا للحياة العقلية، و كان هذا التطور مصاحبا لعلم الاحتجاج في أبرز فروعه، و للفن الجدلي في مظاهره، و لازدهار حياة المقالات و الفرق و الاتجاهات. و ليس غريبا أن نجد الحياة العقلية قد نشأت في ظل المناخ السياسي، بيد أننا نجد [صفحة ١٠٧] للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) وثيقة تاريخية في العقل، كانت وليدة الشعور بالمسؤولية، و لم تتأثر بأي عوامل سياسية اطلاقا، و هي عبارة عن رسالة مهيبة نابضة وجهها الامام الى تلميذه العظيم هشام بن الحكم، و قد شرحها الفيلسوف المتأله الملا صدرالدين الشيرازي المعروف ب «الملاصدرا» في رسالة خاصة، و قد تعقبها بالتحليل الموضوعي الأستاذ باقر شريف القرشي (دام علاه)، فكانت مع الأصل في أربعين صفحة» [٢١٠]. و لا أعلم رسالة في

العقل قد مهدت للحياة العقلية المتطورة بهذا المستوى الفكرى كهذه الرسالة التى ربط بها الامام بين ذوى العقول و منزلتهم و ما بين ما أفاض به القرآن الكريم من الاعتداد الرفيع بهم، و ثمة ظاهرة أخرى يشير لها الامام فيما حققه أصحاب العقل السليم من المعرفة بأسرار الهداية و الكون بافاضة من الله تعالى عليهم. و قد أكد الامام أن الله عزوجل قد جعل العقل حجة يستدل بها على عظيم خلقه فى السماوات و الأرض، و ما فيهما من الكائنات المرئية و غير المرئية، و العوامل الحسية و المتصورة المعلومه و المجهولة و المتخيلة، و ما فى ذلك من عجائب صنع الله فى الخلق و اليجاد و التصريف و الادارة و الابداع، مما جعله الله برهانا على معرفته الخارقة، و دليلا- على عظيم قدرته التى لا- تدرك [٢١١]. و بالامكان الاشارة الى نهج هادى لنقاط الارتكاز فى الرسالة. ١ - أبان الامام (عليه السلام) أن الله خوف الذين لا يعقلون من عقابه، و قرن العلم بالعقل، فقال تعالى: [صفحة ١٠٨] (و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها الا العالمون) [٢١٢]. ثم ذم الله الذين لا- يعقلون فى آيات عديدة من قرآنه المجيد، عرض الامام لها، و ختم ذلك بقوله تعالى: (تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) [٢١٣]. و مدح الله تعالى القلة لأنهم العقلاء حقا، فقال عزوجل: (و قليل من عبادى الشكور) [٢١٤]. و قال تعالى: (و قليل ما هم) [٢١٥]. و قال تعالى: (و ما آمن معه الا قليل) [٢١٦]. و أشار الامام أن القرآن ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر، و حلاهم بأحسن الحلية، فقال: (يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا و ما يذكر الا أولوا الألباب) [٢١٧]. و تحدث الامام عما مدح الله به لقمان بايتا الحكمة، و يعنى بذلك الفهم و العقل، و ما أوصى به لقمان ولده بالتواضع للحق ليكون أعقل الناس. ٢ - و اعتبر الامام أن لكل شىء دليلا «و دليل العقل التفكير، و دليل التفكير الصمت، و لكل شىء مطية، و مطية العقل التواضع». و صرح بأن الله تعالى ما بعث الأنبياء و رسله و عبادته الا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة [صفحة ١٠٩] أحسنهم معرفة، و أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا، و أكملهم عقلا أرفعهم درجة فى الدنيا و الآخرة، و اعتبر الامام العقل حجة باطنة. و أن العاقل لا يشغل الحلال شكره، و لا يغلب الحرام صبره. و عد الامام طول الأمل، و فضول الكلام، و شهوات النفس، مؤشرات تعين على هدم العقل. «و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه». ٣ - و اعتبر الامام: «الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل من الله اعتزل أهل الدنيا و الراغبين فيها، و رغب فيما عند الله». «كما اعتبر نصب الحق لطاعة الله، و لا نجاة الا- بالطاعة، و الطاعة بالعلم، و العلم بالتعلم، و التعلم بالعقل يعتقد، و لا علم الا من عالم ربانى، و معرفة العلم بالعقل». ٤ - و رأى الامام: «ان العاقل قد رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة، فالعقلاء تركوا فضول الدنيا، و ان العاقل نظر الى الدنيا و أهلها فعلم أنها لا تنال الا بالمشقة، و نظر الى الآخرة فعلم أنها لا تنال الا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما». و رأى الامام أن العقلاء زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة. و أن الله حكى عن قوم صالحين قولهم: (ربنا لا- ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) [٢١٨]. و انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة... و روى عن جده أمير المؤمنين: «ما عبد الله بشىء أفضل من العقل». و عقب الامام على ذلك بافاضات رائعة تخص الموضوع. [صفحة ١١٠] ٥ - و رأى الامام رؤية مجهرية: «أن العاقل لا يكذب، و ان كان فيه هواه» و قال أيضا: «لا دين لمن لا مروءة له، و لا مروءة لمن لا عقل له» و روى عن جده أمير المؤمنين صفة العاقل: «ان من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجب اذا سئل، و ينطق اذا عجز القوم عن الكلام، و يشير بالرأى الذى يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه هذه الخصال الثلاث فهو أحمق». الى آخر فقرات هذه الرسالة الثمينة. و كان الامام بذائقته الفطرية الخالصة يدرك دور العقل فى الحياة الاجتماعية، و لديه تصور عريق بتقلبات المناخ الاجتماعى، و يعرف جيدا توجه السلطان لتسخير الحياة العقلية للسير فى ركابه و تلبية رغباته، فأراد الشعب التمتع بجوهرة العقل، لتمنعه و تعصمه عن الانزلاق السياسى الذى تجهد السلطات على احداثه و توسيع ثغراته، و من البديهي أن يفيد قلة من المثقفين و العلماء من هذا الأمداد الطهور، و تندفع أكثرية القوم نحو السراب. و مهما يكن من أمر، فان الاتجاهات السياسية المعقدة قد أذكت شرارة الجدوة الكلامية، لا حبا بالعلم و تشجيعا له، بل لتفيد منه فى الابقاء على النفوذ، و اشغال الشعب المسلم عن نفسه بنفسه، و بمبادئه عن مشكلاته، و قد مهد هذا التخطيط الى قيام الأشاعرة و المعتزلة و المرجئة و المفوضة، و ساعد على ظهور الزندقة و المانوية و المزدكية و الشعوبية و

سواها في افرازات أحدثها البعد السياسي في المناخ العقلي، و هو ينتقل من دور العلم بالشئ الى دور النقاش، و من طور الفهم الى طور المناظرة، ازاء اثبات هذا الأصل أو دحض ذلك المبدأ، و من هنا نشأت الحياة العقلية و هي تتدرج بالتصاعد من البسيط الى المركب، و من السهل الى الصعب، و من القاعدة الى القمة، و اذا بالأفق الحالم المتزن يتحول الى شعله نار متلهبة تريد في حرارة الجو و سرعات الحياة. [صفحة ١١١] و لا أدل على هذا من نشوء بدعة الارجاع في ظل الحكم الأموي، و استمراريتها حتى اليوم، لأن الارجاع قد ابتدع مقالة تعنى بمجاعة السلطان، و الابقاء على عروش الطغاة، تثبيتاً لأنظمة الحكم السائدة، فالحاكم هو الحاكم المطاع، ما دام يشهد الشهادتين ليس غير، لا- يغيره فسق، و لا- يعزله اسراف، و ان خاض في دماء المسلمين خوفاً، فأمره الى الله، و على المسلمين الطاعة، و ان ظلم عباد الله، و غير أحكام الله، و أكل أموال المسلمين، و ثوابه أو عقابه على الله، و ليس لأحد أن يعتدى على ذاته المقدسة!! الجديد في هذا المنحى في الاسلام أن الحاكم مصون غير مسؤول، فقد أبيح له كل شئ، و قد خول بكل شئ. و قد رحب الطغاة و الجبابرة و الملوك بهذا المبدأ الجديد. فالارجاع اذن مذهب الطواغيت، و هو المذهب الذى يبيح الانحراف و الخروج عن الخط الدينى، و يجعل الحاكم مستقلاً في برجه العاجى عن النقد و التجريح و الرفض. و طبعى أن مذهب الارجاع قد ابتدعته الأعطيات الضخمة من السلاطين، و جعلت منه مبدأ لا- ينطق، و لا يعترض، و لا يحاجج، بل يظل مسالماً طول الخط. يقول الأستاذ خودابخش: «ان أصل المرجئة، يرجع الى ما كان من ضرورة استنباط وسيلة للعيش في وفاق مع الحكم» [٢١٩]. و أقره على ذلك أستاذنا الدكتور يوسف خليف بقوله: «فقد وجد الحاكمون في هذا المذهب ضالتهم المنشودة التى كانوا يتمنون أن يعثروا عليها وسط الاتجاهات و المذاهب المتعددة المعادية لهم» [٢٢٠]. [صفحة ١١٢] و لم يقف المسلمون بمنحى عن فكرة الارجاع، بل وقفوا في الاتجاه المعاكس لمجابهة الارجاع فالامامية يرون في مذهب الارجاع احتضاناً لتطلع الطواغيت في اباحة المحظورات، يسوغ لهم الاستبداد و سفك الدماء دون أن يخرجهم ذلك عن حضيرة الايمان، و كان في طليعه ذلك الامام محمد الباقر (ت ١١٤ هـ) حينما قصده عمرو بن قيس الماصر، و هو ممن يقول بالارجاع، فقال للامام: انا لا نخرج أهل دعوتنا و أهل ملتنا من الايمان فى المعاصى و الذنوب. فرد عليه الامام مستنداً الى السنة الشريفة، فقال: «يا ابن قيس: أما رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقد قال: لا يزنى الزانى و هو مؤمن. و لا يسرق السارق هو مؤمن. فاذهب أنت و اصحابك حيث شئت» [٢٢١]. و كان ابراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) عنيفاً في مقاومة الارجاع. و المرجئة عنده هم أهل الراى المحدث، و الارجاع بدعة، و قد تركوا الدين أرق من الثوب السابري، بل ذهب الى أكثر من هذا فقال: «لأننا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة» [٢٢٢]. و فى قبال أهل الجبر و الارجاع، كانت عقيدة القدريه القائمة على القول بحرية الارادة و الاختيار، و زعيم القائلين بالقدر - غير منازع - الحسن البصرى [٢٢٣]. و الذى يهمنى فى الأمر أن العباسيين قد رحبوا بفكرة الاعتزال كالأمويين من ذى قبل، لأنهم أراحوا فكرة التقديس عن الأبدال و الأئمة، فهم بذلك يقفون فى الصف المقابل للفكر الامامى الذى يعطى للأئمة (عليهم السلام) مكانتهم فى الولاء و التقديس. [صفحة ١١٣] أما الخوارج فلم يكن لهم أمر ذو بال فى العصر العباسى، و كان الخروج على الدولة من شأن الطالبين فحسب، و الحسنيين منهم بالذات، و لم يكن المسلمون ليعتبروا العلويين خوارج فى المفهوم الاصطلاحي، بل عدوهم من الثائرين. الا أن الحياة العقلية فى عصر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد انفجرت بأفكار جديدة مضافاً الى مخلفات الخوارج و المرجئة و أهل القدر المعتزلة. فكانت متاعب الامام مضنية فى صد التيارات و الرياح الوافدة، و هو يعيش تبعات ذلك كله، يعالجها حيناً، و يدفعها حيناً آخر، و يوفق بين المسلمين فيما بينهما، حتى سجل له تاريخاً ذلك الدور المشرف. لقد نشأت فى عهد أبيه الامام الصادق فرق الغلاة و الزنادقة و اللاحاد، و نشأت فى عهده فرق أخرى وثيقة الصلة بما ابتلى به عصر أبيه. فأضاف ذلك جهداً الى جهده. و الذى يراه البحث أن الحياة الجديدة لم تكن هادئة أو مستقرة، بل هى الى الصخب و الضجيج أقرب، و هى تمثل مدى الانشطار الاسلامى الى فرق و جماعات و جماعات و تكتلات. و قد شجعت السياسة هذا الجو المحموم المضطرب، ليصفو لها الأفق بعيداً عن المجابهة و الرفض، و بمعزل عن مشكلات التحسس الجماعى بالظلم و المأساة و الاذلال. و كانت حتمية تجربة السماء الفطرية تقتضى بالضرورة أن ينتصر الاتجاه العقلى الرصين

على تلك التهاويل الغريبة التي اجتاحت العالم الاسلامى فى سرعة مذهلة. و هى تتضخم ضمن مخطط سياسى صاعق، أبرم بنوده سلاطين الجور و أدعياء الفكر الوافد. [صفحہ ١١٤]

تعدد الاتجاهات العقائدية

و مع كل ذلك العمل التكاملى الرائد الذى فجره الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) لتوحيد الأمة، و رأب الصدع، الا أن بعض الظواهر العقلية قد برزت فى الميدان، نحاول القاء بعض الضوء على مصادرها و أثرها فى الظروف الاجتماعية، كما نعرض لجزء من حياتها المترددة بتكثيف و ضغط قد يؤدى ان المهممة دون الاغراق فى التفاصيل الهامشية. و لو أن أهداف هذه الاتجاهات كانت علمية خالصة، أو تنافعية مشروعة، لوصل الينا علم كثير خالص، الا أن ما يحز فى النفس أن ينحصر الكثير منها الى مداخلات غير بريئة، و أن تطغى لغة الهجوم و الاسفاف على لغة العقل و الاناء، فينشأ عن هذا و ذاك احتدام لا مسوغ له فى التعدى و التحدى و التداعى الذى قد يصل ببعض مفرداته الى تكفير هذا و تضليل ذاك، و هنا تفقد الحياة العقلية هذا الوهج الحضارى فى تلاقح القيم و الأفكار. و تلك مأساة نتلقاها بمرارة و حزن عميق، حتى عادت صراعا يطال المعتقدات بكثير من التهاون تارة و التجاهل تارة أخرى. يقول الأستاذ باقر شريف القرشى: «و اتسم عصر الامام بموجات رهيبه من النزعات الشعوبية و العنصرية و النحل الدينية، و الاتجاهات العقائدية التى لا- تمت الى الاسلام بصله، و لا- تلتقى معه بطريق، و قد تصارعت تلك الحركات الفكرية تصارعا لا هدوء فيه و لا استقرار، حتى امتد ذلك الصراع الى أكثر العصور، و يعود السبب فى ذلك الى أن الفتح الاسلامى قد نقل ثقافات الأمم و سائر علومهم الى العالم الغربى و الاسلامى، بالاضافة الى أن السلام قد جاء بموجة عارمة من العلوم و الأفكار، و دعا المسلمين الى الانطلاق و التخصص فى [صفحہ ١١٥] جميع ألوان المعارف، و قد أحدث ذلك انقلابا فكريا فى المجتمع الاسلامى، و تبلورت الأفكار بألوان من الثقافة لم يعهد لها المجتمع نظيرا فى العصور السالفة، و قد اتجهت تلك الطاقات... الى الجانب العقائدى من واقع الحياة، فحدثت المذاهب الاسلامية و الفرق الدينية، و تشعبت الأمة الى طوائف وقع فيما بينها من النزاع و المخاصمات و الجدل الشئ الكثير، فكانت النوادي تعج بالمعارك الدامية و الصراع العنيف... و كان من أبرز المتصارعين فى هذه الساحة هم علماء الكلام و المتكلمون» [٢٢٤]. و قد ألمحنا لحياة كثير من هذه الصراعات فيما مضى من هذه الموسوعة فى أعمال سابقة [٢٢٥]. و قد فصلنا القول فى كتابنا «الامام جعفر الصادق / زعيم مدرسة أهل البيت» فتحدثنا عن الثورة المضادة التى قادها الامام ضد متناقضات العصر العباسى فى المناخ العقلى، و عرضنا لظاهرة الغلاة و محاربة أئمة أهل البيت لتلك الظاهرة الضالة. و استوفينا القول - بايجاز - فى حركات الالحاد و الزندقة، و عرضنا لحياة المذاهب الكلامية فى عصر الامام الصادق (عليه السلام) و وجدنا أن الامام قد وظف نظره العقلى من خلال المحاورات و المناظرات مع زعماء علم الكلام. و كان هذا التوظيف الدقيق قد اشتمل على ظاهرتين: الأولى: الاستدلال العقلى و البديهي الذى لا سبيل الى انكاره. الثانية: الاقتناع المقبول الذى فجره هذا الاستدلال [٢٢٦] و لا ضرورة لاعادة هيكليته ذلك البحث فقد سبق القول فيه. [صفحہ ١١٦] و هنا لابد من رصد بعض المشاهد العقلية التى حفلت بها حياة عصر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) مما دأب المناخ السياسى الى التشجيع عليه، للهدف المركزى فى التخطيط السلطوى للاستبداد أنى كان سبيله، و لا- مانع بعد هذا من تشعب آراء الأمة، و تمزيق الصف الاسلامى. روى محمد بن أبى عمير عن على الأسوارى، قال: كان ليحيى بن خالد مجلس فى داره يحضره المتكلمون من كل فرقة و مله يوم الأحد، فيتناظرون فى أديانهم، و يحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد: يا عباسى ما هذا المجلس الذى بلغنى فى منزلك يحضره المتكلمون؟ فقال:... ما شئ مما رفعنى به أمير المؤمنين، و بلغ من الكرامة و الرفعة أحسن موقعا عندى من هذا المجلس، فانه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض، و يعرف المحق منهم، و يتبين فساد كل مذهب من مذاهبهم. قال له الرشيد: فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس، و أسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضورى... و بلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم و عزموا أن لا يكلموا هشاما الا فى

الامامة، لعلمهم بمذهب الرشيد و انكاره على من قال بالامامة. و يحضر الرشيد هذه الجلسة، و فيها هشام بن الحكم من الامامية و عبدالله بن يزيد الأباضي من الخوارج، و حضر جماعة المعتزلة. و لك أن تختبر أهداف هذه الجلسة، فمن رأى يحيى بن خالد البرمكى أن «يتبين فساد كل مذهب» من مذاهب القوم، و هدف المعتزلة الايقاع بهشام بن الحكم لأنه امامي، و يعرفون رأى الرشيد بمن قال ذلك، فلا يسألونه الا بالامامة، و الرشيد يحضر ليعرف أعداءه من أوليائه، و القوم فى أخذ ورد من مبحث [صفحة ١١٧] الامامة، و هشام يعطى الدليل اثر الدليل على صحة مذهبه، و المعتزلة يردون و ينقضون، و هشام يرد الرد و النقض معا، و الخوارج يعتذرون عن الخوض فى الموضوع لأن هشام شريك الأباضي فى التجارة، و تحتدم آراء القوم فى جدل مستميت و خصام شديد، حتى ينجر الحديث الى القول من قبل هشام أن الامام معصوم من الذنوب، و أنه أشجع الناس، و أسخى الناس، و أعلم الناس، و قرع الحجة بالحجة. و الرشيد يسمع هذا كله، و معه جعفر بن يحيى يسمع هذا كله، فقال الرشيد لجعفر، من يعنى بهذا؟ قال: يا أمير المؤمنين يعنى موسى بن جعفر، قال، ما عنى بها غير أهلها، ثم عض على شفته، و قال: مثل هذا حى و يبقى لى ملكى ساعة واحدة؟ فو الله للسان هذا أبلغ فى قلوب الناس من مائة ألف سيف. و علم يحيى بن خالد أن هشام قد أتى، فغمز الى هشام بالخروج، و علم هشام أنه قد أخذ على حين غرة، فانسل من المجلس و هرب، و كان ذلك آخر العهد به حتى مات [٢٢٧]. فى هذه المحاورات و المناظرات عمق علمى لا شك فى ذلك، و لكن تبنى السلطة لهذا النوع من الجهد العقلى يكشف أنهم بسبيل كشف من يواليهم ممن يخالف عليهم، و لا بانه من يؤيد مذهبهم السياسى ممن يحتمل عليه، فهى و ان كانت آفاقا معرفية فى الجدل و الحجاج و المناظرة، الا أن عليها رسدا سياسيا جاثما، يأخذ عليهم الأنفاس، و يلتقط الاشارات فيذهب ضحية ذلك أمثال هؤلاء العلماء. و ظاهرة أخرى أن الحكم يبارك هذه الخطوات أنى كانت النتائج، لأنها تصب فى رافد مصالحهم الفئوية السياسية، فما على المتكلمين الا الجهد [صفحة ١١٨] المضنى فى الجدل و الاحتجاج، و ما على الحكم الا استثمار ذلك فى صراعات بين صفوف الأمة لا أول لها و لا آخر، و لكنها تشغل الناس، و تلك نقطة انطلاق كبرى يسعى اليها الحكم و السلطان.

الانشقاق الداخلى فى فرق الشيعة

و كما انشق المسلمون الى مذاهب متعددة فى القدر و الارزاء و الجبر و التفويض، و كما نشأت المعتزلة و الأشاعرة و الخوارج، فقد انشق الشيعة فيما بينهم، فكانت الفرق الخارجة عن نظام أهل البيت مفارقة لتسلسل الأئمة الاثنى عشر القائل بامامة أمير المؤمنين على (عليه السلام) و ولايته الكبرى، ثم الحسن و الحسين، و على بن الحسين (عليهما السلام)، و محمد الباقر، و جعفر الصادق. و موسى الكاظم، و على الرضا، و محمد الجواد، و على الهادى، و الحسن العسكرى، و الحجة القائم المنتظر (عليهم السلام) أجمعين. هذا التسلسل الامامى كان منظورا اليه، و متحدثا عنه، منذ عهد مبكر، بدأه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و على، و الحسن و الحسين حتى عصر الامام الصادق (عليه السلام) بروايات متواترة و أحاديث مستفيضة و هو ما عليه الامامية، و هو جزء لا يتجزأ من مبدأ الامامة. ولدى الامعان فى تأريخ الانشقاق الداخلى فى فرق الشيعة نجده أسبق عهدا من عصر الامام موسى بن جعفر، فقد نشأت الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية، و هو الأخ الثالث غير الشقيق لسيدى شباب أهل الجنة الحسن و الحسين (عليهما السلام). فكانت الفتنة به عظيمة - و لا علاقة له بها - لأنه ابن أمير المؤمنين، و ليس بأيدينا من المصادر ما يشير الى ادعائه الامامة لا من قريب و لا من [صفحة ١١٩] بعيد؛ بينما رأى أتباعه بأنه المهدي المنتظر، و أن وفاته كانت غيبة له، بل هو حى لم يموت و انما احتجب عن الأنظار. و سميت هذه الفرقة بالكيسانية نسبة الى كيسان مولى المختار الثقفى، بل قيل انه المختار نفسه. و قد انقرضت هذه الفرقة، فلا وجود لها اليوم. و من أبرز الفرق التى انشقت على نظام أهل البيت «الزيدية» نسبة الى الشهيد زيد بن على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، و لم يكن زيد قد ادعى لنفسه الامامة أبدا، بل كان ثائرا، آمرا بالمعروف و ناهيا عن المنكر، حتى سفك فى سبيل الله دمه، و صلبت جثته بعد القتل و أحرقت، و هو مرضى عند الأئمة (عليهم السلام)، و قد دعا الى الرضا من آل محمد. روى العيص بن القاسم، قال:

«سمعت أبا عبد الله (الامام الصادق) يقول: عليكم بتقوى الله... ان أتاكم آت منا، فانظروا على أى شىء تخرجون؟ ولا تقولوا خرج زيد، فان زيدا كان عالما، و كان صدوقا؛ و لم يدعكم الى نفسه، و انما دعاكم الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه و آله)، و لو ظهر لوفى بما دعاكم اليه، و انما خرج الى سلطان مجتمع ليفضه (ليقضه) [٢٢٨]. و لم يكن للامام أن يسدد رأى زيد لو لم يكن على حق. الا أن الزيدية اتخذت منهجا فى دعوى الامامة يقوم على مبدأ السيف، من خرج بالسيف فهو الامام المفترض الطاعة، و من أقام امامته على غير الكفاح المسلح، فليس بامام، فلا- يجوز اتباعه بزعمهم، و لا يجوز القول بامامته [٢٢٩]. و هنالك فرق انطلقت فى الميدان فى عصر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، و كان أبرزها: الاسماعيليه، و الفطحيه، و الواقفه. [صفحه ١٢٠] و لكل فرقة من هذه الفرق الثلاث دعواها فى تسلم منصب الامامة لغير الامام الشرعى المنصوص عليه فى سلسلة الأئمة الاثنى عشر (عليهم السلام). فالاسماعيليه تنتسب الى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق، فعلى الرغم من وفاته فى حياة أبيه، فقد أنكروا ذلك بشدة، و قالوا: لا يموت حتى يملك [٢٣٠]. و كان هذا الزعم مخالفا لحقائق الاحداث، اذ توفى اسماعيل فى عهد مبكر قبل الدعوة اليه، فقد مات فى حياة أبيه فى «العريض» و حمل على رقاب الرجال الى المدينة، و دفن بالبقيع، و تقدم الامام الصادق سريره، و أمر بوضعه على الأرض قبل دفنه مرارا كثيرة، و كان يكشف عن وجهه و ينظر اليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، و ازاله الشبهة عنهم فى حياته [٢٣١]. و يقوم مذهب هذه الطائفة على الغلو، و حصر الامامة فى ذرية اسماعيل فيما يزعمون، و يصفون على زعمائهم أقدس النعوت التى يرفضها حتى شبابهم المثقف. و فى هذا الجو الغائم نشأت (الفطحية) القائلة بامامة عبد الله بن الامام الصادق (عليه السلام)، و قد لزمهم هذا اللقب لقولهم بامامته، و هو أفضح الرجلين. و يقال أنهم لقبوا بذلك لأن داعيهم الى امامة عبد الله هذا كان رجلا يقال له: عبد الله بن الأفتح [٢٣٢] و قد تسمى هذه الفرقة العمارية، نسبة الى أحد زعمائها المسمى «عمار» [٢٣٣]. [صفحه ١٢١] و سرعان ما اختفت هذه الفرقة، اذ لم يعيش عبد الله بعد أبيه الا سبعة يوما، و لم يعقب ولدا ذكرا [٢٣٤] و كأن مبدأ هذه الفرقة قد ولد ميتا، و انتهى أمرها. و نشأت أفكار فرقة ضالّة، كان لها الأثر فى تفريق الكلمة، و تشويه الحقائق المجردة، و هى فرقة الواقفه، و قد تسمى «الواقفية» و سبب هذه التسمية أنها وقفت على امامة موسى بن جعفر (عليه السلام) و ادعت أنه حتى لم يمت و لا يموت، و أنه رفع الى السماء كما رفع عيسى بن مريم (عليه السلام) و أنه هو القائم المنتظر الذى يملأ الدنيا قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا. و أن الذى فى سجن السندى بن شاهك ليس هو الامام موسى بن جعفر بل شبه و خيل اليهم أنه هو [٢٣٥]. و كانت هذه المقالة مدعاة الى السخرية من قبل الامامية لأنها لا تقوم على أساس نصى أو تاريخى على الاطلاق. قال الشيخ الطوسى (ت ٤٦٠هـ): «أما الذى يدل على فساد مذهب الواقفه... فما ظهر من موته (عليه السلام)، و اشتهر و استفاض كما اشتهر موت أبيه و جده و من تقدمه من آبائه... على أن موته اشتهر ما لم يشتهر موت أحد من آبائه (عليهم السلام)، لأنه أظهر، فقد أحضروا القضاء و الشهود، و نودى عليه ببغداد على الجسر، و قيل: هذا الذى تزعم الرافضة أنه حتى لا يموت، مات حتف أنفه» [٢٣٦]. و يبدو أن العنصر المادى، و خيانة الله و رسوله فى احتجاج الحق الشرعى و مال المسلمين، هو الذى أدى بالقول الى الوقف. [صفحه ١٢٢] فروى الثقات: ان اول من أظهر هذا الاعتقاد على بن أبى حمزة البطائنى، و زياد بن مروان القندى، و عثمان بن عيسى الرواسى، طمعوا فى الدنيا، و مالوا الى حطامها، و استمالوا قوما، فبدلوا لهم مما اختانوه من الأموال... فكان عند زياد بن مروان سبعون ألف دينار... و عند عثمان بن عيسى ثلاثون ألف دينار و خمس جوار، فبعث اليهم الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام): أن احمولوا ما قبلكم من المال، و ما كان اجتمع لأبى عندكم من أثاث و جوار، فاني وارثه، و قائم مقامه، فأنكر ذلك البطائنى و القندى، و أما عثمان بن عيسى الرواسى فكتب اليه: ان أباك (عليه السلام) لم يمت، و هو حتى قائم، و من ذكر أنه مات فهو مبطل، و اعمل على أنه قد مضى كما تقول، فلم يأمرنى بدفع شىء اليك، و أما الجوارى: فقد أعقتنهن، و تزوجت بهن [٢٣٧]. و تهافت كثير من ذوى الأحلام القاصرة و ذوى الأطماع الواهنة الى اعتناق مذهب الواقفه دون هدى من كتاب أو سنه أو عقل. و الطريف فى الأمر أن يحمل الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى حياته على هذه الفرقة و على رئيسها بالذات، فعن ابن أبى داود، قال: «كنت أنا و عيينة يباع القصب عند على بن

أبي حمزة البطائني، - و كان رئيس الواقفة - فسمعتة يقول: قال أبوإبراهيم (عليه السلام) (موسى بن جعفر): انما أنت و أصحابك يا على أشباه الحمير!! فقال لى عينه: أسمعت؟ قلت: اى و الله لقد سمعت. فقال: لا، و الله لا أنقل اليه قدمى ما حييت» [٢٣٨]. [صفحة ١٢٣] و قال ربيع بن عبد الرحمن: «كان و الله موسى بن جعفر (عليه السلام) من المتوسمين، يعلم من يقف عليه بعد موته، و يجحد الامام بعد امامته» [٢٣٩]. و قد تمخض الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام)، لقيادة حملة واسعة ندد فيها بالواقفة، و حذر منها، و فند آراءها، و أخبر عن الضلال و الانحراف فى خطواتها. فقد سأل مرة ما فعل الشقى حمزة بن بزيع؟ فقال إبراهيم بن أبى البلاد: هو ذا قد قدم. فقال (عليه السلام): يزعم أن أبى حى، هم اليوم شكاك، و لا يموتون غدا الا على الزندقة. يقول صفوان بن يحيى: فقلت فى نفسى: شكاك قد عرفتهم، فكيف يموتون على الزندقة؟ فما لبثنا الا قليلا حتى بلغنا عن رجل منهم أنه قال عند موته: هو كافر برب أماته. فقلت: هذا تصديق الحديث [٢٤٠]. و عن محمد بن سنان؛ قال: ذكر على بن أبى حمزة عند الامام الرضا (عليه السلام) فلغنه ثم قال: ان على بن أبى حمزة أراد أن لا- يعبد الله فى سمائه و أرضه، فأبى الله الا- أن يتم نوره و لو كره المشركون، و لو كره اللعين المشرك، قلت: المشرك؟ قال: نعم و الله رغم أنفه، كذلك هو فى كتاب الله: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم...) [٢٤١] و قد جرت فيه و فى أمثاله، انه أراد أن يطفىء نور الله [٢٤٢]. و قد روى جعفر بن محمد النوفلى، أنه سأل الامام الرضا (عليه السلام): قلت: جعلت فداك، ان أناسا يزعمون أن أباك حى؟ [صفحة ١٢٤] فقال: «كذبوا لعنهم الله؛ لو كان حيا ما قسم ميراثه، و لا نكح نساؤه، و لكنه ذاق الموت كما ذاقه على بن أبى طالب...» [٢٤٣]. و مع هذا الشجب المستمر، و الانكار الصريح، فان فتنه الواقفة قد استهوت جماعة من أعيان الشيعة فيهم الأكابر و الأعظم، الا أن الله تعالى قد كشفها ببركة الامام الرضا (عليه السلام)، فرجع عنها أولئك الذين شكوا بوفاء الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، ثم عادوا لامامة الرضا (عليه السلام) بعد البراهين و الأدلة. و قد استوعب الشيخ الطوسى ذكرهم بأسمائهم و أعيانهم، بعد أن لزمهم الحجة، و لا داعى لاعادة ذلك مع عودتهم الى الهدى [٢٤٤]. و كان هذا بحسن التأتى لسيدنا و مولانا الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و قوة حجته، و نفاذ بصيرته، و صدق تجاربه، و قرعه الدليل بالدليل، و جهره بمعاداة أولئك الأفاقيين. فقد روى أحمد بن محمد قال: «وقف على، أبو الحسن (الامام الرضا) فى بنى زريق، فقال لى و هو رافع صوته، يا أحمد؛ قلت: لييك، قال: انه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) جهد الناس فى اطفاء نور الله، فأبى الله الا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام). فلما توفى أبو الحسن (عليه السلام) (الامام موسى بن جعفر) جهد على ابن أبى حمزة و أصحابه فى اطفاء نور الله، فأبى الله الا- أن يتم نوره، و ان أهل الحق اذا دخل عليهم داخل سروا به، و اذا خرج عنهم [صفحة ١٢٥] خارج لم يجزعوا عليه، و ذلك أنهم على يقين من أمرهم، و ان أهل الباطل اذا دخل فيهم داخل سروا به، و اذا خرج عنهم خارج جزعوا عليه، و ذلك أنهم على شك من أمرهم، ان الله جل جلاله يقول: (... فمستقر و مستودع...) [٢٤٥]. قال: ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): المستقر الثابت، و المستودع المعار» [٢٤٦] و لما صرح الحق عن وجهه، انتهى أمر هذه الفرقة، و ذهبت أدراج الرياح، و كأنها لم تكن. و لئن انشقت فرق الشيعة من الداخل، فقد انشق المسلمون من الخارج، فوفدت عليهم الرياح الصفراء يحملها الأعاجم فى كثير من الضغط على النفوس الضعيفة و الأحلام الطائشة، و قد استأثرت الشعوب بطائفة منهم، و استقطبت المزدكية و الزرادشتية و المانوية جيلا من الناس، و أسفرت حركات الالحاد و الزندقة عن اتباع و سائرين بالركاب، و قد شاء أربابها تزيين مبادئهم بشعارات براقه لم تظهر حتى اختفت، و لكنها أثرت فى الحياة الفعلية ايما تأثير، و لكنها عاشت فى أوهام العقول و لم تبلغ الأفتد، و قد وقف منها المسلمون موقف المناضل المستميت، و كان الدور الأكبر للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بارز السمات و الآثار، فرفضها المجتمع المسلم، و عادت ادعاءاتها باهتة الألوان، فما استقرت حتى تبددت، و ما اجتمعت حتى تفرقت. و لئن أتاح المناخ السياسى لهذه المبادئ الوافدة أن تتناول، فقد أتاحت قيادة أهل البيت الفرصة للعمل على الاطاحة بها، كما ستشاهد هذا فى المبحث الآتى. [صفحة ١٢٦]

و استبق الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) خطأ المتكلمين، و بادر الى الدفاع عن التوحيد، و أبطل شبهات الانحراف، و حمل الفكر على المحجة البيضاء، كما حذب على ايصال المفردات الرائدة الى الذهن الانساني بيسر و سماح من خلال ذلك الوهج اللامع لاستلهم الحقائق ناصعة مجردة. فللامام رسالة في التوحيد بلغ بها الذروة في الحديث عن الخالق و صفاته، و تنزيه الباري المصور من كل المقولات الضالة، و افتقار الناس اليه تعالى و استغناؤه عن الخلق، بما يعتبر سجلا حافلا بأصول التوحيد، و هو بمعطياته لا نظير له في تاريخ حضارة الانسان. بدأ الامام (عليه السلام) في هذه الرسالة: بحمد الله الدال على وجوده بمخلوقاته، و المستشهد بآياته على قدرته. و ذهب الامام أن صفات الله عين ذاته، فلا يحاط بحد، بصير لا بأداة، سميع لا بآلة، لا تدركه العقول لقصورها عن ذلك، و هو في غاية الظهور لتجرده عن الحجب، الديانة معرفته، و كمال معرفته توحيده، الى آخر ما أبان (عليه السلام)؛ و ان من كمال البحث العقلي اثبات نص هذه الرسالة. قال الامام (عليه السلام): «الحمد لله الملهم عباده حمده، و فاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، المستشهد بآياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته، و من الأبصار رؤيته، و من الأوهام الاحاطة به، لا أمد لكونه، و لا- غاية لبقائه، لا تشمله المشاعر، و لا تحجبه الحجب، و الحجاب بينه و بين خلقه بأخلقه اياهم، لا متناعه مما يمكن في ذاتهم، و لا مكان مما يمتنع منه، و لا افتراق الصانع من المصنوع، و الحاد من المحدود، و الرب من المربوب، و الواحد بلا تأويل عدد، و الخالق لا بمعنى حركة، و البصير [صفحة ١٢٧] لا- بأداة، و السميع لا- بتفريق آله، و الشاهد لا بمماسه، و الباطن باجتان، و الظاهر البائن لا بترأخي مسافة، أزلة نهى لمجاول الأفكار، و دوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، و قمح وجوده جوائل الأوهام. أول الديانة به معرفته، و كمال معرفته توحيده، و كمال توحيده نفى الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، و شهادة الموصوف أنه غير الصفة، و شهادتهما جميعا بالثنائية. الممتنع من الأزل، فمن وصف الله فقد حده، و من حده فقد عده، و من عده فقد أبطل أزله، و من قال: كيف؟ فقد استوصفه، و من قال: فيم؟ فقد ضمنه، و من قال: على م؟ فقد جهله، و من قال: أين؟ فقد أخلى منه، و من قال: ما هو؟ فقد نعته، و من قال: الى م؟ فقد غاياه، عالم اذ لا- معلوم، و خالق اذ لا مخلوق، و رب اذ لا مربوب، و كذلك يوصف ربنا، و فوق ما يصفه الواصفون» [٢٤٧]. و لا أعلم وثيقة توحيدية نابضة كهذه الوثيقة في أدلتها و ايجازها و بلاغتها، الا أن تكون لأئمة المؤمنين الامام على (عليه السلام) و أولاده المعصومين، فموردتهم واحد، و رافدهم واحد. و في مجال التجسيد، دحض الامام الأقوال بالحركة، و نزه الباري عزوجل عن الانتقال و التخطي، لأن ذلك وصف للمتحرك، و المتحرك لا يكون بمكانين في آن واحد، و الله تعالى فوق الزمان و المكان، و هو على سواء في القرب و البعد، فلا يحد بمكان، و لا يتحرك بجوارح، و لا يتحدث بضم. قال الامام (عليه السلام): «لا- أقول انه قائم فأزيله عن مكانه، و لا أحده بمكان يكون فيه، و لا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان و الجوارح، و لا أحده [صفحة ١٢٨] بلفظ شق فم، و لكن كما قال تعالى: (... كن فيكون) [٢٤٨] بمشيئته من غير تردد في نفس، صمدا فردا، لم يحتاج الى شريك يذكر له ملكه، و لا يفتح له أبواب عمله» [٢٤٩]. و في السياق نفسه نفى الامام نزول الله فيما تزعم بعض المرويات، و نفى احتياجه للنزول، فكل شيء محتاج اليه، و هو ليس بحاجة الى شيء. قال الامام (عليه السلام): «ان الله لا ينزل، و لا يحتاج أن ينزل، انما منظره في القرب و البعد سواء، لم يبعد منه قريب، و لم يقرب منه بعيد، و لم يحتاج الى شيء بل يحتاج اليه، و هو ذو الطول لا- اله الا- هو العزيز الحكيم» [٢٥٠]. ثم دعم الامام هذا الرأي بالدليل العقلي، فان النزول دليل الحركة، و المتحرك له من يحركه، و ذلك من المحدثات، و الله تعالى هو الأزلي القديم. قال الامام (عليه السلام): «أما قول الواصفين: انه ينزل تبارك و تعالى، فانما يقول بذلك من ينسبه الى نقص أو زيادة، و كل متحرك يحتاج الى من يحركه أو يتحرك به، فمن ظن بالله الظنون فقد هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص، أو زيادة، أو تحريك، أو زوال، أو استئزال، أو نهوض، أو قعود، فان الله جل و عز عن صفة الواصفين، و نعت الناعتين، و توهم المتوهمين» [٢٥١]. و كما نفى الامام الحركة و أبطلها، فقد نفى القول بالجسم و الصورة و المثلية. [صفحة ١٢٩] قال الامام: «سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم و لا صورة» [٢٥٢]. و عرض على الامام قول أهل التجسيم فيما نصه: «ان الله جسم ليس كمثله شيء، عالم، سميع، بصير، قادر، متكلم،

ناطق، والكلام والقدرة والعمل تجرى مجرى واحدا، ليس شيء منها مخلوقا». فرد الامام هذه المزاعم الفجة، وحمل على قائلها، بقوله: «قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود، والكلام غير المتكلم، معاذ الله!! وأبرأ الى الله من هذا القول. لا جسم، ولا صورة، ولا تحديد، وكل شيء سواه مخلوق. انما تكون الأشياء بارادته ومشيئته من غير كلام، ولا تردد نفس، ولا نطق لسان» [٢٥٣]. ان هذا المنطق الفياض بروائعه الكلامية ينطلق من معرفة خارقة بحقائق الأشياء، ومن نفس أثيرة غمرها الايمان، فنظرت في صفات البارى بعين البصيرة، وكانت الأدلة البرهانية تتقاطر معها كالسيل اذا انحدر، لذلك كان المتكلمون ينتظمون في موقع الافادة والاستزادة من الامام، لا في موضع الجدل والمناظرة، فهم بازاء أحد عباقرة الدنيا في استقراء المفاهيم و ابراز المصاديق، و انارة السبيل بين أيدي الباحثين الالهيين. لقد سئل الامام عن ارادة الله تعالى، فأجاب بديهة: «الارادة من الخلق الضمير، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل. و أما من الله فارادته احداثه لا غير، لأنه لا يروى، ولا يهيم، ولا يفكر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي صفات الخلق، فارادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: (... كن فيكون) [٢٥٤] بلا- لفظ، ولا نطق، ولا لسان، ولا هممة، ولا تفكر، ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له» [٢٥٥]. [صفحة ١٣٠] رأيت كيف أفرغت البلاغة جوهرها في هذا النص الفريد، فميز فيه بين ارادة الخالق والمخلوق، بأبلغ لفظ، و أوجز بيان، و أوضح أسلوب. فارادة الانسان قرار داخلي يحدث فيما يبدو له من الأفعال بعد التأمل والتفكير، و ارادة الله تعالى احداثه للشيء ليس غير، وهذا الاحداث يتم بأمر الكينونة المطلقة منه، دون لفظ و ذبذبة لسان، ولا نطق ولا هم ولا تفكير. و الطريف في هذا الملحظ أن الامام يتحدث عن ارادة الله في شقيها التكويني والتشريعي، بما لم يسبق اليه من قبل فلاسفة عصره و المتكلمين. يقول الامام (عليه السلام): «ان الله ارادتين و مشيئتين: ارادة حتم، و ارادة عزم، ينهى و هو يشاء، و يأمر و هو يشاء، أو رأيت أنه نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و شاء ذلك؟ و لو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، و أمر ابراهيم بذبح اسحاق (ولده) و لم يشأ أن يذبحه، و لو شاء لما غلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله تعالى» [٢٥٦]. و قد عقب الأستاذ باقر شريف القرشي على هذا بقوله: «و بيان مراده (عليه السلام): أن الارادة تنقسم الى الارادة التكوينية الحقيقية، و الى الارادة التشريعية الاعتبارية، فارادة الانسان التي تتعلق بفعل نفسه ارادة تكوينية تؤثر في أعضائه الى ايجاد المطاوعة الالمانع، و أما الارادة التي تتعلق بفعل الغير كما اذا أمر بشيء أو نهى عنه، فان هذه الارادة ليست تكوينية بل هي تشريعية لأنها لا تؤثر ايجاد الفعل أو تركه من الغير، بل تتوقف على الارادة التكوينية له. و اما ارادة الله التكوينية فهي التي تتعلق بالشيء، و لابد من ايجاده، و يستحيل فيها التخلف. [صفحة ١٣١] و أما ارادته التشريعية فهي التي تتعلق بالفعل من حيث أنه حسن و صالح. و أما نهى الله لآدم عن الأكل... و أمره لابراهيم بالذبح... فان النهي و الأمر فيهما تشريعان، كما أن المشيئة هي المشيئة التكوينية. و الأخبار الواردة عن أئمة الهدى (عليهم السلام) بأن الذي جعل قربانا للبيت الحرام هو اسماعيل دون اسحاق» [٢٥٧]. و ها أنت ترى أن هذا المناخ العقلي المتطور لدى الامام كان زاخرا بعبارات تنبض بالجمال الفني لغه، و تصقل بصفاء الأسلوب أداء، مما حول المعركة الكلامية المتنافرة الى مادة تفاهم و نشاط عقلي يبتعد بأفكاره عن الانكفاء وراء التهم، و يتحاشى الهجوم المريع. على أن هذا المناخ الذي أوجده الامام كان يتردد في أفق ملتعب لا معقول، الا- أن الامام قد عدل من مساره و قاده الى شواطئ الأمن. و لم يكن الامام الاداعية الى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة، عليه ابداء الحقائق مجردة، و وضع الأعلام لائحة، فمن أخذ بها فقد أخذ بالسهم الأرشد، و من أبى ذلك عليه فهو و شأنه. فقد دحض الامام مزاعم أهل الجبر باستدلال بديهي أن الله تعالى بأمره و نهيه قد جعل السبيل ممهدا للأخذ بما أمر، و جعله كذلك في ترك ما نهى عنه، و لم يجبر أحدا على عمل، قال (عليه السلام): «ان الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون، فأمرهم و نهاهم، فما أمرهم به شيء فقد جعل لهم السبيل الى الأخذ به، و ما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه، و لا يكونون آخذين و لا تاركين الا باذنه، و ما جبر الله أحدا من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، و كما قال: [صفحة ١٣٢] (... ليلوكم أيكم أحسن عملا...)» [٢٥٨] [٢٥٩]. و من هذا القبيل ما روى عن الامام الرضا (عليه السلام) أنه قال: سأل رجل أبا: هل منع الله عما أمر به؟ و هل نهى عما أراد؟ و هل أعان على ما لم يرد؟ فقال (عليه السلام): أما قولك هل منع عما أمر به، فلا يجوز ذلك عليه، و لو جاز ذلك

لكان قد منع ابليس عن السجود لآدم، و لو منعه لقدره و لم يلغنه. و أما قولك هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز، و لو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد أكلها... و الله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء و يريد غيره. و أما قولك: هل أعان على ما لم يرد؟ فلا يجوز ذلك عليه، و تعالى الله عن أن يعين على قتل الأنبياء و تكفيرهم، و قتل الحسين بن علي و الفضلاء من ولده، و كيف يعين على ما لم يرد؟ و قد أعد جهنم لمخالفيه، و لعنهم على تكذيبهم لطاعته و ارتكابهم لمخالفته، و لو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره و ادعائه أنه رب العالمين، أفترى أنه أراد من فرعون أن يدعى الربوبية...» [٢٦٠] و هذا أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، يسأل الامام و هو صبي. قال له: «يا ابن رسول الله؛ ما تقول في أفعال العباد؛ ممن هي؟ قال الامام: يا نعمان، قد سألت فاسمع، و اذا سمعت فعه، و اذا وعيت فاعمل. ان أفعال العباد لا تخلو من ثلاث خصال: [صفحة ١٣٣] اما من الله على انفراده، أو من الله و العبد شركة، أو من العبد بانفراده. فان كانت من الله على انفراده، فما باله سبحانه يعذب عبده على ما لم يفعله مع عدله و رحمته و حكمته؟ و ان كانت من الله و العبد شركة، فما بال الشريك القوي يعذب شريكه على ما قد شرکه فيه، و أعانه عليه؟ ثم قال الامام: استحال الوجهان يا نعمان؟ فقال: نعم. قال الامام: فلم يبق الا أن يكون من العبد على انفراده...» [٢٦١]. و هذا تأكيد على أصل العدل من جهة، و هو نفى للجبر و التفويض من جهة أخرى. و قد كرر أبو حنيفة نفسه هذا السؤال للامام بصيغة أخرى تحوم حول الغرض ذاته، الا أنه خصص السؤال بصدور المعصية. فأجاب الامام الجواب نفسه تقريبا بطرح جديد. قال أبو حنيفة للامام: «جعلت فداك ممن المعصية؟... قال الامام: ان المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه، أو منهما جميعا، فان كانت من الله تعالى فهو أعدل و أنصف من أن يظلم عبده، و يأخذه بما لم يفعله. و ان كانت منهما فهو شريكه، و القوي أولى بانصاف عبده الضعيف. و ان كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، و اليه توجه النهي، و له حق الثواب و العقاب، و وجبت له الجنة و النار. قال أبو حنيفة: فقلت: (ذرية بعضها من بعض) [٢٦٢] [٢٦٣]. [صفحة ١٣٤] و مع أن أباحنيفة من القائلين بالجبر، و ممن قيدوا حرية الارادة، فانه قد سجل اعجابه بما أجاب به الامام، سيما و الرواية تقول بأن الامام كان آنذاك صغير السن. و كان الامام لا يبخل على أحد بالافادة منه في النظر العقلي، لا سيما في أصول الدين و فروعه، و الظاهرة الماثلة للعيان أن جرت بينه و بين هارون الرشيد عدة مباحثات و مناظرات و احتجاجات، يأتي بعضها في محلها، و لكن الملفت للنظر حقا أن يطب اليه الرشيد أن يكتب له كلاما موجزا له أصول و فروع، يفهم تفسيره... فكتب الامام: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمور الدنيا أمران: أمر لا اختلاف فيه، و هو اجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون اليها، و الأخبار المجمع عليها، المعروف عليها شبهة، و المستنبط منها كل حادث، و أمر يحتمل الشك و الانكار، و سبيل استنصاح أهل الحجة، فما ثبت لمتنحليه من كتاب مستجمع على تأويله، أو سنه عن النبي (صلى الله عليه و آله) لا- اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله، ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها، و وجب عليه قبولها، و الاقرار و الديانة بها، و ما لم يثبت لمتنحليه به حجة من كتاب مستجمع على تأويله، أو سنه عن النبي (صلى الله عليه و آله) لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله، وسع خاص الأمة و عامها الشك فيه و الانكار له كذلك، هذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه الى ارش الخدش و ما دونه، فهذا المعروف الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، و ما غمض عنك ضوؤه نفيته. و لا قوة الا بالله، و حسبنا الله و نعم الوكيل» [٢٦٤]. [صفحة ١٣٥] و هذا الانفتاح على المناخ العقلي لدى الامام لم يكن مقتصرًا على المسلمين وحدهم، بل تجاوزته الى الملل و النحل الأخرى... فقد روى هشام بن الحكم أن الامام موسى بن جعفر قال لأبرهه النصراني: كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا عالم به و بتأويله. قال: فابتدأ الامام (عليه السلام) يقرأ الانجيل. فقال أبرهه: و المسيح لقد كان يقرأها هكذا؛ و ما قرأ هكذا الا المسيح، و أنا كنت أطلبه منذ خمسين سنة. فأسلم على يديه [٢٦٥]. و اجتمع الامام موسى بن جعفر براهب، و جرت بينهما المحاوراة الآتية: قال الراهب للامام: يا هذا أنت غريب؟ قال الامام: نعم. قال الراهب: منا أو علينا؟ قال الامام: لست منكم. قال: أنت من الأمة المرحومة؟ قال الامام: نعم. قال: أفمن علمائهم أنت أم جهالهم؟ قال الامام: لست من جهالهم. قال: كيف طوبى أصلها في دار عيسى و عندكم في دار محمد، و أغصانها في كل دار؟ قال الامام: الشمس قد وصل ضوؤها الى كل مكان و كل موضع و هي في السماء. [صفحة

[١٣٦] قال الراهب: و في الجنة لا- ينفد طعامها و ان أكلوا منه، و لا- ينقص منه شيء؟ قال الامام: السراج يقتبس منه و لا ينقص منه شيء. قال الراهب: و في الجنة ظل ممدود؟ فقال الامام: الوقت الذي قبل طلوع الشمس كلها؛ ظل ممدود. و قوله: (ألم تر الى ربك كيف مد الظل...) [٢٦٦]. قال الراهب: ما يؤكل و يشرب في الجنة لا يكون بولا و لا غائطا؟ قال الامام: الجنين في بطنه أمه... قال الراهب: أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟ قال الامام: اذا احتاج الانسان الى شيء عرفت أعضاؤه ذلك، و يفعلون بما أرادوا من غير أمر. قال الراهب: مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة؟ قال الامام: مفتاح الجنة لسان العبد: لا اله الا الله. قال صدقت، و أسلم و الجماعة معه [٢٦٧]. و لا تحسبن المناخ العقلي لدى الامام كان مقتصرًا على المناظرات و المحاورات، و انما هو خصيصة رسالية سيرها الامام ما وجد الى ذلك سبيلا، و مهمة قيادية وجه بها الأجيال نحو المعرفة الالهية و الكمال النفسي. [صفحة ١٣٧]

الامام و طواغيت عصره

المبادئ السياسية المتقابلة

و كانت السلطات القائمة في عصر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) تنطلق سياسيا من واقع أرسطراطي قائم على أساس الأثرة و الاستعلاء، بينما كانت سياسة الامام و هي تنطلق من واقع اسلامي متوازن، معنيا للعدل الاجتماعي المفقود، و ألقا من النصيح الكريم في بعث القدرات الانسانية، و دليلا من القيم التي تشجب عبادة الدولة و الأصنام البشرية، مؤكدة على المبادئ التي تعتبر الانسان مخلوقا رفيعا له كرامته المضمونة في اطار تعليمات الدولة الاسلامية التي تستنكر كون الفرد عبدا للدولة. و من هنا كانت الفروق المميزة بين واقعين متناقضين، واقع الاستبداد المطلق المتمثل بسلاطين الجور، و واقع الكرامة الانسانية المتمثلة بأفكار الامام. [صفحة ١٣٨] و كان استنطاق الوثائق التاريخية المحايدة، و استحضار النصوص الطريفة لحياة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في الرصد و التوجيه و التأثير، قد أحدثت في الأفق العام صوتا مدويا حاول البحث الفاء المزيد من الضوء على معطياته، و قد تأكد لنا من أبعاده و جوانبه استيعاب الامام المشروع الطموح البشري في العدل و المساواة و الحرية الاجتماعية، مما أوجد حالة كبرى في الاستنفار اليقظ من ركود الماضي الى الانبعاث الجديد من التحرر و الاعتناق من تجاوزات السياسة الجافة التي انتهجت خلايق السوء و دعاء التخريب الجماعي، فكان الانقلاب الجذري في فكر الانسان المسلم الواعي و حياته الحقيقية منطلقا - في ضوء توجيه الامام - لمعالجته الوضع الشاذ في أنماطه المأساوية، اذ انفتح العقل الانساني على معايير جديدة في الأحكام و الأعراف و التقييم الموضوعي تختلف على تلك الأعراف الشائعة وراء حجب الأفكار و وأد المنطلق المنطقي للانسان، مما جعل النظام العباسي يعيش في عزلة قاتلة بين أفياء القصور و أحضان الجوارى و المولدات، و هو يتعد عن هموم الشعب، و الشعب يتعد عن همومه، فهما مفترقان لا يلتقيان، و ان فرضت السيطرة بالقوة و الاكراه نوعا من الطاعة، و لكن هذا الفرض قد يتعكر صفوه بالانتفاضات المسلحة - كما سترى - فلم يكتب للدولة العباسية الاستقرار السياسي الا في ظل مسرحيات مفضوحة الغايات حاولها النظام للحل المؤقت، كالتجائه الى نصب الامام الثامن من أئمة أهل البيت؛ الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مركز ولاية العهد للمأمون ريثما تهدأ العاصفة. و لقد أصيب المجتمع الاسلامي بالشلل التام و الانكماش على الذات جراء ما يعانيه من مخلفات هذا الوضع الغريب حتى أسقط في يده، و لكن التجربة الراضية لظواهر التمزق الداخلي، و التي نهض بها الامام موسى بن [صفحة ١٣٩] جعفر (عليه السلام) بصلاية و أناة، تعطى الجماعة الاسلامية زخما متحركا في مجابهة المناخ المريض الملوث، و تمد الأمة قوة و فتوة للانطلاق الغاضب على العنف و التسلط. و كان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) نموذجا لا مثيل له في اشراق الضمير و توهج الذات، فحقق مبدأ «الغيرية» الذي يعيش فيه القائد الفذ لغيره من الناس لا- لنفسه، و تلك هي النصيحة التي ندبت لها شريعة السماء. لقد كان بإمكان الامام أن يغض طرفا عن تجاوزات الحكم العباسي فحسب، لا أن يجاربه أو يؤيده، فالحاكم لا يطمح بذلك، و لو تجاوز الامام ما رسمه لنفسه لعاش في بحبوحة من

النعيم، بين القصور الفارهة و الحياة الرغيدة، و لكنه لم يخلق لهذا قط، بل انتصب شاخصا ماثلا للمبادئ الرسالية التي ترفض كل صيغ المحاباة و الاستئثار بحقوق الفرد و الأمة، فكانت المجابهة للاضطهاد و الاستبداد تشكل نظرة مستقبلية لارساء مرجعية أهل البيت في اثر الضمير الانساني بالموقف الصلب، و المبدأ الثابت، و الحياة الحرة الكريمة، دونما اراقه دماء بريئة، أو اثاره معارك عقيمة، فليكن و الحالة هذه هو الضحية لهذا التوجه الناهض، فما خلق الامام ليربح أو يستريح، بل ليناضل ما استطاع الى ذلك سبيلا، و كان تكليفه الشرعي هو الذي يملى عليه طبيعة العمل و التعبير عن الموقف بطرقه الخاصة التي تتفادى الصراع المرير بين الجمهور الأعزل المضطهد، و بين القوى الفاعلة و هي تتسلح بالجبروت و الجيش المدرب، و بذلك استطاع الامام تحقيق هدفين مهمين في سهم واحد: الأول: مجابهة التعالي و شريعته الغاب؛ بالقول الصارم، أو النضال السلبي الهادر، أو الكلمة النافذة الى الأعماق، و هي تزلزل عروش الطغاة و كبرياء الجبابرة. [صفحہ ١٤٠] الثاني: الابقاء بحدود كبيرة على البقية المؤمنة، دون التفريط بها في خنادق القتال و ميادين الحروب المدمرة. فقد رأى الامام - على قلة أنصاره - أن القتال لا يحقق له نصرا فعليا ولا مستقبليا، فعليه أن يسلك بأتباعه بحلم و رؤية، و يحفزهم باعداد القوة الى الطرف المناسب. و كان عصر الامام قد أتاح له الالتقاء بالغيض بطواغيت عصره من بنى العباس، فكانت مبادؤه متقاطعة مع كل من: أبي جعفر المنصور، و المهدي العباسي، و موسى الهادي، و هارون الرشيد، و هم يمثلون الدولة العباسية في قوتها و عنفوانها. و سنلاحظ عن قرب مدى الاستهانة بالقيم الانسانية و الأخلاقية لدى هؤلاء، و الامام موسى بن جعفر كالجبل الأشم رسوخا و ثباتا و قيما.

في استخلاف المنصور

لم يكن المنصور حازما كما صورته مدونو التاريخ، و لم يكن داهية كما يصفه رواة الأحداث، بل كان من جبابرة الأرض الذين سفكوا الدماء، و انتهكوا الحرمات. و لم يكن ليتعامل بمنظور ديني على الاطلاق، و انما هو الملك الدنيوي العقيم، فهو لا يتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم و الموبقات ازاء تثبيت أركان مملكته، و لا أدل على ذلك ما اقترفه من قتل الحسينيين تحت كل حجر و مدر، و من تتبع آثار المعارضين ابادء و سجون و طوامير، حتى طفح الاناء بما فيه شدة و قسوة و تنكيلا. و مع أن التاريخ الرسمي قد منح الطغاة هالة من التعظيم و شيئا من الاكبار، الا أن شذرات من تقاريره قد فضحت ذلك الستار الشفاف الذي أحيط بتلك الأبراج العاجية التي استقل في ظلالها دعاة الجور و قتلة الأبرياء. [صفحہ ١٤١] لقد أنزل العباسيون بقيادة أبي جعفر المنصور أفدح العقوبات بأبناء عمومته من العلويين، لم يمنعهم عن ذلك قرابة أو لحمه نسب، و لم يردعهم دين أو ورع، و انما هو الاستئثار الشامل بكل شيء، و الأحكام العرفية الصارمة لأدنى مخالفة، و لم تكن جرائم المنصور نفسه بريئة من القسوة الضارية التي أنست جرائم الجاهلية في عنفها و شدتها، يضاف اليها الغدر بأقرب الناس، و أنصار النظام، و قادة الحركة العباسية أنفسهم، حتى قال الأستاذ السيد أمير على الهندي: «كان المنصور خداعا لا- يتردد البتة في سفك الدماء، و تعزى قسوته الى حقه البالغ حد الافراط... سادرا في بطشه، و مستهترا في فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد علي (عليه السلام) صفحة من أسوأ صفحات التاريخ العباسي» [٢٦٨]. و لم يكن أمر قسوته بمعزل عن تسليط الضوء على برنامجه الدموي في استئصال شأفة المعارضين السياسيين من قبل التاريخ، بل صرح بأكثر من مصدر و مورد بآثار ذلك النهج الارهابي المفجع في صورته المرعبة. قال الطبري (ت ٣١٠هـ): ان المنصور: «أمر بأسطوانة مبنية ففرغت، ثم أدخل فيها محمد بن ابراهيم بن الحسن، فبنى عليه و هو حي» [٢٦٩]. بل أنه عمد الى جملة الأسرى من الحسينيين فكلبهم بالقيود و الأغلال حتى ماتوا في السجون [٢٧٠]. و قيل: انهم وجدوا مسمرين في الحيطان [٢٧١]. قال السيوطي بأنه: «قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه» [٢٧٢]. [صفحہ ١٤٢] و هو الذي أمر بضرب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ثم سجنه فمات بعد أيام [٢٧٣]. بل روى السيوطي: أنه قتل أباحنيفة بالسم [٢٧٤]. و هذه أمثلة شاردة على فظاظة أفعاله و سوء معاملته، مع شرائع من الناس و الأبرياء منهم بخاصة، و لا- أدل على ذلك من قتله الامام الصادق (عليه السلام) فقضى مسموما بأمره. و قد عرضنا لشيء من سيرته في البطش

الدموى فى كتابنا: «الامام جعفر الصادق (عليه السلام) زعيم أهل البيت» و نضيف هنا أنه كان ممن يتلاعب بشريعته سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله)، و يخالف أحكامها بأحكام ما أنزل الله بها سلطانا. «فقد دخل عليه ابن هرمه الشاعر المشهور بشرب الحمر، فقال له المنصور: ما حاجتك؟ قال ابن هرمه: تكتب الى عاملك بالمدينة أن لا يحدنى اذا وجدنى سكران!! فقال: لا أعطل حدا من حدود الله. قال: تحتال لى!! فكتب المنصور الى عامله: من أتاك بابن هرمه سكرانا فاجلده مائه، و اجلد ابن هرمه ثمانين. فكان من يراه سكران يقول: - من يشتري مائه بثمانين، ثم يتركه و يمضى» [٢٧٥]. و هكذا يجد المنصور المخرج لباحة شرب الخمر و تعطيل الحدود، علما بأنه كان يتناول الخمر، و لكنه لا يظهر لندمائه بشرب و لا غناء [٢٧٦] و كان [صفحة ١٤٣] معروفا بالفتك، و لقد غدر بأب مسلم الخراسانى قائد الدعوة العباسية، و بأبى سلمة الخلال وزير آل محمد كما وصفوه، و بعمه عبدالله بن على، و سواهم من أعيان رجاله. و كان بخيلا يضرب المثل بشحه و بخله، و يجد ذلك مكرمه و حسن تدبير، و يحرص على خزائنه جمعا و احتكارا، و الشعب المسلم يتضور جوعا و بؤسا، و يعلل ذلك بقوله: «من قل ماله قل رجاله، و من قل رجاله قوى عليه عدوه، و من قوى عليه عدوه اتضع ملكه، و من اتضع ملكه استبيح حماه» [٢٧٧]. و هكذا ترى حاكما غادرا بخيلا فاتكا يتمص الخلافة الاسلاميه، و يتبوأ مقعد ادارة المسلمين بهذه الصفات المهزوزة، و كان حريا بالتاريخ أن يكشف سود صحائفه، و لكن التأريخ يجرى فى ميدان الحكم سواء رضى الناس أم سخطوا. و كان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد قضى أكثر من عشرين عاما فى خلافة المنصور التى امتدت بين عام ١٣٦ هـ حتى عام ١٥٨ هـ، و هى فترة ليست بالقصيرة، اذ أفنى زهرة شبابه فى حياة هذا الحاكم، و هو يسفك الدماء بغير الحق، و يستبيح الدماء ابتداء من القضاء على الحسينيين و انتهاء بسم الامام الصادق (عليه السلام). و ما رافق ذلك من المظالم الهائلة و الارهاب الجماعى، مما ذهب ضحيته آلاف المسلمين الراسلين، مضافا الى القضاء على شباب الهاشميين و شيوخهم قتلًا و تشريدا و اعتقالا. كما حدث بذلك التأريخ [٢٧٨]. و كان الاضطهاد السياسى يتراوح فى تلك الحقبة بين قطع الأعناق و قطع الأرزاق و مصادرة الحرية، فكان على الناس و هى ترافق هذه الانتهاكات أن تحيا شاهد الخوف و الهلع و الفقر. [صفحة ١٤٤] و الامام ينظر الى هذا كله، و لا يستطيع تغيير ذلك جذريا، و ان استطاع أن يفضحه على رؤوس الأشهاد سلبا أو ايجابا، غاب عنه الأولياء الا صفوة تعد بأطراف الأصابع، ادخرهم لتبليغ الرسالة، و استتر عنه الزعماء فقد ملئت غرائهم بالأموال و الرشاوى، و بقى فى ضعفاء من الناس لا حول لهم و لا طول، و الأمر ينتقل بالفوضى من سىء الى أسوأ، و الآفاق داكنة بين سحاب و ضباب، و الحياة مضطربة بين السيف و الحيف، و قلق المسلمون على الامام حينما كتب المنصور الى واليه على المدينة عند وفاة الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «ان كان الامام قد أوصى الى رجل بعينه، فقدمه و اضرب عنقه». فكتب الوالى الى المنصور أن الامام الصادق قد أوصى الى خمسة: أبى جعفر المنصور نفسه، و محمد بن سليمان والى المدينة، و ولده عبدالله الأفطح، و ولده موسى، و زوجته حميدة. فقال المنصور: ما الى قتل هؤلاء من سبيل [٢٧٩]. و كانت جرائم المنصور تتجاوز الحدود فى الانتقام و التشفى، و أكتفى بحديث «الخزانة» التى احتجزها لنفسه، و لم يطلع عليها أحدا، و هى محاطة بالسرية و الكتمان، حتى ظهر أمرها بعد وفاته بما تحدث عنه محمد بن جرير الطبرى بقوله: «لما عزم المنصور على الحج دعا (ريطة بنت أبى العباس السفاح) امرأة المهدي، و كان المهدي بالرى قبل شخوص أبى جعفر، فأوصاها بما أراد، و عهد اليها، و دفع اليها مفاتيح الخزائن، و تقدم اليها و أحلفها، و وكد الايمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، و لا تطلع عليها أحدا الا المهدي، و لا هى الا أن [صفحة ١٤٥] يصح عندها موته، فاذا صح ذلك اجتمعت هى و المهدي و ليس معهما أحد حتى يفتحا الخزانة، فلما قدم المهدي من الرى الى مدينة السلام دفعت اليه المفاتيح و أخبرته ألا تفتحه، و لا يطلع عليه أحد حتى يصح عندها موته، فلما انتهى الى المهدي موت المنصور، و ولى الخلافة فتح الباب و معه ريطة، فاذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبين، و فى آذانهم رقاع فيها أنسابهم، و اذا فيهم أطفال، و رجال شباب، و مشايخ عدة كثيرة، فلما رأى المهدي ذلك ارتاع لما رأى، و أمر فحفرت لهم حفيرة، فدفنوا فيها، و عمل فوقها دكانا» [٢٨٠]. و هكذا نجد شأن الطغاة الكبار فى الانتقام اللانسانى بأقرب الناس صلة و نسبا، و لا غرابة فى ذلك و وصيته لولده المهدي تقول: «انى تركت بعض المسيئين من الناس ثلاثة

أصناف: فقيرا لا يرجو الا غناك، و خائفا لا يرجو الا أمنك، و مسجوننا لا يرجو الفرج الا منك» [٢٨١]. و يعقب على الرواية الأستاذ باقر شريف القرشي بقوله: «انه لم يترك بعض المسيئين من الناس على ثلاثة أصناف، و انما ترك الناس جميعا كذلك، فقد روعهم بخوفه، و سلبهم الأمن و الدعة، و نشر الفقر و المجاعة بينهم، و ملأ السجون بالأحرار و المصلحين» [٢٨٢]. و كيف ترى حياة الامام، و هو يعايش كل المآسى التى اجترحها المنصور فى حقه؟ بلى مات المنصور و عمر الامام ثلاثون عاما أبقت فى قلبه ذكريات اللوعة و المرارة و الأسى، فكان بذلك يحيا الألم الكبير فى كل ظواهره المروعة. [صفحة ١٤٦]

فى عهد المهدي العباسي

و استقبل المهدي بن المنصور خلافة أبيه عام ١٥٨ هـ بموجة عارمة من اللهو و العبث و المجون، فقد استولى على مخزون الثراء الفاحش الذى تركه أبوه نتيجة بخله و تقتيره مما احتجز من مال المسلمين، فأرخص لنفسه الزمام فى التحلل و الاستهتار و الاسراف، و ولع بالغناء و موائد الفجور، فأصاب منها ما شاء، و أباح للمغنيين ما شاؤوا من الحرية و الرخاء، و أصبح شعر بشار فى الغزل الاباحى ينشد جهارا، و بمجونه ينتشر سرا و خفاء، حتى عيب على المهدي ذلك، فضيق على بشار، ثم أطلق له العنان. و قد فصل القول بذلك الدكتور أحمد أمين من مصادره [٢٨٣]. و كان قد بلغ المهدي حسن صوت ابراهيم الموصلى وجودة غناؤه، فقربه اليه، و أعلى من شأنه [٢٨٤]. و كان المهدي مولعا بشرب الخمر، و معروفا به، حتى أثار ذلك وزيره يعقوب بن داود فنهاه عن ذلك فلم يته، و قال له: «أبعد الصلاة فى المسجد تفعل هذا؟» فما استمع له، و شجعه على الخمر بعض شعرائه، فقال: فدع عنك يعقوب بن داود جانبا و أقبل على صهبا طيبة النشر [٢٨٥]. و كان المهدي أول من فتح باب الخلاء و المجون فى بنى العباس، و أول من استجاب لشهواته و نزواته علنا، فنشأ جيل من الشباب فى ميعه [صفحة ١٤٧] و ضياع، و تجرأ على الحرمات ذوو الفسق و الفجور، و كانت نقله نوعية فى حياة الترف و السرف أشرفت فيها الدولة على التدهور، و صاحب ذلك البذخ الطائل الذى تجلى فى مراسم تزويجه لولده هارون الرشيد من زبيدة فيما استضاف به الناس فى قصر الخلد على دجلة، فكان مجمل ما أنفق على ذلك من بيت مال المسلمين خمسين ألف ألف درهم، و ألبست زبيدة قميصا كله من الدر الكبار، و ثوبا كله من الذهب [٢٨٦]. بل ذهب الشابشتى الى أكثر من هذا، فقال: «ان المهدي لما زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة أخيه، استعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآله و صناديق الجوهر، و الحلوى، و التيجان، و الأكاليل، و قباب الفضة و الذهب، و الطيب، و أعطاهها بدلة هشام (بن عبد الملك) و لم ير فى الاسلام مثله، و مثل الحب الذى كان فيها، و كان فى ظهرها و صدرها خط من ياقوت أحمر، و باقيها من الدر الكبار الذى لا يوجد مثله» [٢٨٧]. أما الهبات الضخمة التى منحها لأبنائه و قواده و ولاته فحدث عن ذلك و لا حرج، فقد اشترى فصا من ياقوت أحمر بثلاثمائة ألف دينار، و وهبه لولده الهادي مما أوجد حالة من الذهر و الهلع لدى سواد المسلمين الجياع. و فى هذا المناخ الساخن نشأ ولده ابراهيم فكان شيخ المغنيين، و شبت ابنته عليه بنت المهدي، فكانت زعيمة الغناء النسائي فى العصر العباسي، و تفرغت زوجته الخيزران فكان لها الباع الأطول فى شؤون السياسة و ادارة السلطان. و بذر أموال الدولة على الشعراء، فحينما أنشده مروان بن أبى حفصة: [صفحة ١٤٨] هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها أو تدفعون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبى فقالها شهدت من الأنفال آخر آية بثرائهم فأردتم ابطالها و سمع المهدي ذلك، زحف من مصلاه حتى صار على البساط، و هو يقول: كم بيت هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم، و قال له: «انها لأول مرة أعطيها شاعرا فى خلافة بنى العباس» [٢٨٨]. بهذا و أمثاله كانت تساس الدولة فى عهد المهدي، و تبذر الأموال بين أتباعه و شهواته، أضف اليها تشجيعه للوضاعين الذين يخترعون الأخبار و الروايات فى ثلب العلويين، و ضمهم اليه بما افترروا من الكذب الصراح على النبى (صلى الله عليه و آله) [٢٨٩]. و لم يكن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى منأى عن شرور الحكم و جرائمه، فقد كابد الكثير فى عهد المهدي بما تحدث عنه الرواة، لا لشيء، الا العداء السافر لآل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) و الا الخوف المستطير من مكانة الامام و التفاف المسلمين حول زعامته الدينية، بما عرف عنه من

الورع والتقوى، و ما اشتهر من الأثر العلمي العظيم. و يبدو أن المهدي قد استدعى الامام عدة مرات، و استقدمه الى بغداد. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و قد نجح ذوو النفوس الخبيثة في سعيهم لتأزيم الموقف بين الامام و السلطان، فاستدعى الامام الى بغداد، و حبس هناك باتفاق المؤرخين مدة [صفحہ ١٤٩] من الزمن.. و ان استدعاء الامام و حبسه في عهد المهدي قد تكرر أكثر من مرة... و ذكر (القدمة الأولى على المهدي) دليل على تعدد القدمات و تكرارها، و ان لم نعرف عددها و ملابساتها بالتفصيل» [٢٩٠]. و قد أشار الرواة الى حادثتين في هذا السياق: فقد كتب المهدي الى عامله على المدينة بارسال الامام الى بغداد، فتجهز الامام للسفر، و التقى أباخالد (الزبالي أو الرماني) و كان منقبضا، فقال له الامام: مالي أراك منقبضا؟ قال: كيف لا أنقبض، و أنت سائر الى هذا الطاغية، و لا آمن عليك. فهدأ الامام من روعه، و أخبره أن لا ضير عليه في سفره هذا، و يبدو أن الامام سجن في هذا الاستدعاء، قال الخطيب: و لما حبس المهدي موسى بن جعفر، رأى المهدي في النوم على بن أبي طالب، و هو يقول: (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم) [٢٩١]. قال الربيع: فأرسل (المهدي) الى ليلا، فراعني ذلك، فجتته فاذا هو يقرأ هذه الآية - و كان أحسن الناس صوتا - و قال على بموسى بن جعفر، فجتته به، فعانقه، و أجلسه الى جنبه، و قال: يا أبا الحسن، اني رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب في النوم يقرأ على كذا، فتؤمنني أن لا تخرج على أو على أحد من ولدي؟ فقال: الله، لا فعلت ذاك، و لا هو من شأني. قال: صدقت. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار، و رده الى أهله. [صفحہ ١٥٠] قال الربيع: فأحكمت أمره ليلا، فما أصبح الا - و هو في الطريق خوف العواقب [٢٩٢] و قد روى هذا الخبر في أكثر من خمسة عشر مصدرا بالتفصيل [٢٩٣]. و سار الامام (عليه السلام)، فالتقى أباخالد في «زباله» أيضا، و كان السرور ظاهرا عليه، فقال له الامام: «ان لهم الى عودة لا أتخلص منها» [٢٩٤]. و هناك حادثة تروى في المناقب و البحار بالشكل الآتي: «لما بويج محمد المهدي دعا حميد بن قحطبة نصف الليل، و قال: ان اخلاص أبيك و أخيك فينا أظهر من الشمس، و حالك عندي موقوف!! قال: أفديك بالروح و المال و الأهل و الولد. فلم يجبه المهدي؛ فقال: أفديك بالمال و النفس و الأهل و الولد و الدين. فقال: لله درك؛ فعاهده على ذلك، و أمره أن يقتل الامام الكاظم (عليه السلام) في السحر بغته. فنام فرأى عليا (عليه السلام)، يشير اليه، و يقرأ الآية السابقة... فانتبه مذعورا، و نهى حميدا عما أمره، و أكرم الكاظم و وصله» [٢٩٥]. ولدى المقارنة في ضوء الروايتين نلاحظ أن الامام كان سجيناً عند الربيع أولاً، و عند حميد بن قحطبة ثانياً، و على هذا فان اعتقال الامام قد حدث مرتين في عهد المهدي بن المنصور، كما نلاحظ أن الامام قد استقدم مرتين عليه من المدينة الى بغداد، فاذا علمنا مدى حقد المهدي على العلويين و شدة بطشه بهم، كان ما استنتجناه مقاربا للواقع الذي حدث. و هكذا كان شأنه مع أبناء على بن أبي طالب سجنا و تشريدا و قتلا، فقد روى الطبري عن يعقوب بن داود وزير المهدي أن المهدي قال له: [صفحہ ١٥١] هذا فلان بن فلان من ولد على، أحب أن تكفيني مؤونته و تريحنى منه، و تعجل ذلك... قال: قلت أفعل، قال: فخذ اليك... و أهدى له جارية حسناء. قال يعقوب: و بعثت الى العلوي، فأدخلته و سألته عن حاله... و اذا هو ألب الناس و أحسنهم ابانة... قال لي: ويحك؛ يا يعقوب؛ تلقي الله بدمي، و أنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد؟ قلت: لا و الله، فهل فيك خير؟ قال ان فعلت خيرا شكرت لك. فقلت له: أي الطرق أحب اليك؟ قال: طريق كذا، قلت: فمن هناك من تأنس به و تثق بموضعه؟ قال: فلان و فلان. قلت: فابعث اليهما، و خذ هذا المال، و امض معهما. و اذا الجارية (التي أهديت له) قد حفظت على قولي، فبعثت به مع خادم لها الى المهدي... و بعث المهدي من وقته ذاك فشحن تلك الطرق... فلم يلبثوا أن جاؤوه بالعلوي بعينه و صاحبيه و المال. قال يعقوب: و أصبحت من غد ذلك اليوم، فاذا رسول المهدي يستحضرني... فقال: يا يعقوب، ما حال الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد أراحك الله منه. قال: مات؟ قلت: نعم، قال: و الله؟ ثم قال: قم فضع يدك على رأسي، قال: فوضعت يدي على رأسه و حلفت له به. قال: يا غلام؛ اخرج الينا ما في هذا البيت. قال: ففتح بابه عن العلوي و صاحبيه و المال بعينه. قال: فبقيت متحيرا و سقط في يدي. فقال المهدي: لقد حل لي دمك لو آثرت اراقته، و لكن احبسوه [٢٩٦]. [صفحہ ١٥٢] و هذا نموذج فرد من نماذج كثيرة تمثل جور المهدي، و ما صاحب أيام حكمه من المظالم طيلة أحد عشر عاما من خلافته السوداء؛ و لقد عاش الامام الكاظم (عليه السلام) أحداثها المأساوية و

اجترأها الدموى. وربما انتبه المهدي لنفسه، فرأى ما أحدثه من ثغرات عريضة في كيان الدولة، فحاول ائتلاف القلوب بأسلوب من الدجل والتضليل يظهر فيه بصورة المنصف في مروءة مزعومة. فقد عرض على الامام موسى بن جعفر فيما يروى، أن يرد عليه فدكا، فرفض الامام ذلك، ولما ألح عليه المهدي، قال: لا أقبلها الا بحدودها. قال المهدي: و ما حدودها؟ قال الامام: الحد الأول عدن. فتغير وجه المهدي. و الحد الثاني: سمرقند. فأربد وجهه. و الحد الثالث: افريقية. فقال له المهدي: و الحد الرابع؟ قال الامام: سيف البحر مما يلي الخزر و أرمينية. فقال له: لم يبق لنا شيء، فتحول الى مجلسي!! قال الامام: لقد أعلمتك بأني ان حددتها لم ترددها [٢٩٧]. و المهدي أراد تطيب بعض الخواطر الناطقة باغتصاب أرض الزهراء، و الامام أكد الأمر باغتصاب الخلافة و الدولة لا الأرض وحدها. و مهما يكن من أمر، فقد انتهت أيام المهدي بموته في المحرم ١٦٩ هـ [٢٩٨]. [صفحة ١٥٣]

في أيام موسى الهادي

و كانت أيام الهادي بن المهدي العباسي من أسوأ ما مر في حياة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) على قصر المدة و اخترام الأجل، اذ تملك عام ١٦٩ هـ، و هلك ليليال بقيت من ربيع الأول عام ١٧٠ هـ [٢٩٩] و كان شابا نزقا تولى الخلافة العباسية و عمره خمس و عشرون سنة [٣٠٠]. «و كان سادرا في الطيش و الغرور، و متماديا في الاثم و الفجور، و قد أراح الله منه العباد في بداية ملكه، فلم تطل أيامه، و لو امتد به العمر لواجه المسلمون في عهده أعنف المشاكل و أقساها، فقد كان طاغيا جبارا لا يتحرج من سفك الدماء و اراقتها بغير حق، و قد أسرف في سفك دماء العلويين، فأنزل بهم العقاب الصارم، و قد أجمع رأيه على التنكيل بالامام موسى (عليه السلام)، الا أن الله قصم ظهره قبل أن يقوم بذلك» [٣٠١]. و كان شديد الوطأة على العلويين، و قد امتأأ عليهم حقدا نتيجة العقد النفسية المتأصلة لديه، و قد ورث هذا الحق لا عن كلاله، فقد رأيت جده و أباه و أخاه من ذى قبل، فاذا أضفت الى هذا أنه «قاسى القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام» [٣٠٢]. كانت الحصيلة المترتبة الدماء اثر الدماء تراق فيها الأخلاق و القيم، و تحصد فيها النفوس البريئة من آل أبي طالب في قسوة من الاجراءات لا مثيل لها، فهو يتعقبهم في الآفاق، و يطلب شبابهم و كهولهم في الأقاليم، فلم [صفحة ١٥٤] يفلت الا القليل من قبضته، حتى قال اليعقوبى أنه: «ألح في طلب الطالبين، و أخافهم خوفا شديدا... و كتب الى الآفاق في طلبهم» [٣٠٣]. و قد تابعهم تحت كل حجر و مدر بعد «مأساة فخ» الشهيرة التي سنأتى على ذكرها في موقعها من البحث. و كانت هذه الثورة التي قادها الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب (عليهم السلام) قد استهدفت النظام العباسي، و ذلك بسبب من مظالمه و سوء الادارة، و اضطهاد أهل البيت (عليهم السلام) و من يمت اليهم بصله ما، و اذلال المسلمين و مصادرة الحرية و اختلاس الأموال، و هى من أعنف الثورات في التاريخ الاسلامي - مأساة - بعد ثورة الطف، فقد استؤصل قاداتها، و أريد معسكرها، و قتل مفجرها في «فخ» على ستة أميال من مكة المكرمة، و بقى القتلى ثلاثة أيام على وجه الأرض بلا دفن [٣٠٤]. و قد احتزن رؤوسهم، فكانوا مائة رأس و نيفا [٣٠٥]. و قد اكتوى الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بلهب هذه الثورة، فتوجه اليه اصبع الاتهام جزافا، حتى أن موسى الهادي قد هم بقتل الامام، ثم أعرض عنه، لعدم ثبوت تأييده لها [٣٠٦]. و ذكر ابن حجر «أن موسى الهادي حبسه أولا ثم أطلقه» [٣٠٧]. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و عندما نريد البحث و التعمق في معرفة دوافع الخليفة الهادي الى حبس الامام، أو ايصال الأذى اليه، أو العزم على قتله، فقد يرجح فى الظن أن [صفحة ١٥٥] ذلك مرتبط بقضية ثورة الحسين بن على فى سنة ١٦٩ هـ، كما يرجح أيضا أن، يكون تراجع عن تنفيذ ما عزم عليه بسبب ما علمه بعد ذلك من جلاوزته و مخبريه من عدم مشاركة الامام فى تلك الثورة، و رفضه دعوة ابن عمه للخروج معه» [٣٠٨]. و مع هذا فقد عاش الامام مأساتها بكل أبعادها كما سترى. و لم يكن موسى الهادي رجل دولة، و لا صاحب قيادة، و قد شغل نفسه بالملذات الآثمة و الشهوات الموبقة، فهو رجل خمر و غناء و خدين نديم و مجون، فقد «كان يتناول المسكر» [٣٠٩] بل كان من المتهالكين على شرب الخمر، فكان أول خليفة عباسي أغرى بالخمر [٣١٠] و تبعه على ذلك هارون الرشيد [٣١١]. و كان الهادي خليعا ماجنا، أقبل على اللهو و الدعارة،

فبذل المال العظيم على شهواته و طربه و محافل الغناء حتى قال اسحاق الموصلى: «لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب» [٣١٢] و قد غناه ابراهيم الموصلى بصوت فأطربه فوهب له ثلاثين ألف دينار [٣١٣]. و هكذا تكون الشقة بين الشعب البائس اليائس و بين حكامه و سلاطينه العابثين، الشعب يتطلع الى رغيغ الخبز، و السلطان يسرف بامعان تحقيقا للذائد الآثمة. و يتجرع الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ضروب المآسى فى أيام هذا الطاغية المشهور، فيصبر على الأذى، يكظم غيظه، حتى اذا توعده بالقتل جازما، [صفحة ١٥٦] و أنهى اليه الخبر، و عنده جماعة من بنى هاشم و أهل بيته، قال لأهل بيته: ما تشيرون؟ قالوا: نرى أن تتباعد عنه، و أن تغيب شخصك منه، فانه لا يؤمن شره، فتبسم الامام، و قال مستشهدا: زعمت سخيئة أن ستغلب ربها و ليغلبن مغالب العلاب ثم رفع يده الى السماء، فقال: «اللهم كم من عدو شحذ لى ظبة مدينه، و أرهف لى شبا حده، و داف لى قواتل سموحه، و لم تنم عين حراسته، فلما رأيت ضعفى عن احتمال الفوادح، و عجزى عن مللمات الجوايح، صرفت ذلك بحولك و قوتك. لا بحولى و قوتى، فألفيته فى الحفير الذى احتره خائبا مما أمله فى دنياه، متباعدة مما رجاه فى آخرته، فلك الحمد على ذلك قدر استحقاقتك سيدى، اللهم فخذ بعزتك، و أقلل حده عنى بقدرتك، و أجعل له شغلا فيما يليه، و عجزا عن ينأويه. اللهم و أعدنى عليه عدوى حاضرة، تكون من غيظى شفاء، و من حقى عليه وفاء، و صل اللهم دعائى بالاجابة، و أنظم شكائى بالتغيير، و عرفه عما قليل ما وعدت الظالمين، و عزمى ما وعدت فى اجابة المضطرين، انك ذو الفضل العظيم و المن القدم». (ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا الا لقراءة الكتاب الوارد عليه بموت موسى بن المهدي) [٣١٤]. و كان دعاء الامام مستجابا و على الفور، حيث ورد البريد بهلاك موسى الهادى، و فى ذلك يقول بعض من حضر عند موسى بن جعفر من أهل بيته: [صفحة ١٥٧] و ساريه لم تسر فى الأرض تبتغى محلا.. و لم يقطع بها البعد قاطع سرت حيث لم تحد الركاب و لم تنخ لورد.. و لم يقصر لها البعد مانع تمر وراء الليل.. و الليل ضارب بجثمانه.. فيه سمير و هاجع تفتح أبواب السماء.. و دونها اذا قرع الأبواب منهن قارع اذا وردت لم يردد الله وفدها على أهلها.. و الله راء و سامع و انى لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع [٣١٥]. و الأبيات اشارة تفصيلية الى دعوة الامام فى رد كيد الهادى، و هكذا كان، فقد انتهت حياة الهادى بدعاء الامام، دون الدخول بتفصيلات مؤامرة القضاء على الهادى.

فى مملكة هارون الرشيد

ولى هارون الرشيد الملك فى ربيع الامام سنة ١٧٠ هـ، و مات لىال خلت من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ، و قد امتدت خلافته ثلاثة و عشرين عاما [٣١٦]. و قد اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فى عصره اتساعا عريضا، فضربت بأطنابها غربا و شرقا و جنوبا و شمالا، فمن حدود البحر الأبيض المتوسط و مشارف البحر الأحمر حتى افريقيا، و من مضائق البسفور و بحر قزوين حتى أذربكستان و بخارى و سمرقند، و من شواطىء الخليج و مضارب الهند و السند حتى تخوم الصين. يضاف الى هذا كله الجزيرة العربية من أقصاها الى أنداها، و هى مساحات واسعة اشتملت على نصف العالم تقريبا، حتى أثر عنه مخاطبا السحابة «حيثما تمطرين ففى ملكى..» [صفحة ١٥٨] و قد صدق بتعبيره عن سلطانه بأنه ملك، فهو من أعتى الملوك و ان تظاهر برقة القلب، و هو من أقسى الجابرة و ان بدا بطيبة البرى، و هو من أترف الحاكمين و ان تجلبب برداء الزهد و اظهار الورع، و هو من المخططين البارزين لاقامة السلطة بقوة الحرب، و حماية الملك بسفك الدماء. و قد كان القلقشندى مهذب التعبير فى رواية خطابه للسحب: «اذهبى الى حيث شئت بأننى خراجك» [٣١٧]. و قد حكى هذا التعبير ما فى قلب الرشيد من الاعتداد بالمال و الخراج، لا بالاسلام و دولته، فأحتجان الأموال، و تكدس الأرصد هو الذى يوفر له حياة البذخ و العبث، و هو الذى يحقق له موائد الفسق و اللهو و الطرب، و السيطرة على المال من المهمات الأساسية فى ملكه، يستعين به فى شراء الضمائر، و القضاء على المعارضين، و الترفيه عن ولاته و بطانته و حواشيه و جواريه، و الاغداق على المغنين و المخنثين و القيان. يقول الأستاذ باقر شريف القرشى: «وجبى له الخراج من جميع الأقاليم الاسلامية، و صارت عاصمته بغداد عروس الدنيا، و مستودع أضخم بيت للمال فى العالم... و انتشر فيها الثراء الفاحش و التضخم النقدى عند التجار و الموظفين و الندماء و

المطربين و المجان، و تناثرت فيها القصور الرائعة التى شيدت على طراز هندسى جميل مزيج من الذوقين العربى و الفارسى، و صارت بغداد بما فيها من الحداثات الغناء زينة الشرق، و أعظم عاصمته لأهم امبراطورية شاهدها التأريخ» [٣١٨]. و لا تحسبن هذه الامبراطورية جاءت لتطبيق مبادئ الاسلام أو تحكيم شريعة السماء، و انما استغلت استغلالا فظيحا للاستعلاء فى الأرض، [صفحة ١٥٩] و افترضت لتلبية رغبات المجون العاثر، فالشعب المسلم على قارعة الطريق يتشكى البؤس و الحرمان و فقد الحياة الكريمة، و قصور الخلفاء تعج بالقيان و الجوارى و الغلمان، و أنفقت واردات الدولة فى تشيد القصور الفارهة، و بددت الميزانية العامة فى اغراق أتباع النظام بالأعطيات الضخمة، و اتخام وعاظ السلاطين بالهبات الطائلة، و كان لسوق المجان و الفسوق نصيب مما قرره السلطان، و كانت الثروات اثره بين هؤلاء و هؤلاء. و قد قدر الدكتور عبدالجبار الجومرد واردات الدولة ب «مليارين و مائتين و عشرين مليون دينار، و تسعمائة و ستين ألف دينار» [٣١٩]. و هذا القدر العظيم فى الميزانية يجعلها أضخم ميزانية فى العالم آنذاك بالنسبة للقيمة النقدية المتداولة و قيمة الأسعار، فقد ذكر الدكتور أحمد أمين الأسعار فى الأسواق، فذهب أن الكباش يباع بدرهم، و الجمل بأربعة دنانير، و التمر ستون رطلا بدرهم، و الزيت ستة عشر رطلا بدرهم، و السمن ثمانية أرطال بدرهم، و أجرة البناء الأستاذ بخمس حبات، و الحبة ثلث الدرهم، و الدائق سدس الدرهم [٣٢٠]. و فى هذا الضوء كان ما أبداه الجهمشيارى دقيقا حينما اعتبر واردات الدولة عبارة عن: خمسمائة مليون درهم و مائتين و أربعين ألف درهم [٣٢١]. و ذلك بالدرهم الفضى المتعارف عليه فى ذلك العصر. فأن ترى مصرف هذه الايرادات الضخمة من قبل السلطان؟ ان هذه الايرادات الكبرى لم تكن لتصرف فى وجوه البر و الاحسان، و لا لنشر تعاليم الاسلام، و لا لاعمار البلاد، و لا لتلبية احتياج البائس [صفحة ١٦٠] الفقير، و لا- فى وجوهها المشروعة الا لماما، و انما كانت تبذر فى سبيل الرغبات الخاصة، و المسلمون بين جائع و عريان، و شريد و طريد، و العلماء فى فقر وفاقه و اذلال، و قادة الفكر و المعرفة فى بؤس و شقاء، و عامة الناس كالعبيد فى ذل و اضطهاد، يفترشون الأرض و يلتحفون السماء، الا تلك الطبقة الأرستقراطية من الولاة و أبناء السلاطين و فقهاء البلاط، فانها فى نعيم من العيش الرغيد!! و هذا المال الذى هو مال المسلمين زكاة و خراجا، يتقاسمه المغنون و الجوارى و الغلمان فى هبات جزيلة متتابعة، فقد غنى دحمان الأشقر الرشيد فطرب لذلك و قال له: تمن على، فتمنى على الرشيد ضيعتين واردهما أربعون ألف دينار فأعطاه اياهما [٣٢٢]. و أنشده أبوالعتاهية أبياتا، غناها للرشيد ابراهيم الموصلى، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم، و مائة ثوب [٣٢٣] و غناه يحيى المكى فأطربه، فقال الرشيد: أعطوه ما فى ذلك البيت، فكان فيه ما قيمته خمسون ألف درهم [٣٢٤] و غناه يحيى المكى أيضا بيت من الشعر، فسكر عليه حتى أمسى، و أمر له بعشرة آلاف درهم [٣٢٥]. و غنى اسحاق الموصلى للرشيد بأبيات وصف فيها بستانا بظهر الحيرة قيمته أربعة عشر ألف دينار، فأمر له الرشيد بأربعة عشر ألف دينار، فاشترها [٣٢٦]. و غناه ابراهيم الموصلى صوتا من مختاراته، فطرب له الرشيد طربا شديدا، و استعاده عامه ليله... فأمر له بمائتى ألف درهم [٣٢٧]. [صفحة ١٦١] و غناه ابراهيم الموصلى بعد أن أطلقه من الحبس بهذا البيت: تزوج مسكا بطن نعمان اذ مشيت به زينب فى نسوة خفرات فأمر له بثلاثين ألف درهم [٣٢٨]. و هذا غيظ من فيض سقناه على سبيل المثال لتبذير أموال المسلمين على الغناء و مجالسه فحسب، فما بالك فى اعداد تلك المجالس و تهيئه مرافقها و متطلباتها و ما يقتضى لها من الأشربة و الأنبذة و آلات الطرب و الفرش الوثير و الوسائد و الستائر، و ما يتبع ذلك من الانفاق لدى اصطفاف الموائد؟؟ أما الجوارى و شراؤها، فقد بلغ حد الاسراف فى الأسعار، و المغالاة فى استزادة منها، و أسوق اليك هذا النموذج فى عدد ما فى القصر لنوع خاص من الجوارى تشرف عليه زوجته أمجعفر، و قد أقبلت فى زهاء ألفى جارية من جواريهها!! و سائر جوارى القصر، عليهن غرائب اللباس، و كان قد استقل بجارية عنها فى غاية الجمال و الكمال!! فأقبلت جوارى أمجعفر فى قبال جواريه الأخريات، و هن فى لحن واحد: منفصل عنى... و ما قلبى عنه منفصل يا قاطعى اليوم لمن نويت بعدى أن تصل فطرب الرشيد، و قام على رجله حتى استقبل أمجعفر قائلا: لم أر كالיום قط. ثم نادى مسرورا الخادم قائلا: يا مسرور لا تبقي فى بيت المال درهما الا نثرته، فكان مبلغ ما نثره يومئذ: ستة آلاف ألف درهم [٣٢٩]. و اذا لم يكن هذا عبثا بأموال الدولة فكيف يكون العبث؟ [صفحة ١٦٢] و مع هذا كله، و فوق هذا كله،

فان الرشيد يسمى أمير المؤمنين!! فيا لله و للمسلمين، فأى أمير هذا الذى يعيش بين خايبة وزق، و يحيا بين قينة و مغنية، و يحظى بجارية و جارية، و يشتمل قصره الملكى العامر على آلاف الجوارى من مختلف الجنسيات!! و لك أن تعجب من بخله على طبقات الشعب، و لك أن تعجب من سخائه على المجان و المخشين و مرتزقة الشعراء، فقد كان يجيز بعض الشعراء فى قصائدهم عن كل بيت بألف دينار [٣٣٠] و أعطى لأعرابى من باهلة أنشدته بيتين ذكر فيهما ولديه الأمين و المأمون مائة ألف درهم [٣٣١]. و كان أشجع السلمى ثقيلًا على الرشيد، فأنشدته قصيدتين طرب لهما الرشيد، فقال له: يا أشجع؛ لقد دخلت الى و أنت أثقل الناس على قلبى، و انك لتخرج و أنت أحب الناس الى. قال أشجع: ما الذى أكسبتنى هذه المنزل؟ قال الرشيد: الغنى؟ فأسأل ما بدا لك. قال: ألف ألف درهم، قال الرشيد: ادفعوا له [٣٣٢]. هذه الهبات الضخمة لشعراء مغمورين؛ فما بالك فى شعراء الطبقة الأولى؟ أما تبذير الرشيد و اسرافه فى شراء الجواهر و الأحجار الكريمة، و القلائد الثمينة فما لا رأت عين و لا سمعت اذن، فكان خاتمه بمائة ألف دينار [٣٣٣]. [صفحة ١٦٣] و قد اشترى جواهر معدودة بمائتى ألف دينار، فوهبها لدنانير البرمكية [٣٣٤]. و كان عند الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع، و على رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر لا تقدير لثمنه نظرا لنفاسته، و قد قوم الطائر وحده بمائة ألف دينار [٣٣٥]. و قد شاركته السيدة زبيدة بملحظ الاسراف فى الجواهر و سواها... فأمرت أن يتخذ لوصائفها من الدر المثقوب بالتصليب، ثم اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر تلبسها فى قصرها، و اتخذت سبعة من يواقيت رمانية كالبنديق، اشترتها بخمسين ألف دينار [٣٣٦] و اشترت غلاما يضرب على العود بثلاثمائة ألف درهم [٣٣٧] و غناها ابن جامع هى و الرشيد بثلاثة أبيات، فأمرت زبيدة أن يدفع لابن جامع المغنى عن كل بيت مائة ألف درهم [٣٣٨]. و وهبت زبيدة لمنصور النمرى جوهره لوصفه مدينة السلام، اغراء بالرشيد للرجوع اليها، اذ كان يستطيب المقام بالرقعة، فأرادت عودته لبغداد، فعمل النمرى بيتين استحسناهما الرشيد، فوهبت له جوهره، ثم دست من يشتريها منه بثلاثمائة ألف درهم [٣٣٩]. و صنعت لها بساطا من الديباج جمع صورة كل حيوان من جميع الأجناس، و صورة كل طائر من الذهب، و أعينها من يواقيت و جواهر، أنفقت عليه نحو من ألف ألف دينار [٣٤٠]. [صفحة ١٦٤] يضاف الى هذا العبث بذخ البرامكة المستطير، و اسرافهم فى العطاء للشعراء و الزعماء و الأتباع و وعاظ السلاطين، حتى عرف عنهم أنهم من الأجواد، فبذروا واردات الدولة فى مآربهم و أغراضهم و شهواتهم و ملذاتهم، و ما يكسبهم شهرة و صيتا، عدا موائدهم العامرة بأنواع الأشربة و الأطعمة، يضاف اليها أندية الخمرة و الطرب. و اذا عدنا الى الرشيد رأينا مولعا بالخمير، و يدعو خواص جواريه اذا أراد أن يشرب، و ربما تولى السقاية بنفسه [٣٤١]. و قد ذكر السيوطى عن الذهبى أن الرشيد كان صاحب أخبار و حكايات فى اللهو و اللذات المحظورة و الغناء [٣٤٢]. و للتأريخ و الحقيقة المرة، فان الرشيد لم يكن ذا حراجه فى دين، و لا أثر من تقوى لديه، و انما هو الرياء المقنع بالدجل السياسى، فقد أخرج السلفى فى الطيوريات بسنده عن ابن المبارك، قال: «لما أفضت الخلافة الى الرشيد، وقعت فى نفسه جارية من جوارى المهدي. فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك؛ ان أباك قد طاف بى. فشغف بها، فأرسل الى أبى يوسف فسأله: أعندك فى هذا شىء؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ أو كلما ادعت أمه شيئا ينبغى أن تصدق؛ لا تصدقها فانها ليست بمأمونة». قال ابن المبارك: «فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذى قد وضع يده فى دماء المسلمين و أموالهم يتخرج عن حرمة أبيه؟ أو من هذه الأمة التى رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين!! [صفحة ١٦٥] أو من هذا فقيه الأرض و قاضيهها، قال: اهتك حرمة أبيك، واقض شهوتك، و صيره فى رقبتى» [٣٤٣]. هذه صورة اجمالية عجلى من صور هارون الرشيد فى البذخ و الاسراف، و سأثبتك صوره فى القتل و الارهاب، و صوره فى الغدر و الفتك، فما يغنى عنه دفاع ابن خلدون و عده له من أئمة المسلمين، و ما يغنى مناصرة الدكتور عبد الجبار الجومرد له، فنفى عنه شرب الخمر، و لعب النرد، و ما الى ذلك مما هو مستهتر به [٣٤٤]. بينما لم نجد عصرا بلغ به العبث و التهتك الذروة كعصر الرشيد، و قد ساد به اللهو و المجون فغمر البلاد و أفسد العباد، و عمت المحرمات الشرعية ديار الاسلام و أقاليمه بستار رقيق من الادعاء الدينى. يقول العلامة الدكتور مصطفى جواد (رحمه الله): «و لو قدر لهارون الرشيد أن يبقى على أريكة الخلافة أكثر مما بقى لانحطت الدولة الاسلامية الى مستوى سحيق أقبح الانحطاط» [٣٤٥]. و مهما يكن من أمر، فقد بدأ هارون

الرشيد خلافته «باخراج من كان فى مدينة السلام من الطالبين الى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)». و كان هذا الاجراء دقيقا فى نظره السياسية، فحكم الرشيد ببغداد بحاجة الى الاستقرار السياسى، و لابد أن يصفو الجو من المعارضة، و أن تخلو الساحة من الرافضين لمظالم الحكم، و هذا التفكير لم يكن بعيدا عن ذهنية الرشيد الأمنية، و لابد له من تحقيق ذلك، فبث الرصد و العيون لتتبع أخبار الطالبين، و تعقب تحركهم النضالى ضد النظام، بما أذكى شرارة البغضاء [صفحة ١٦٦] و الضغينة بين الحين، حتى استطال الظلم الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) و هو غير طامح فى سلطان، و لا طامع فى عرش، و لامتهالك على حكم، و كل ما يهمله هو احياء السنة و اطفاء البدعة. و مع الاعراض الواضح للامام عن مظاهر الأبهة و الملك، الا أن الرشيد قد تحين الفرص و افتعل الحجج لاعتقال الامام مرة بعد مرة، و عرضه على السجون تارة بعد أخرى. و مما يحز فى النفس أن الرشيد قد يستوقف الامام للاستجواب و المساءلة الغليظة الجافة دون مسوغ شرعى أو عرفى، حتى استقر رأيه على القضاء عليه. و ربما قيل ان الرشيد بادية ذى بدء «أكرم الامام و عظمه» [٣٤٦] و لكن ذلك ان حصل فهو نوع من الدجل السياسى المفضوح، على أننا لم نجد شاهدا واحدا يؤكد اكرام الامام و اعظامه من قبل الرشيد، بلى قد تقهره الحقيقة فيعترف بما للامام من فضل و علم و قيادة. و من الوضوح بمكان أن الرشيد كان حاقدا على الطالبين بعامه، و على الامام بخاصة، كما تحدثنا بذلك النصوص المتواترة فى أكثر من موقع و موضع حتى لا يدرى البحث من أن يبدأ. كان الامام طيلة أيام الرشيد شديد الحذر، و كانت الرقابة الصارمة من حوله تقضى بابتعاده عن أوليائه و أصحابه، حتى أن تلامذته و رواة حديثه حينما يروون احاديثه و أفكاره، قد يتجنبون التصريح باسمه الشريف، فيقول أحدهم: حدثنى الرجل، و كتبت الى الرجل، و أجب الرجل، و قد يذكر بكناهه فيقال: قال أبو الحسن، و تحدث أبو ابراهيم، و قد يعبر عنه بما اشتهر من ألقابه عند خاصته، فيقال: سمعت العبد الصالح، و قال السيد، و تحدث [صفحة ١٦٧] العالم، و روى الكاظم، و أمثال هذا، و يدل بوضوح على مدى الرصد الذى يعانى منه الامام و شيعته، و لعل ذلك كان بوصية منه (عليه السلام) حفظا لأوليائه من الخطر و تجنباً لمواطن التهم باستعمال الرموز الدالة عليه دون التصريح بالاسم الرفيع درءا لمكائد هؤلاء الطغاة. و كان الطالبيون قد استتروا عن الرشيد حذر القتل و غياهب السجون، و ذلك عقب العنف الثورى الذى صارع الحكم، و كانت رده فعل الرشيد قاسية فى اجراءات نفذت فيها الأحكام العرفية بأبشع صورها، و كنموذج عليها ما رواه عبيد الله البزاز النيسابورى، قال: «كان بينى و بين حميد بن قحطبة الطائى الطوسى معاملة، فرحلت اليه فى بعض الأيام، فبلغه خبر قدومى فاستحضرنى للوقت... و ذلك فى شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلت عليه... أحضرت المائدة، و ذهب عنى أنى صائم و أنى فى شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت، فقال لى حميد: ما لك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان و لست بمريض، و لا بى علة توجب الافطار، و لعل الأمير له عذر فى ذلك... فقال: ما بى علة توجب الافطار، و انى لصحيح البدن ثم دمت عيناه و بكى!! فقلت له: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: «أنفذ الى هارون الرشيد... أن خذ هذا السيف و امثل ما يأمرك به الخادم!! فتناول الخادم السيف و ناولنيه، و جاء بى الى بيت باب مغلقة ففتحه، فاذا فيه بئر فى وسطه و ثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها، فاذا فيه عشرون عليهم الشعور و الذوائب، شيوخ و كهول و شبان مقيدون. فقال لى: ان أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، و كانوا كلهم من العلوية من ولد على و فاطمة، فجعل يخرج الى واحدا بعد واحد، فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى أجسادهم و رؤوسهم فى تلك البئر. [صفحة ١٦٨] ثم فتح باب بيت آخر، فاذا فيه عشرون نفسا من العلوية من ولد على و فاطمة مقيدون. فقال لى: ان أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج الى واحدا بعد واحد، فأضرب عنقه، و يرمى به فى تلك البئر حتى أتيت على آخرهم. ثم فتح باب البيت الثالث، فاذا به مثلهم عشرون نفسا من ولد على و فاطمة مقيدون عليهم الشعور و الذوائب. فقال لى: ان أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا، فجعل يخرج الى واحدا بعد واحد فأضرب عنقه، فيرمى به فى تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم، وبقى شيخ منهم عليه شعر، فقال لى: تبا لك يا مشوم!! أى عذر لك يوم القيامة اذا قدمت على جدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) و قد قتلت من أولاده ستين نفسا قد ولدهم على و فاطمة؟؟ فارتعشت يدى و ارتعدت فرائصى، فنظر الى الخادم مغصبا و زبرنى، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته، و رمى به فى تلك البئر. فاذا كان

فعلى هذا، وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فما ينفعنى صومى و صلاتى، و أنا لا أشك أنى مخلد فى النار» [٣٤٧]. ان أمثال هذه المظالم الكبرى هى التى استنتت للطغاة و الجبابرة اللاحقين حتى القرن الحادى و العشرين: أساليب البطش و الفتك و معالم الارهاب الدموى و القتل الجماعى، فاذا كان من يسمى بأمير المؤمنين!! هذا صنعه و وكده، فما بال هؤلاء الطواغيت الصغار، و هم لا يوصفون بأكثر من كونهم حكاما دكتاتوريين ليس غير، على أن بعضهم قد زاد على الرشيد أضعافا مضاعفة بوسيلة و أخرى حماية للحكم الهزيل. أما تعقب هارون الرشيد للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فهو من أبشع مظاهر الأجرام فى تأريخ الانسانية نظرا لمكانة الامام الدينية و القيادية و اتصاله [صفحة ١٦٩] برسول الله (صلى الله عليه وآله) نسبا و سببا، و كونه الرافد الذى لا ينضب لموارد الشريعة الغراء. لقد عزل الرشيد الامام عن شيعته، و منعه من ممارسة طقوسه الايجابية، و رصد عليه حياته و أنفاسه، و استطال عليه بالسلطان، و غيبه فى ظلمات السجون، و الامام صامد صابر، و الرشيد يتحين به الفرص، و يسد عليه المنافذ و المسالك، فى معاناه رهيبه عبر عنها الامام فى رساله بليغة للرشيد قال فيها: «انه لن ينقضى عنى يوم من البلاء الا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نفضى جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبتلون» [٣٤٨]. و لم يكن هذا جزعا من الامام، و لكنه احتجاج صارخ عن مدى ظلامته، و تعبير ناطق عما يقاسيه دون جريره، الا- تلك المنزلة العليا التى ينعم بها فى نفوس الأبرار، و الا فالمعروف عن الامام أنه كان يردد فى سجنه العبارة الآتية: «اللهم انك لتعلم أنى كنت أسألك أن تفرغنى لعبادتك، اللهم؛ و قد فعلت؛ فلك الحمد» [٣٤٩]. ان تعرض الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) للأزمات الخائفة، و مظاهر الارهاب السياسى، و حياة السجون المريرة من قبل الرشيد، كفيل وحده أن يخرج الرشيد من منصب الخلافة المدعاة التى لم يمثل منها جزءا ضئيلا من الشريعة على الاطلاق، و لم تكن تصلح له الولاية العامة على المسلمين بحال من الأحوال، لأن ما حكم به عبارة عن أحكام عرفية طائشة صححها له فقهاء البلاط العباسى، و حياة فاجرة داعرة غض عنها الطرف القضاء [صفحة ١٧٠] و المعدلون، و موائد خمور و ملاه و سهر ليال أحيائها له المغنون المخثون، و كل أولئك مشاهد حمراء أباحها حكم السيف القاطع و الجور المستديم، و كان النظام مفقودا و حياة العيارين و الشطار عامرة، و ان ضبطوا السيطرة على الرقاب بالقسر و الاكراه. و فوق هذا كله فطالما روع الحكم الآمنين، و طالما سفكت الدماء المحرمة بغير الحق، و كان الاستهتار بالقيم و التجاوز على المبادئ المقدسة أمرا متعارفا حتى عاد المعروف منكرا و المنكر معروفا!! كيف لا.. و قصور الخلفاء تعج بالفسق و معاقرة الخمر، و البغاء العلنى و السرى يستشرى و لا مانع و لا رادع و لا وازع، و قد تقدم فيها سبق نهب الأموال و اغتصاب الثروات و التلاعب بمقدرات الأمة، بلى كانت هناك شعارات يتشدق بها الحاكمون مجاراة للناس من جهة، و تثبيتا لدعائم الحكم من جهة أخرى، و هدف ذلك واضح للناقد البصير، و هو يمثل باضفاء شىء من الشريعة جزافا على ذلك الكيان المدعى، و ما عدا هذا الملحظ على ضالته، فاننا لا نرى صيغة حقيقية لادعاء الولاية فى الدين لأولئك الذين لا يمثلون الدين لا من قريب و لا من بعيد فى نظامهم السياسى القائم على الانحلال الخلقي و التخلّى عن القيم الاسلامية على كل الأصعدة. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و كذلك اتضحت بما لا مجال فيه بشك أو تردد أيضا حقيقة أولئك المدعين للولاية الشرعية، فراغا من مواصفات التأهيل، و خلوا مما يجب أن يكونوا عليه من كفايات الاستحقاق. فلم يكن لديهم فقه بالشريعة و أحكامها، و لا- علم بمعانى القرآن و الحديث، و لا- ورع يردعهم عن محارم الله، و لا- التزام يصددهم عن متابعة الهوى و اطاعة شهوات النفس الأمارة بالسوء» [٣٥٠]. [صفحة ١٧١] و هنا تتجلى الفروق المميزة بين هذا الفراغ العقائدى الهائل، و بين تلك القدرات العلمية الرائدة، و ظواهر الانابة و الخشوع عند الامام موى بن جعفر (عليه السلام) بما يحقق ولايته الشرعية دون أولئك المتلاعبين بمثل القرآن، و قيم الاسلام، و رساله السماء. و لم يكن الرشيد نفسه ليجهل هذه الحقيقة الصارخة و ان تجاهلها، و لم يكن له أن يجحدها و ان ألقى بستار كثيف على نصاعتها، فالملك عقيم كما يقول الرشيد، و لا- أدل على ذلك من اعترافه و اقراره لولده المأمون بالمنزلة العليا للامام، و أنه حجة الله على خلقه، و خليفته الشرعى على عبادته!! فقد حدث المأمون أن الرشيد هو الذى علمه التشيع!! و ذلك أن الرشيد جلس لاستقبال الناس، و منع أن يدخل عليه أحد الا- انتسب، فدخل الفضل بن الربيع عليه و قال: على الباب رجل زعم أنه

موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام). فقال له الرشيد: ائذن له، ولا ينزل الا على بساطى... هذا و الأمين و المأمون و المؤمن و القواد شهود... فاستقبله الرشيد، و قبل وجهه و عينيه، و أخذ بيده حتى صيره فى صدر المجلس، و أجلسه معه فيه، و جعل يحدثه، و يقبل بوجهه عليه، و يسأله عن أحواله... «و بعد استقصاء السؤال» قال الامام موجهها و ناصحا للرشيد: «ان الله قد فرض على ولاة عهده أن ينشوا فقراء هذه الأمة، و يقضوا عن الغارمين، و يؤدوا عن المثل، و يكسوا العارى، و يحسنوا الى العانى، و أنت أولى من يفعل ذلك». فقال الرشيد: أفعل يا أبا الحسن. ثم قام الامام، فقام الرشيد لقيامه، و قبل عينيه و وجهه، ثم أقبل على و على الأمين و المؤمن، فقال... بين يدي عمكم و سيدكم، خذوا بركابه، [صفحة ١٧٢] و سوا عليه ثيابه، و شيعوه الى منزله، فأقبل أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) سرا بينى و بينه فبشرنى بالخلافة، و قال لى: اذا ملكت هذا الأمر فأحسن الى ولدى، ثم انصرفنا. يقول المأمون: و كنت أجراً ولد أبى عليه، فلما خلا المجلس؛ قلت: يا أمير المؤمنين؛ من هذا الرجل الذى قد عظمت و أجلته؟ و قمت من مجلسك اليه فاستقبلته؟ و أقعدته فى صدر المجلس، و جلست دونه، ثم أمرت بأخذ الركاب له؟ قال: هذا امام الناس، و حجة الله على خلقه، و خليفته على عباده. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أو ليست هذه الصفات كلها لك و فيك؟ فقال: أنا امام الجماعة فى الظاهر بالغلبة و القهر، و موسى بن جعفر امام حق، و الله يا بنى انه لأحق بمقام رسول الله (صلى الله عليه و آله) منى، و من الخلق جميعا، و و الله لو نازعتنى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناك، فان الملك عقيم» [٣٥١]. و مع معرفة الرشيد بهذا المقام الأسمى للامام، فان اصبح الاتهام يومئذ به للامام، مما يعتبره الرشيد منافسة فى سلطان، و هو مما يلفق و يكذب به على الامام، فقد حدث الامام نفسه قائلا: «لما أمر هارون الرشيد بحملى، دخلت عليه فسلمت فلم يرد على السلام، و رأيته مغضبا، فرمى الى بطومار، فقال: اقرأه. فاذا فيه كلام، قد علم الله عزوجل براءتى منه، و فيه أن موسى بن جعفر يجبى اليه خراج الآفاق من غلاة الشيعة ممن يقول بامامته، يدينون الله بذلك، و يزعمون أنه فرض عليهم، الى أن يرث الله الأرض و من عليها، و يزعمون أنه من لم يذهب اليه بالعرش، و لم يصل بامامتهم، و لم يحج باذنه، و يجاهد بأمرهم، و يحمل الغنيمة اليهم، و يفضل الأئمة على جميع [صفحة ١٧٣] الخلق، و يفرض طاعتهم مثل طاعة الله و رسوله، فهو كافر حلال ماله و دمه... و الكتاب طويل، و أنا قائم أقرأ و هو ساكت، فرفع رأسه و قال: اكتفيت بما قرأت، فكلم بحجتك بما قرأته. قلت... و الذى بعث محمدا (صلى الله عليه و آله) بالنبوة ما حمل الى أحد درهما و لا ديناراً من طريق الخراج، لكننا معاشر آل أبى طالب نقبل الهدية التى أحلها الله عزوجل لنبىه (صلى الله عليه و آله) فى قوله: «لو أهدى لى كراع لقبلى ذى، و لو دعيت الى ذراع لأجبت.» و قد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه، و كثرة عدونا، و ما منعنا السلف من الخمس الذى نطق لنا به الكتاب، فضاق بنا الأمر، و حرمت علينا الصدقة، و عوضنا الله عزوجل الخمس، و اضطررنا الى قبول الهدية، و كل ذلك مما علمه أمير المؤمنين...» [٣٥٢]. و لم يكتف الرشيد بهذا، و انما استدعى الامام تارة أخرى، و أدخل عليه، فقال له الرشيد: يا موسى بن جعفر، خليفتين يجبى لهما الخراج؟ قال الامام: أعيدك بالله أن تبوء بائسى و اثمك، و تقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) بما علم ذلك عندك [٣٥٣]. و مع براءة الامام مما نسب اليه، فهو يجتمع به، و يتظاهر ببره، و يسأله عن مدى حاجته، ثم يبعث اليه بصره فيها مائتا دينار، فيعترض عليه المأمون، فيقول له: أسكت لا أم لك، فانى لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه [٣٥٤]. [صفحة ١٧٤] و تارة أخرى يعلل الرشيد منعه العطاء للامام بقوله: «ما كنت آمنه أن يضرب وجهى غدا بمائة ألف سيف من شيعته و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لى و لكم من بسط أيديهم و أعينهم» [٣٥٥]. و منع أهل البيت حق الطبيعى من بيت المال أسوأ ببقية المسلمين على الأقل كان من الأهداف المركزية للبلاط العباسى، بل كان من أهدافه أيضا منع أوليائهم و أصحابهم و من يمت اليهم بصلة من أى نوع من العطاء، و اذا كان هذا صنيعهم مع شيعتهم، فما بالك بهم؟ و ليت الرشيد اكتفى بما صنعه مع الامام من الاستدعاء و الاستنطاق الذى لا مبرر له، و لكنه أغرى به الفجرة من أولياء بنى العباس، و جلاوزة النظام الحاكم. ذكر السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ): «انه حضر بباب الرشيد نفيع الأنصارى، و حضر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) على حمار له، فتلقاها الحاجب بالاكرام، و عجل له بالاذن. فسأل نفيع

عبدالعزیز بن عمرو من هذا الشيخ؟ قال: شيخ آل أبي طالب، شيخ آل محمد، هذا موسى بن جعفر. قال: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أما ان خرج لأسوء نه، قال له عبدالعزيز: لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت ما تعرض لهم أحد بالخطاب الا و سموه في الجواب سمه يبقی عارها مدى الدهر. و خرج الامام، و أخذ نفيع بلجام حماره و قال: من أنت يا هذا؟ [صفحة ١٧٥] فقال الامام، يا هذا ان كنت تريد النسب؟ أنا ابن محمد حبيب الله، ابن اسماعيل ذبيح الله، ابن ابراهيم خليل الله. و ان كنت تريد البلد؟ فهو الذي فرض الله على المسلمين و عليك - ان كنت منهم - الحج اليه. و ان كنت تريد المفاخرة؟ فوالله ما (رضي) مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء، حتى قالوا: يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قريش. و انت كنت تريد الصيت و الاسم؟ فنحن الذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة تقول: «اللهم صل على محمد و آل محمد» فنحن آل محمد، خل الحمار، فخلي عنه و يده ترعد، و انصرف مخزيا، فقال له عبدالعزيز: ألم أقل لك؟ [٣٥٦]. و هكذا كان الامام يتجرع الغيظ من خلفاء الجور، و ولاء السوء، و بطانة السلطان، و هو صابر محتسب، و كان أشدهم عليه - كما رأيت - هارون الرشيد في مجالات شتى، و سترى ما جرى عليه يديه من استشهاد الامام مسموما في موقعه من الكتاب. [صفحة ١٧٧]

المناخ الثوري و اجراءات الارهاب السياسي

قمع التحرك الثوري

و كان سوء الادارة العباسية سياسيا و اجتماعيا و دينيا، و حياة البذخ و السرف و التبذير، و اجراءات القمع الدموي، و العمل بسنن الجبارين، كل ذلك قد أثار مشاعر الأحرار و الأخيار ضد النظام العباسي في عصر الامام (عليه السلام). فأني تلفت رأيت مظاهر الابتعاد عن الاسلام، و طمس آثار شريعة الرسول الأعظم، و اعادة الخلافة ملكا عقيما، و مسخ المبادئ الأخلاقية، و تفجر المناخ الاجتماعي بثورة عارمة من العتب و المجون و اباحه الخمور، و منع الناس حقوقهم في بيت المال، و استباحه ذمم الأولياء، و استطالة وعاظ السلاطين، و كبت الحريات العامة، و اشغال الناس بالبعوث في [صفحة ١٧٨] جهات القتال، و تعطيل القرآن و اطفاء السنن، و جعل الخراج دولا بين الظلمة و أعوان الظلمة، و تسخير الناس خدما و وخولا في مرافق الدولة و مصالح الطغاة، كل أولئك الفقرات الضخمة كانت عوامل استياء منتشر لطبقات شعبية و دينية من المجتمع، و كان الجيل الواعي لمشكلات هذه التداعيات ممن يريدون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و اقامة الفروض، و ممن يحاولون استنقاذ الحقوق الانسانية قد أنكروا تلك البدع و الأضاليل، و حاولوا التغيير قدر المستطاع، و لكن السجون كانت بانتظارهم، و معتقل «المطبق» الرهيب الذي لا يعرف فيه الليل من النهار يزوج بالمئات من الشباب المتحفر، و لم يطل الأمر على هذا الضيم المتوالي، فتوالت الانتفاضات، و بدأ التحرك الثوري المسلح و هو يقدم الشهداء قوافل، و الضحايا زرافات و وحدانا، حتى طفح الكأس بما فيه. و كان ردة فعل العباسيين كأعتى ما يتصوره الفكر الانساني قمعا و ابادة و تقتيلا، و أسرا و تغريبا و تشريدا، كما سنشاهد هذا من خلال الأحداث الثورية و انعكاساتها السلبية على الحاكمين.

ثورة الحسين صاحب فخ

و الحسين هذا هو: الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. خرج بالمدينة المنورة ثائرا مناضلا في ذي القعدة سنة تسع و ستين و مائة بعد موت المهدي، و في خلافة ولده الطاغوت موسى الهادي في جماعة كثيرة من العلويين، فأبيدوا جميعا شر ابادة [٣٥٧]. [صفحة ١٧٩] و لم يكن خروجه على سلطان العباسيين اعتباطا، و لا- تحركه المسلح عنتا، و لكن السياسة العباسية الخرقاء هي التي ألجأته الى اعلان ثورته، و ما جرت اليه من الفجائع و الفظائع. فقد روى أبو الفرج الأصبهاني بأسانيد عدة، قال: كان سبب خروج الحسين أن الهادي ولي المدينة اسحاق بن عيسى بن علي، فاستخلف عليها رجلا من ولد عمر بن

الخطاب يعرف بعبد العزيز، فحمل على الطالبين و أساء اليهم، و طالبهم بالعرض كل يوم في المقصورة. و وافى أوائل الحاج، و قدم من الشيعة نحو من سبعين رجلا، و لقوا حسينا و غيره، فبلغ ذلك العمرى، و أغلظ أمر العرض، و ألجأهم الى الخروج؛ فجمع الحسين: يحيى صاحب الديلم، و سليمان، و ادريس صاحب افريقيا، و كلهم أبناء عبدالله بن الحسن، و عبدالله بن الحسن الأفتس، و ابراهيم بن اسماعيل طباطبا، و عمر بن الحسن بن على بن الحسن المثلث، و عبدالله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى، و عبدالله بن جعفر الصادق (عليه السلام) و وجهوا الى فتيان من فتيانهم و مواليهم، فاجتمعوا ستة و عشرين رجلا من ولد على (عليه السلام) و عشرة من الحاج، و جماعة من الموالي. فلما أذن المؤذن الصبح، نادوا: أجد أجد، و صعد الأفتس المنارة، و جبر المؤذن على قول «حى على خير العمل» فلما سمعه العمرى أحس بالشر و دهش، و مضى هاربا على وجهه. و صلى الحسين بالناس الفجر، و لم يتخلف عنه أحد من الطالبين، الا الحسن بن جعفر بن الحسن، و الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، و سيأتى موقفه من هذه الثورة. و خطب الحسين بعد الصلاة، و قال بعد الحمد لله و الثناء عليه: «أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله، و فى حرم رسول الله، أدعوكم الى سنة [صفحه ١٨٠] رسول الله (صلى الله عليه و آله). أيها الناس أطلبون آثار رسول الله فى الحجر و المدر تمسحون بذلك، و تضعون بضعة منه.» [٣٥٨]. فلما انتهى من هذا الخطاب أقبل عليه الناس يبائعونه على كتاب الله و سنة نبيه، و الدعوة للرضا من آل محمد (صلى الله عليه و آله) [٣٥٩]. و هذا يعنى استجابة الناس الفورية، فالتاس تطمع بالخلاص و لا تجد الى ذلك سبيلا، حتى اذا أعلن الحسين ثورته هذه و هو من آل على (عليه السلام)، كان الاقبال على البيعة تلقائيا. و روى أنه قال لمن بايعه: «أبايعكم على كتاب الله، و سنة نبيه رسول الله، و على أن يطاع الله و لا يعطى، و أدعوكم الى الرضا من آل محمد، و على أن نعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه (صلى الله عليه و آله) و العدل فى الرعية، و القسم بالسوية. و على أن تقيموا معنا، و تجاهدوا عدونا، فان نحن و فينا لكن وفيتم لنا، و ان نحن لم نف لكم فلا بيعه لنا عليكم» [٣٦٠]. و أنت ترى الحسين فى هذه البيعة قد أعطى النصف من نفسه، و قد احتاط بذلك لدينه و أمته، فالبيعة على كتاب الله و سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و التأكيد على طاعة الله و عدم معصيته، و الدعوة الى الرضا من آل محمد لا لنفسه، و العمل بكتاب الله و السنة، و العدل بين الرعية، و الاقامة معه و عدم التفرق عنه، و جهاد الأعداء اذا وفى لهم بالتزامه، و الا فلا بيعه له عليهم. و يبدو أن عنصر المفاجأة كان متوافرا فى الثورة، فقد اضطر الحكم الحسين الى استعجالها، فما التحق به أحد من القصبات و الأقاليم، و لم يتهيأ لها [صفحه ١٨١] مناخ اعلامى أو دعائى، بل و لم يلتف أهل المدينة حولها بالشكل المطلوب، و لم يسبق لها تمهيد سرى تجتمع حوله الرجال و أعداء الحكم، و يبدو أن الرصد الأمنى لأجهزة النظام كان مسؤولا عن كثير من هذه التداعيات، و كان احضار الطالبين أمام المقصورة كل يوم يعنى فرض الرقابة الصارمة من كل الوجوه. و مهما يكن من شىء، فحينما أعلنت الثورة، أقبل حماد البربرى و كان مسلحة للسلطان فى المدينة بالسلاح، و معه أصحابه حتى وافوا باب المسجد، فقصده يحيى بن عبدالله و فى يده السيف، فأراد حماد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه، و عليه البيضة و المغفر و القلنسوة فقطع ذلك كله، و أطار قحف رأسه، و سقط عن دابته، و حمل على أصحابه فتفرقوا و انهزموا. و بايعه الناس و احتفل به أهل بيته و أصحابه احتفالا عظيما. و حج فى تلك السنة مبارك التركى، فبلغه خبر الحسين - و يبدو أن الرجل كان ذا عقل و دين - فبعث الى الحسين من الليل: انى و الله ما أحب أن تبتلى بى و لا- أبتلى بك، فابعث الليلة الى نفرا من أصحابك و لو عشرة يبيتون عسكرى حتى أنهزم، و أعتل بالبيات. ففعل ذلك الحسين، و وجه عشرة من أصحابه فجعلوا بمبارك، و صبحوا فى نواحي عسكره، فهرب و ذهب الى مكة. و حج فى تلك السنة العباس بن محمد، و سليمان بن أبى جعفر، و موسى بن عيسى، فصار مبارك معهم، و أعتل عليهم بالبيات. و خرج الحسين قاصدا الى مكة، و معه من تبعه من أهله و مواليه و أصحابه، و هم زهاء ثلاثمائة رجل، و استخلف على المدينة «دينار الخزاعى»، فلما انتهى الركب الى «فخ» و هو موضع على ستة أميال من مكة [صفحه ١٨٢] المكرمة [٣٦١] هنالك تلقتهم الجيوش العباسية بقيادة العباس بن محمد، فعرض العباس على الحسين الأمان و العفو و الصلوة، فأبى ذلك أشد الأباء. و كان قادة الجيش متكونا من العباس، و موسى بن عيسى، و جعفر و محمد ابنى سليمان، و مبارك التركى، و الحسن الحاجب، و حسين بن يقطين. و

تقررت الحرب، و كان الالتقاء يوم التروية وقت صلاة الصبح، فكان موسى بن عيسى أول من حمل على القوم، فاستطرد لهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي، و حمل عليهم محمد بن سليمان، و بعد معركة رهيبة طحنهم الجيش العباسي طحنة واحدة، حتى قتل أكثر أصحاب الحسين، و جعلت المسودة تصيح: يا حسين لك الأمان، فيقول: لا أمان أريد، و هو يحمل عليهم حتى فاجاه سهم غادر رماه حماد التركي فقتله، و قتل معه سليمان بن عبدالله بن الحسن، و عبدالله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن، و أصابت الحسن بن محمد نشابة في عينه فتركها و جعل يقاتل أشد القتال، حتى آضوه ثم قتلوه، و جاء الجند بالرؤوس و قد احتزوها فكان عددها مائة و نيفا [٣٦٢]. و أبرد بالرؤوس الى موسى و العباس و عندهما جماعة من العلويين و في طليعتهم الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فلم يسألاً أحدا الا، فقالا: هذا رأس الحسين؟ قال الامام: «نعم؛ ان لله و انا اليه راجعون، مضى و الله مسلماً، صالحاً، صواماً، و قواماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله». فلم يجيبوه بشيء [٣٦٣]. [صفحة ١٨٣] و دفن العباسيون قتلاهم جميعاً، و تركوا الحسين و أهل بيته و أصحابه بلا- دفن ثلاثة أيام تصهرهم حرارة الشمس [٣٦٤]. و قد روى عن الامام محمد الجواد (عليه السلام) أنه قال: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فسخ» [٣٦٥]. و جرى بالأسرى من الحسينيين و أصحابهم، مقيدين بالأغلال، و قد جمعت أيديهم الى أرجلهم بالحديد، و هم في حالة يرثى لها جهداً و عناء و بلاء، و قدموا بين يدي موسى الهادي، فأمر بقتلهم جميعاً، فقتلوا صبراً، و صلبوا على باب الحبس» [٣٦٦]. قال المجلسي: و حملت الأسرى الى الهادي فأمر بقتلهم، و مات في ذلك اليوم [٣٦٧]. و كان في الأسرى رجل قد أنهكته العلة، فقال للهادي يستعطفه: أنا مولاك يا أمير المؤمنين. فصاح به الهادي: مولاي يخرج علي؟ و كان مع الهادي سكين، فقال: و الله لأقطعنك بهذه السكين مفصلاً مفصلاً، و مكث الرجل ساعة، فغلبت عليه العلة، فمات حتف أنفه [٣٦٨]. و بعد أن قتل الهادي أسرى «فسخ» وضعت رؤوس القتلى من العلويين بين يديه، و التي أبرد بها اليه، فجعل ينشد هذه الأبيات: [٣٦٩]. بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما دفتتم بصحراء الغميم القوافيا فلسنا كمن كنتم تصيرون نيله فيقبل ضيماً... أو يحكم قاضياً و لكن حكم السيف فيكم مسلط فنرضى اذا ما أصبح السيف راضياً فان قلتم انا ظلمنا... فلم نكن ظلمنا... و لكننا أسأنا التقاضيا [صفحة ١٨٤] و هكذا ذهبت هذه الدماء الزواكي جباراً، و قتل الأسرى جهاراً، و لم تكن هناك أدنى رحمة انسانية بالرافة و العفو المحمود. و قد اكتوى الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بلهيب هذه الثورة، فمدت نحوه أصابع الاتهام بتدبيرها، و الامام براء منها كما سيأتي. و كان اتهام الامام صادراً من أعلى سلطة في الدولة العباسية من الهادي نفسه، فحينما قضى على شهداء «فسخ» و قتل الأسرى بمجزرة رهيبة دامية، أخذ يتعقب العلويين و يتوعدهم، و يشير الى موسى بن جعفر بالقول: «و الله ما خرج حسين الا عن أمره، و لا اتبع الا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلتني الله ان أبقيت عليه». فقال له قاضي القضاء العباسيين أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم و كان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال الهادي: «قتلتني الله ان عفوت عن موسى بن جعفر، و لولا- ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه و علمه و فضله - يعني الامام الصادق - و ما بلغني عن السفاح من تقريظه و تفضيله لنشت قبره، و أحرقتة بالنار احراقاً». فقال أبو يوسف القاضي: «نساؤه طوالق، و عتق جميع ما يملكك من الرقيق، و تصدق بجميع ما يملكك من المال، و حبس دوابه، و عليه المشي الى بيت الله الحرام، اذ كان مذهب موسى بن جعفر الخروج، لا يذهب اليه، و لا مذهب أحد من ولده.. و لم يزل يرفق به حتى سكن غضبه» [٣٧٠]. و كانت هذه اللفتة من أبي يوسف كلمة حق عند سلطان جائر، و هي دليل حصافة رأيه، و متانة عقله، و صدق مروءته. [صفحة ١٨٥] و قد عاجل الموت الهادي بدعاء الامام كما سبق بيانه في الفصل الماضي، فما استطاع تنفيذ وعيده، و لله الأمر من قبل و من بعد.

انتفاضة يحيى بن عبدالله المحض

و كان يحيى هذا من أنصار الحسين (صاحب فسخ) فلما قتل الحسين و أهل بيته و أصحابه، فر بنفسه، و استتر عن سلاطين بني العباس

حقبة من الزمن، و أخذ يجول البلدان بحثا عن ملجأ يلتجأ اليه ليظهر أمره فيه. واستقر المكان يحيى فى بلاد الديلم، و هو المراد بقول المؤرخين: «صاحب الديلم» فقد ظهر هناك، و اجتمع عليه الناس، و بايعه أهل تلك الأعمال، و عظم أمره، و خاف الرشيد لذلك و أهمه، و انزعج منه غاية الانزعاج، فكتب الى الفضل بن يحيى البرمكى: «ان يحيى بن عبدالله قذاه فى عينى، فأعطه ما شاء، و اكفى أمره» [٣٧١]. و يرى أبو الفرج الأصبهاني: ان الفضل بن يحيى علم بمكان يحيى بن عبدالله فى بعض النواحي، فأمره بالانتقال عنه، و قصد الديلم، و كتب له منشورا لا يعرض له أحد، فمضى متكررا حتى ورد الديلم، و بلغ خبره الرشيد، و هو فى بعض الطريق، فولى الفضل بن يحيى نواحي المشرق، و أمره بالخروج الى يحيى. فكتب الفضل الى يحيى: انى أريد أن أحدث بك عهدا، و أخشى أن تبلى بى و أبلى بك، فكتب صاحب الديلم، فانى قد كاتبته لك لتدخل الى بلاده فتمتنع به. ففعل ذلك يحيى، و كان صحبه جماعة من أهل الكوفة... كانوا يخالفون يحيى فى أمره، و حينما ولى الرشيد الفضل جمع كور المشرق [صفحة ١٨٦] و خراسان، أمره بقصد يحيى و الجد به، و بذل الأمان و الصلوة له، ان قبل ذلك. فمضى الفضل فيمن ندب معه، و راسل يحيى فأجابه الى قبوله، لما رأى من تفرق أصحابه و سوء رأيهم فيه، و كثرة خلافهم عليه، الا أنه لم يرض الشروط التى شرطت له، و لا الشهود الذين شهدوا له، و بعث بالكتاب الى الفضل، فبعث به الى الرشيد. فكتب له الرشيد بما أراد، و شهد له من التمس. فلما ورد كتاب الرشيد على الفضل، و قد كتب له الأمان على ما رسم يحيى، و أشهد الشهود الذين التمسهم، و جعل الأمان على نسختين: احدهما مع يحيى، و الأخرى معه. و شخص يحيى بن عبدالله - بناء على الأمان الموثق - حتى وافى بغداد، و دخلها معادله فى عمارية على بغل، فلما قدم يحيى أجازته الرشيد بجوائز سنية. يقال: ان مبلغها مائتا ألف دينار، و غير ذلك من الخلع و الحملان، فأقام على ذلك مدة، و فى نفس الرشيد الحيلة على يحيى، و التتبع له، و طلب العلل عليه و على أصحابه. ثم ان نفرا من أهل الحجاز تحالفوا على السعاية بيحيى، و هم: عبدالله بن مصعب الزبيرى، و أبوالبختري وهب بن وهب، و رجل من بنى زهرة، و رجل من بنى مخروم، فوافوا الرشيد لذلك، و احتالوا الى أن أمكنهم ذكره له، فأشخصه الرشيد اليه، و حبسه عند مسرور الكبير فى سرداب، فكان فى أكثر الأيام يدعوه و يناظره، الى أن مات فى حبسه، و اختلف فى كيفية موته، و كيف كانت وفاته؟ فقل: ان الرشيد دعاه يوما، و جمع بينه و بين ابن مصعب لينظره، فيما رفع اليه، فجبّه ابن مصعب بحضرة الرشيد قائلا: ان هذا دعانى الى بيعته. [صفحة ١٨٧] فقال يحيى: يا أمير المؤمنين أتصدق هذا على و تستنصحه؟ و هو ابن عبدالله بن الزبير الذى أدخل أباك و ولده الشعب، و أضرم عليهم النار، حتى تخلصهم أبو عبدالله الجدلى صاحب على (عليه السلام)، و هو الذى بقى أربعين يوما لا يصلى على النبى (صلى الله عليه و آله) فى خطبته حتى التاث الناس عليه، فقال: ان أهل بيت سوء اذا ذكرته أشرأبت نفوسهم اليه، و فرحوا بذلك، فلا أحب أن أقرأ عينهم بذلك، و هو الذى فعل بعبدالله بن العباس مالا - خفاء به عليك، و طال الكلم بينهما حتى قال يحيى: و مع ذلك هو الخارج مع أخى على أيبك، و قال فى ذلك أبياتا منها: قوموا ببيعتمكم نهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يا بنى حسن و قرأ القصيدة، فتغير وجه الرشيد عند سماع الأبيات، فحلف ابن مصعب بالله الذى لا اله الا هو، و بايمان البيعة: أن هذا الشعر ليس له، فقال يحيى: و الله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، و ما حلفت بالله كاذبا و لا صادقا قبل هذا، و ان الله اذا مجده العبد فى يمينه استحيا أن يعاقبه، فدعنى أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا الا عوجل. قال الرشيد: حلفه، قال: قل: برئت من حول الله و قوته، و اعتصمت بحولى و قوتى، و تقلدت الحول و القوة من دون الله استكبارا على الله و استغناء عنه، و استعلاء عليه، ان كنت قلت هذا الشعر. فامتنع عبدالله منه، فغضب الرشيد، و قال للفضل بن الربيع: هنا شىء، ما له لا - يحلف ان كان صادقا، فرفس الفضل عبدالله برجله، و صاح به: احلف ويحك، و كان له فيه هوى، فحلف باليمين، و وجهه متغير و هو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال: يا ابن مصعب قطعت و الله عمرك، و الله لا تغلج بعدها، فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام و مات فى اليوم الثالث. قال أبو فراس الحمدانى يذكر ذلك: [صفحة ١٨٨] ذاق الزبيرى غب الحنث و انكشفت عن ابن فاطمة الأقوال و التهم فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل بن يحيى: «رأيت يا عباسى؛ ما أسرع ما أديل يحيى من ابن مصعب». ثم جمع الرشيد الفقهاء، و فيهم محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى يوسف، و الحسن بن زياد اللؤلؤى، و أبوالبختري: وهب بن

وهب القرشى المدني، فجمعوا في مجلس، فخرج اليهم مسرور الكبير بالأمان الذى أعطاه الرشيد ليحيى. فبدأ بمحمد بن الحسن الشيبانى، فنظر فيه، فقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه، فصاح عليه مسرور: هاته فدفعه الى الحسن بن زياد، فقال بصوت ضعيف: هو أمان. فاستلبه أبوالبخترى وقال: هذا باطل منتقض، قد شق العصا، و سفك الدم، فاقتله و دمه فى عنقى. فدخل مسرور على الرشيد و أخبره، فقال: اذهب له و قل له: فرقه ان كان باطلا بيدك!!! فجاء مسرور، و قال له ذلك، فقال: شقه أباهاشم!! قال مسرور: بل شقه أنت ان كان منتقضا، فأخذ سكيناً و جعل يشقه و يده ترتعد، حتى صيره سيورا، فأخله مسرور على الرشيد، فوثب، فأخذه من يده و هو فرح، و وهب لأبى البخترى (ألف ألف و ستمائة ألف) و ولاه قضاء القضاء، و صرف الآخرين، و منع محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة. و أجمع الرشيد على انفاذ ما أراد يحيى، و كان محبوسا فى المطبخ الذى لا يعرف به الليل من النهار، فروى من كان مع يحيى، قال كنت قريبا منه، فكان فى أضيق البيوت و أظلمها، فبينما نحن ذات ليلة كذلك، اذ سمعنا صوت الأقفال، و قد مضى من الليل هجعة، فاذا هارون قد أقبل على بر ذون له، فوقف ثم قال: أين هذا؟ يعنى يحيى، قالوا فى فهذا البيت، قال: على به، فأدنى اليه، فأخذ، [صفحة ١٨٩] فضربه مائة عصا، و يحيى يناشده الله و الرحم و القرابة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و يقول: بقرابتى منك، فيقول: ما بينى و بينك قرابة. ثم حمل فرد الى موضعه، فقال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: أربعة أرغفة و ثمانية أرتال ماء، قال: اجعلوها على النصف، ثم خرج، و مكث ليالى ثم سمعنا وقعا، و اذا نحن به، فدخل و قال: على به، فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك، و ضربه مائة عصا أخرى، و قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا رغيقين و أربعة أرتال ماء، قال: اجعلوها على النصف. ثم خرج و عاد الثالثة، و قد مرض يحيى و ثقل، قال: على به، قالوا: هو عليل مدنف لما به، قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفا و رطلين ماء، قال: اجعلوه على النصف، ثم خرج. فلم يلبث يحيى أن مات، فأخرج الى الناس فدفن. عن ابراهيم بن رباح: أنه بنى عليه أسطوانة بالرافقة (بلدة فى الرقة) و هو حى. و عن على بن محمد بن سليمان أنه دس اليه فى الليل من حنقه حتى تلف، قال: و بلغنى أنه سقاه سما. و عن محمد بن أبى الحسن، أن الرشيد أجاع السباع، ثم ألقاه اليها فأكلته. و عن عبدالله بن عمر العلوى، قال: دعينا الى مناظرة يحيى بن عبدالله بحضرة الرشيد و هو يقول له: يحيى اتق الله و عرفنى أصحابك السبعين لئلا ينتقض أمانك!! و أقبل علينا فقال: ان هذا لم يسم أصحابه، فكلما أردت أخذ انسان يبلغنى عنه شىء أكرهه، ذكر أنه ممن أمنت. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين أنا رجل من السبعين فما الذى نفعلنى من الأمان؟ أفتريد أن أدفع اليك قوما تقتلهم معى؟ لا يحل لى هذا، قال: ثم خرجنا ذلك اليوم، و دعانا له يوما آخر، فرأيت أنه أصفر اللون متغيرا، فجعل [صفحة ١٩٠] الرشيد يكلمه فلا يجيبه، فقال: ألا ترون اليه لا يجيبنى؟ فأخرج يحيى الينا لسانه قد صار أسود مثل الفحم، يرينا أنه لا يقدر على الكلام، فاستشاط الرشيد غضبا و قال: انه يريكم أنى سقيته السم، و الله لو رأيت قتله لضربت عنقه صبرا، ثم خرجنا من عنده، فما صرنا فى وسط الدار حتى سقط يحيى على وجهه لآخر ما به. و عن ادريس بن محمد بن يحيى كان يقول: قتل جدى بالجوع و العطش فى الحبس. و عن الزبير بن بكار عن عمه: أن يحيى لما أخذ من الرشيد المائتى الألف الدينار، قضى بها دين الحسين صاحب فخ، و كان الحسين خلف مائتى ألف دينار دينا [٣٧٢]. هذا مجمل ما حصل ليحيى بن عبدالله المحض فى حركته و أمانه و تسييره الى بغداد، و سجنه، حتى استشهاده، و بالامكان القاء الضوء الكاشف على تداعيات هذه المأساة. ١ - ان يحيى كان قذاة فى حلق الرشيد كما صرح بذلك لأنه قام بتحريك على نطاق واسع فى بلاد الديلم، و لأنه أخ الثائرين فى عهد المنصور: محمد النفس الزكية، و ابراهيم أحمر العينين اللذين تحدثنا عن توريتهما فى كتابنا عن الامام الصادق (عليه السلام). و ظهر أن الرجل كان من الثائرين مع الحسين بن على (صاحب فخ) و قد اختفى عن السلطة العباسية، حتى أثر اختفاؤه فى الحياة السياسية، و انتابت الحاكمين منه هواجس و تحسبات عدة، و أنه فى اختفائه قد تنقل متنكرا بين عدة كور و قصبات و بلدان حتى استقر به المطاف فى بلاد الديلم فى عهد [صفحة ١٩١] الرشيد مع سبعين من أصحابه، و لعل اختفائه فى احدى خانات (حلوان) شمال العراق من مظاهر هذا التوارى عن أنظار السلطة. ذكر الأستاذ باقر شريف القرشى عن أحد عيون الرشيد، قوله: «كنت فى خان من خانات حلوان، فاذا بيحيى بن عبدالله فى دراعة صوف غليظة، و كساء صوف أحمر غليظ، و معه جماعة ينزلون اذا نزل، و يرتحلون اذا رحل، و يكونون معه ناحية،

فيوهمون من رأيهم أنهم لا- يعرفونه، و هم أعوانه» [٣٧٣]. و يبدو أنه في هذا المنزل كان في سبيله الى بلاد الديلم عن طريق شمال العراق الشرقي. ٢- ان الرشيد قد علم بالتحرك السري ليحيى، و قد عرف استجابة بعض العراقيين له، و جملة من العلويين، و كان ذلك مما يقلق الرشيد، فرماه بالفضل بن يحيى البرمكى بجيش مكثف مدرب على القتال، قيل أنه بلغ خمسين ألف رجل، و أن أصحاب يحيى قد فزعوا من أنباء هذا الجيش، ففرقوا عنه، و خالفوه كثيرا، و أخيرا يبدو أنهم قد أسلموه عند الوثبة، حتى اضطر الى التفاوض مع الفضل ضمن شروط معينة، فيها الأمان له و لأصحابه، و قد أمضى الرشيد تلك الشروط، و أشهد عليها يحيى، و دعمت بالايمان الغليظة المؤكدة. ٣- ان الرشيد قد استقبله بادية ذى بدء بالأكرام ظاهريا، و بالعفو أمام الآخرين، و قد رحب به و دفع له مائتي ألف دينار فأخذها، و وفى بها دينا للحسين صاحب فخ، و لكن الرشيد كان يدبر له المكيدة و يحكم الخطأ لقتله أو اغتياله، فبدأ بسجنه، و عاوده مرارا بالاستجواب، و ساءله عن أسماء [صفحة ١٩٢] أصحابه و أعيانهم، فأبى عليه يحيى ذلك، لأنه علم يقينا أنه سيقتلهم، فلا أمان لأهل الغدر و البهتان. ٤- يبدو أن طبقة من أهل المكر و الخيانة، و ممن يتقرب الى السلطان بالدماء، قد ائتمروا فيها بينهم للسعاية بيحيى، فغادروا الحجاز، و وصلوا بغداد، و احتالوا بالوصول الى الرشيد فنالوا من يحيى، فأمر الرشيد بحبسه عند مسرور الكبير في سجن المطبق. ٥- و كان الذى تولى كبر الافتراء عليه هو عبدالله بن مصعب الزبيرى، فاتهمه بأنه دعاه الى الخروج معه على الرشيد، فأنكر يحيى ذلك، و جرت بينهما أيما قاتلة، انتهت بالانتقام من الزبيرى عاجلا. ٦- و قد استدعى الرشيد جمهرة من الفقهاء الرسميين و عرض عليهم الأمان، فأبى اثنان منهم الطعن فيه، و تجرأ أبوالبختري القرشى على الطعن و لم يعده أمانا، فخرق الأمان، و قطعه بسكين سيورا، فأجازة الرشيد على ذلك بأعطية ضخمة، و حرم محمد بن الحسين الشيباني من القضاء و الافتاء مدة طويلة، مما يؤكد أن الرشيد كان يسخر الفقهاء لارادته و رغبته، فمن أبى عليه ذلك أبعده فورا. ٧- و فى خاتمة المطاف رأينا الرشيد عازما على التخلص من يحيى، فيضربه ضربا مبرحا، و يحيى يناشده الله و الرحم و القرابة من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فلا يستجيب الرشيد لشيء، حتى أجهز عليه جوعا و عطشا، و قيل سما، و لم تكن لديه رافة أو شفقة أو حمية، حتى انتهت حياته بالشكل الذى ألمحنا اليه باختصار، و رحم الله أبا فراس الحمداني و هو يذكر ذلك: يا قاصدا لمساويهم يكتمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم لا بيعه ردعتهم عن دمائهم و لا يمين، و لا قربي، و لا رحم [صفحة ١٩٣]

التصفية الجسدية للعلويين

تعقب الرشيد العلويين، و تتبع آثارهم، و رصد أعيانهم و زعماءهم، و شدد الرقابة على من اتصل بعناصر التحرك الثورى. فقبض على قبض منهم، و هرب من هرب، و أكتفى بالرشيد وحده نموذجا لبنى العباس. قال الرشيد للفضل بن يحيى: هل سمعت بخراسان ذكرا لأحد من العلويين؟ فقال: لا و الله؛ لقد جهدت فما ذكر أحد لى منهم، الا أنى سمعت رجلا يذكر أن موضعا ينزله عبدالله بن الحسن بن على بن الامام زين العابدين (عليه السلام). سمع الرشيد ذلك فاستشاط غضبا لأن عبدالله هذا هو الذى عهد اليه من بعده الحسين (صاحب فخ). و بعث الرشيد بأعوانه و جلاوزته يتعقبون عبدالله هذا، فجاءوا به، قال له: بلغنى أنك تجمع الزيدية، و تدعوهم الى الخروج معك؟ فأنكر عبدالله ذلك قائلا: «يا أمير المؤمنين، ناشدتك الله فى دمي، فوالله ما أنا من هذه الطبقة، و لا لى ذكر فيهم، و ان أصحاب هذا الشأن بخلافى، أنا غلام نشأت بالمدينة، و فى صحاراها أسعى على قدمي، و أتصيد بالباشق؛ ما هممت بغير ذلك.» و عبدالله فى هذا نفى عن نفسه أية تهمة بالخلاف تنسب اليه، و برأ من فكر القائلين بالخروج، و أنه نشأ فى المدينة على الاصطياد، الا أن الحديث هذا لم يرق للرشيد، و لم يقتنع به، فأمر به الى السجن، فلم يزل محبوسا حتى ضاق صدره، فبعث برسالة للرشيد ضمنها شتمه و سبابه، فلما قرأها الرشيد، دعا جعفر بن يحيى البرمكى، فأمره أن يجعله عنده، و فى اليوم الثانى كان «النوروز» فقدمه جعفر و ضرب عنقه، و غسل رأسه، و جعله فى [صفحة ١٩٤] منديل، و أهده الى الرشيد، فلما نظر الرأس قال لجعفر: ويحك لم فعلت هذا؟ قال: ما علمت أبلغ فى سرورك من حمل رأس عدوك اليك...» [٣٧٤]. و هكذا كانت الدماء تسفك سفها، و الأرواح تزهق قسرا، و

قتل الأبرياء يقع موقع الرضا من السلطان، و لم يكن هذا بأعجب من شأن ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الامام الحسن بن أمير المؤمنين (عليهما السلام)، فقد أفلت ادريس من وقعة «فخ» و هرب مع مولى له يقال له «راشد» فخرج به في جملة حاج افريقيا و مصر حتى أقدمه مصر، و بقي مختفيا بهامدة و جيزة، ثم سلكا طريقا انتهيا معه الى فاس و طنجة، و بث ادريس هناك دعوته، و عظم أمره، و التف حوله البربر، فدعاهم الى الدين فملكوه عليهم، و بلغ الرشيد ذلك فغمه الأمر حتى امتنع عليه النوم، فدعا سليمان بن جرير الرقي فأعطاه سما، و سيره نحو ادريس، فورد سليمان على ادريس متوسما بالمذهب فسر به، ثم جعل سليمان يطلب غرته حتى وجد خلوة من مولاة راشد، فسقاه السم و هرب، بعد أن حكم خمس سنين و ستة أشهر، فقد بويغ له في رمضان ١٧٢ هـ و قضى في ربيع الثاني ١٧٧ هـ [٣٧٥]. و قد يتفنن الرشيد بالتصفية الجسدية، فيقتل من يشاء صبرا، كما حصل هذا للعباس بن محمد بن عبدالله بن الامام زين العابدين (عليه السلام)، اذ قبض عليه، و أدخل على الرشيد، و جرى بينهما كلام طويل، فاستهان به الرشيد قائلا: يا ابن الفاعلة، فرده العباس ردا عنيفا: «تلك أمك التي تواردها النحاسون»!! فغضب الرشيد غضبا شديدا، و ما أكثر غضبه في هذه المجالات، و أمر بأن يدنى منه، فقام اليه بنفسه و ضربه بعمود من حديد حتى قتله [٣٧٦]. [صفحة ١٩٥] و كان هذا وكد الرشيد في ابادء أعيان الطالبين، و تحرى رجالهم و القضاء عليهم بالقتل تارة و بالسجن أخرى ثم التعذيب و السم و الابادة أخيرا. و قد جرى له أمثال ذلك في كل من: ١ - اسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين (عليه السلام). ٢ - محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين (عليه السلام). ٣ - الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. فقد قبض على هؤلاء جميعا، و أودعهم السجون الرهيبة، و أذاقهم صنوف العذاب و التنكيل، حتى قضوا فيها صابرين محتسبين [٣٧٧]. و قد أورد الأستاذ باقر شريف القرشي جملة من تفصيلات هذه المآسى التي مر بها العلويون في عهد الرشيد بخاصة [٣٧٨]. و قد استظل كثير من الطالبين بالهرب، و لاذوا بالاستتار و التخفى من جور الرشيد و بطشه، فقد كان يجد لذة لا تعدلها لذة في قتلهم، و يستشعر متاعا أى متاع بالقضاء عليهم، و كان في طليعة الهاربين: أحمد بن عيسى بن زيد بن الامام زين العابدين (عليه السلام) و كان عالما فقيها كبيرا زاهدا [٣٧٩]. و قد هرب من الارهاب الدموى العنيف الى البصرة، و التف حوله الناس، و دعا الى نفسه سرا، و استجاب له جملة من الأولياء، فساء ذلك الرشيد، و جد في طلبه، فما استطاع القبض عليه، الا أن جلاوزته قبضوا على صاحبه «حاضر» و حملوه الى الرشيد، فلما صار بباب الكرخ رفع صوته قائلا: أيها الناس أنا حاضر صاحب أحمد بن عيسى بن زيد العلوى و قد أخذنى السلطان» فمنعته الشرطة من الكلام [٣٨٠]. [صفحة ١٩٦] و جرى به الى الرشيد مقيدا، فسأله عن أحمد و أنصاره متوعدا، فقال حاضر: و الله، لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتهم عنه، و أنا شيخ قد جاوز التسعين، أفأختم عملى بأن أدل على ابن رسول الله حتى يقتل؟ فغضب الرشيد، و أمر بضربه ضربا مبرحا فمات تحت السياط، و أمر بصلبه، فصلب ببغداد [٣٨١]. فاذا كان هذا الضيم من صنع الرشيد وحده، فما بالك بأسلافه الهادى و المهدي و المنصور فيما ابتكروه من تصفية العلويين؟؟

موقف الامام من العنف الثورى

و في ضوء ما رأيت من ثورة الحسين بن على (صاحب فخ) و حركة يحيى بن عبدالله المحض (صاحب الديلم) و انتفاضات جملة من الطالبين، ان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، لم يستجب لهؤلاء جميعا بالخروج معهم، أو الانضمام الى تحركهم الثورى. و بغض النظر أن عليهم أن يستجيبوا له، و ليس عليه الاستجابة لهم، لأنه الامام المفترض الطاعة، فان الامام بتجربته السياسية النافذة كان قد علم مسبقا بما تؤول اليه هذه الانتفاضات الدموية من الفشل و الخذلان، و أنها لا تستطيع أن تغير بحركاتها الانتحارية شيئا من الواقع السياسى لا فعليا و لا مستقبليا، و انما هى الدماء و قوافل الشهداء، و ان جلبت النقمة عاطفيا شيئا ما، لذلك كان موقف الامام منها موقف الحذر المتيقظ، كما كان موقفه من الشائرين موقف الناصح و الموجه. فقد أورد الكليني عن مولى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، قال: لما خرج الحسين بن على المقتول بفخ، و احتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر (عليه السلام) الى البيعة، فأتاه

الامام، و قال له: يا ابن عم؛ لا تكلفني [صفحة ١٩٧] ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله (عليه السلام)، فيخرج مني ما لا أريد، كما خرج من أبي عبد الله (عليه السلام) ما لم يكن يريد [٣٨٢]. فقال له الحسين: انما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه، و ان كرهته لم أحملك عليه، و الله المستعان، ثم ودعه و انصرف. فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) حين ودعه: «يا ابن عم؛ انك مقتول فأجد الضراب، فان القوم فساق، يظهرن ايماننا، و يسرون شركا، و انا لله و انا اليه راجعون، أحسبكم عند الله من عصبه» [٣٨٣]. و أنت ترى الامام يدعى الى البيعة و التأييد رفيقا بالثائرين، مشفقا عليهم، لا يريد أن يصطدم معهم فى شىء، و بالوقت نفسه لم يثبط من العزم، و لم يقدح بالقضية، و كان صاحب فخ مرنا فيما استقبله به الامام، فلم يرد اكرامه على شىء، و انما عرض عليه أمرا لو شاء أن يدخل فيه لرحب به، و لو كره ذلك لم يحمل عليه، و قد لمس الامام تصميم صاحب فخ، فأشعره مصرحا بالحقيقة التى تلقاها من فيض ذلك العلم المخزون، بأنه مقتول، و عليه أن يجد فى القتال، فالحاكمون فسقة يظهرن الايمان و يسرون الشرك، فاستقبل صاحب فخ ذلك برحابة صدر و صدق عزيمة، فهو يعلم أن الامام يعنى ما يقول. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و لم يكن امتناع الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن تأييد ابن عمه بالخروج معه، أو حث الناس على بيعته، أو اعلان وجوب الانخراط فى صفوف [صفحة ١٩٨] الثائرين، ناشئا من خوف من بطش السلطة، أو ايثار للحياة على الموت، أو حب الدنيا و زبارجها الخداعة، و أين منه كل ذلك؟ و هو يعيش بطش السلطة و أذاها فى كل يوم، و يتمنى لقاء الله و قدومه عليه فى كل دعاء و ابتهاج. «ان هؤلاء القادة - أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - ليسوا من حيث المنطلق و المبدأ هواة حكم أو عشاق سلطان، و لم يكن من أهدافهم فى الدنيا كرسى الملك أو عرض الخلافة، و انما يتمثل همهم الأكبر و شغلهم الشاغل فى العمل على تطبيق أحكام الدين، و تجسيد ما جاء فى كتاب الله و سنة رسوله (صلى الله عليه و آله) على صعيد الواقع المعاش للمسلمين، فان علموا بتحقيق الثورة لذلك - و لو بالقوة لا بالفعل كما ثورة الحسين (عليه السلام) - قاموا بها، و لم يأبهوا بفداحة الخسائر و عظم التضحيات. و ان لم يضمنوا هذه النتيجة لا فى الحال و لا فى المستقبل المنظور، امتنعوا عن اراقة الدماء، و تأجيج نيران الحروب و الفتن، لأنها بلا جدوى و لا مردود» [٣٨٤]. و ثمة ملحظ آخر جدير بالأهمية، أن الشعب المسلم و هو يعانى المحن و الشدائد فى حكم الارهاب و الجبروت، قد ضربت أغلب فصائله صفحا عن السياسة و مشكلاتها، و اتجه شبابها نحو الاغتراف من نمير أهل البيت العلمى، فكانت قوافل العلماء تؤم ساحة أهل البيت الرعيل اثر الرعيل، للاستضاءة بنور العلم، و كانت عائدية التمتع بهذا البرنامج المعرفى تعود بما هو أجدى نفعا للمسلمين، و بما هو أكثر تحريرا للعقول، و هى ترفض الاعتساف السياسى، و تأبى التضحية بالنفس دون جدوى متوافرة. ان ما قام به الحسين بن على (صاحب فخ) عبارة عن انكار للمفهوم السلطوى العام، و كان هذا الانكار فى أقصى درجاته و أعظم عطائه، و هذه الطريق مسنونة فى انكار المنكر و الأمر بالمعروف، فقد يرى بعضهم ذلك لازما [صفحة ١٩٩] له أنى اتفق حتى مع عدم أمن الضرر فيعتبره جهادا، و هذا اجتهاد قد يخطئ فيه المجتهد و قد يصيب، أما الامام (عليه السلام) فله حكمه الخاص الذى ينطلق من موازين أخرى يحددها تكليفه الشرعى ليس غير. و لم يكن الامام لينجذب للأحاسيس و هى شلاء، و لم يكن ليتأثر بالعواطف الصارخة و هى موقته، و كان عمله الفعلى الهادف يستوعب الأجيال المتعاقبة لا الأيام القليلة الزائلة، و لم يكن همه لينحصر بالتغيير السياسى و العدة غير متكاملة لدرئه، و النصره غير متيسرة لردعه، و للامام أن يرى، و لأتباعه و أوليائه أن يمتثلوا، فالآراء لا تفرض على الامام مهما كان مصدرها البشرى الا اذا اقترنت بقناعته المنطقية، لهذا نجد أن دأب الأئمة (عليهم السلام) و منهم الامام موسى بن جعفر استثمار توجه الناس اليهم بالاتجاه العلمى، فأذكوا شرارته، و ألحقوا جذوته، فكانت ثماره بناء الأمة عقليا و فكريا، و ذلك هو الهدف المركزى الذى تقصر عن تحقيقه عروش الظالمين، بل و تتضاءل أمام زحفه صولة السلاطين، فقد ذهبت جبروتهم أدراج الرياح كأمس الدابر، و خلد علم أهل البيت فى مدرجة التاريخ الانسانى المتحضر، و كان هذا الاتجاه امتدادا طبيعيا لمسيرة الأئمة فى حياتهم العملية فى ضوء تعليمات القرآن الكريم و السنة النبوية لا يحيدون عنهما قيد شعرة قط. و لك هنا أن تعرف موقف الامام من حركة يحيى بن عبد الله المحض كما عرفت من ثورة الحسين (صاحب فخ) فكلاهما يصدران عن رافد العنف الثورى، و لم يكونا أحرص على الثورة من

الامام لو أن ظروفها كانت مواتية، و لما لم يكن الأمر بهذه السهولة و اليسر، فالامام لم يجد شرعية تتبع، و لا مشروعية تستهدف في زج نفسه أو أوليائه في دوامة محكوم عليها بالفشل و النهاية المحزنة دون حيلة مرجوة في التغيير و الانقلاب الجذري سياسيا و عقائديا. [صفحة ٢٠٠] فقد روى أن يحيى حينما عزم عن حركته كتب للامام: «أما بعد: فاني أوصي نفسي بتقوى الله، و بها أوصيك، فانها وصية الله في الأولين، و وصيته في الآخرين. خبرني من ورد على من أعوان الله على دينه و نشر طاعته؛ و بما كان من تحننك مع خذلانك، و قد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد (صلى الله عليه و آله) و قد احتجبتها و احتجبتها أبوك من قبلك، و قدما ادعيت ما ليس لكم!! و بسطتم آمالكم الى ما لم يعطكم الله!! فاستهويتم و أضللتهم!! و أنا محذرك ما حذرك الله من نفسه». تقول الرواية فكتب اليه الامام موسى بن جعفر في الجواب: «... أما بعد؛ فاني أحذرك الله و نفسي، و أعلمك أليم عذابه و شديد عقابه و تكامل نعماته، و أوصيك و نفسي بتقوى الله فانها زين الكلام و تثبيت النعم، أتانى كتابك تذكر فيه أنى مدع و أبى من قبل، و ما سمعت ذلك منى... و ذكرت أنى ثببت الناس عنك لرغبتى فيما فى يديك، و ما منعنى من مدخلك الذى أنت فيه - لو كنت راغبا - ضعف عن سنه، و لا قلة بصيرة بحجة... و أنا متقدم اليك أحذرك معصية الخليفة، و أحثك على بره و طاعته، و أن تطلب لنفسك أمانا قبل أن، تأخذك الأظفار...» [٣٨٥]. و أنت ترى رساله يحيى فى التهجم على الامام، و هى بعيدة الصدور عنه، فانه أدرى بمنزلة الامام و منزلة أبيه من ذى قبل، و اذا كان يدعو للرضا من آل محمد، فالامام هو الرضا من آل محمد. و أنت ترى الرد فيما نسب للامام، و اذ شككنا فى الأصل ثم لنا الشك فيما يتفرع عنه. [صفحة ٢٠١] و قد تولى تنفيذ هذه الرسالة و رواياتها الأستاذ باقر شريف القرشى: «و الرواية لا يمكن الاعتماد عليها لأنها مرسله أولا. و قد جاء فى سندها روى بعض أصحابنا، بالاضافة الى أن الكثيرين من رجال السند مجهولون... فلا مجال للاعتماد عليها و التشكيك فى حال يحيى» [٣٨٦]. و مهما يكن من أمر، فان الامام كان قاطعا بفشل حركة يحيى فى الأساس، و لا- يستطيع تأييدها فى حال من الأحوال، و هو على رصد تام، و لكنه كان يرى ضرورة الثورة المضادة للحكم العباسى سلبيا لا عن طريق العنف، فلا هدنة معه و لا تأييد له، و لا انخراط فى صفوفه، فهو فى مجابهة معه غير دموية. و لكنها مجابهة تجرد الحكم عن صفة الشرعية، و هى أرقى درجات المجابهة سياسيا فى مقاومة الانحراف العباسى كما سترى هذا فى الفصل الآتى من الكتاب. [صفحة ٢٠٣]

البعد الاستراتيجى لسياسة الامام فى مقاومة الانحراف العباسى

الامام و سياسة النضال العباسى

فى المناخ السياسى العام يبرز عاملان مهمان فى مهمة الاصلاح الدينى و التغيير السياسى، و هما: ١ - النضال الايجابى، و يعنى بمقومات الاندماج الكلى فى العالم السياسى و استيحاء ايجابياته الايدولوجية، و الافادة بالقوة و غير القوة، و فى كل المفردات المتفرعة عليهما، فى سبيل الكسب السياسى و الانعاش الاقتصادى و الاستيلاء على السلطة، فالهدف هو السلطان، فما يؤخذ بالقوة يسترجع بالقوة، و الحق يؤخذ و لا يعطى. و قد يستعين هذا المبدأ بنظرية الغاية التى تبرر الوسيلة، و بالوسائل الأخرى التى تحقق هذا المبدأ، و لا نريد أن نناقش هذا المبدأ فى التسمية و لا فى المكاسب المترتبة عليه، فهو نفسه له ايجابيته و له سلبيته بوقت واحد. [صفحة ٢٠٤] و قد يتوج النضال الايجابى بالأسلوب الدبلوماسى، و قد يعتمد المناورة و الدوران فى التماس ما يراد، سواء أكان ذلك حقا أم باطلا!! اذ المهم العائدية بالنفع المرتقب، و قد يغلف هذا المناخ بستار من الضبابية القاتمة، و المجاملة الكاذبة ازاء الغاية المتوخاة بهذا المنهج أو ذاك. ٢ - النضال السلبى: و يعنى بمفارقة النظام السياسى قولاً و عملاً و موضوعية، و ذلك يقتضى الاعراض حيناً، و الانكار حيناً آخر، و قد يدعو الى المقاطعة للحكم فى كل شىء فيجعل حركته مشلولة متعثرة، و بهذا تكون المعارضة الراضية شعاراً و دثاراً، و يدعى بالمطالبة لتحقيق العدل و استنقاذ الحقوق المهدورة، و قد يدعو الى الحياة الحرة الكريمة فى ضمن ذلك، و

قد يكون مقتصرًا على رفض التعاون و التعامل مع الجهات الحاكمة في مؤسساتها و مرافقها و دواوينها بشكل عام. و أئمة أهل البيت بالتزامهم منهج التقيّة لدى تفجر حياة القسر و الارهاب الدموي، قد يلتزمون النضال السلبي خطأ في عدة طرق، فينطلقون من مبدأ اضعاف الأنظمة و رفضها، و احكام عزلتها السياسية من قبلهم، و اشعار الشعب المسلم بانكارهم لأعمال السلطان و أعوان السلطان. و قد يستقبل الأئمة الوجه المشرق للنضال الايجابي لاقامة دولة العدل، كما مثل ذلك أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) في قتاله للناكثين و الفاسطين و المارقين. و قد يكون النضال الايجابي انكارا عمليا لبسط حكام الجور و ولاء السوء فيلتجأ الى الكفاح المسلح، كما مثل ذلك سيد الشهداء الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) في ثورة الطف. و الامام المعصوم هو صاحب القرار وحده في هذا الاتجاه أو ذاك بما تمليه عليه ضرورة الوظيفة الرسالية الملقاة على عاتقه، دون النظر للعواطف [صفحة ٢٠٥] و الأحاسيس و الانفعالات الذاتية، فهي بعيد منها و منزّه عنها، فهو حينما يتصرف فبوحى من التكليف الشرعي، و بعناية من التسديد الالهي، ناظرا المصلحة العليا وحدها دون التأثير بالأهواء أو الانصياع للضغوط مهما كان، و كلا المنهجين الذين يسلكهما الامام لهما منطلق واحد هو الحفاظ على بيضة الاسلام من وجهه، و قيادة الأمة بأمانه و اخلاص من وجه آخر. فالامام اذن مصدر القرار في الجو السياسي المحموم، و له البصيرة النافذة بكيفية تنفيذ القرار سلبا أو ايجابا، فهو قد يتوسط عند السلطان لقضاء حوائج أوليائه، و استنقاذ حقوق المسلمين، و لكنه في الوقت نفسه يمانع ممانعة شديدة من الانضواء تحت راية السلطان، أو الانخراط في ديوانه و حاشيته و بطانته، فذلك شيء و هذا شيء آخر. و الامام الصامد موسى بن جعفر (عليه السلام) قد تبنى الأمرين، و سلك النهج بأناة و روية و تطلع سليم. كان لرجل من أهل الرى بقايا أموال يطالبه بها بعض الولاة، فطلب للامام أن يسعفه بمفاتحة الوالى في أمره، فاستجاب الامام مليا طلبه. و كتب الى الوالى بالنص الآتى: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ اعلم أن الله تحت عرشه ظلا لا يسكنه الا من أسدى الى أخيه معروفا، أو نفس عنه كربة، أو أدخل عليه سرورا، و هذا أخوك و السلام». فذهب الرجل برسالة الامام الى الوالى فلبى حاجته، و ما اكتفى بذلك بل قاسمه دينارا بدينار، و درهما بدرهم، و ثوبا بثوب، و أعطاه قيمة ما لم يمكن قسمته، و هو يقول له: يا أخى هل سررتك؟ فيقول: أى و الله... [٣٨٧]. [صفحة ٢٠٦] و لما حمل الامام موسى بن جعفر الى هارون الرشيد، جاء اليه هشام بن ابراهيم العباسي، فقال للامام: يا سيدى قد كتب لى صك الى الفضل بن يونس، تسأله أن يروج أمرى!! قال: فركب اليه أبو الحسن (عليه السلام)، فدخل عليه حاجبه، فقال: يا سيد أبو الحسن موسى بن جعفر بالباب. قال: ان كنت صادقا فأنت حر... فدخل الامام، فخرج اليه الفضل بن يونس حافيا، و وقع على قدميه يقبلهما، فقال له الامام: اقض حاجة هشام بن ابراهيم فقضاها [٣٨٨]. هذه الايجابية بهذه الحدود، كانت بتقدير الامام وساطة ناجحة لاستباق الخيرات و المسارعة بانجازها، و قضاء حق من حقوق الأخوة فى الله، و فيها تنفيس كرب و اغاثة ملهوف. و لكن الامام يقف الموقف الصارم و الحازم تجاه الانضمام لعمل السلطان، و الانضواء فى رف معيته و سطوته. فقد حدث زياد بن أبى سلمة، قال: «دخلت على أبى الحسن موسى (عليه السلام)، فقال: يا زياد انك لتعمل عمل السلطان؟ قلت: أجل؛ قال لى: و لم؟ قلت: أنا رجل لى مروءة و على عيال، و ليس وراء ظهري شيء. فقال لى: يا زياد لئن أسقط من حلق فأقطع قطعة قطعة؛ أحب الى من أتولى لأحد منهم عملا، أو أطأ بساط رجل منهم، الا لماذا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، قال: الا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه. [صفحة ٢٠٧] يا زياد: ان أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سراق من نار الى أن يفرغ الله من حساب الخلائق. يا زياد: فان وليت شيئا من أعمالهم فأحسن الى اخوانك، فواحدة بواحدة، و الله من وراء ذلك. يا زياد: أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملا ثم ساوى بينكم و بينهم فقولوا له: أنت متحل كذاب. يا زياد: اذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غدا، و نفاذ ما أتيه اليهم عنهم، و بقاء ما أتيه اليهم عليك» [٣٨٩]. ان هذا التحدير المخيف الصادر عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) تجاه مغبة العمل عند السلاطين، و الانخراط فى صفوف الظلمة، لحرى بكل مسلم أن يجعله نصب عينيه و هو يتولى المسؤولية فى الحكم، أية مسؤولية أصغرية كانت أم كبيرة، لأنه قد ينحرف و تأخذه العزة بالاثم، أو قد يتيه بولايته على الآخرين فيضل عن الطريق السوى، و ما أكثر من تورطوا فى هذا الانهيار السحيق فتجاهلوا الخدمة العامة، و حذبوا على المصالح

الذاتية، و لم يعيروا أذنا صاغية لظلمات الناس و مشكلات الأمة، فصاروا من جابرة الأرض، متجاهلين أن المسؤولية عبارة عن نيابة فعلية عن الشعب يفترض فيها الاحسان الى الاخوان، و تفريج كرب الانسان، و درء أحداث الزمن عن الأسرى و ذوى الاحتياج، و ما يجرى هذا المجرى فى ضوء توجيه الامام. و لو استعرضت مصادر حياة الامام فى هذا الملحظ الخاص لرأيت عجا كبيرا فيما يستفز الامام من تولية أبسط الأمور لدى الحاكمين، و قد لا نرى فيها بأسا كثيرا، ولكنه ينكرها و يشجبها و يستحسن تركها و الاعراض عنها. [صفحة ٢٠٨] فهذا صفوان الجمال، و منزلته لدى من عاصر من الأئمة غير مجهولة، و هو على قدر عظيم، و مع هذا فان الامام يتجه نحوه بالقول: «يا صفوان؛ كل شىء منك حسن جميل ما عدا شيئا واحدا!! قال صفوان: جعلت فداك؛ أى شىء؟ قال الامام: كراؤك جمالك من هذا الطاغية (الرشيد). قال صفوان: و الله ما أكريته أشرا، و لا بطرا، و لا للصيد، و لا للهو، و لكن أكريته لهذا الطريق - يعنى طريق الحج - و لا أتولاه بنفسى، و لكن أبعث معه غلمانى. فقال له الامام: أيقع كراك عليهم؟ قال صفوان: نعم جعلت فداك. قال الامام: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ فقال الامام: من أحب بقاءهم فهو منهم، و من كان منهم كان واردا للنار» [٣٩٠]. فما كان من صفوان الا أن باع جماله و ترك المهنة، و كان هذا النكير من الامام و التشديد فيه لئلا ينتظم أولياؤه فى عداد أولياء الظلمة و أعوانهم، و هو ما تحرمه الشريعة الغراء. و لئن حقق الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عزل النظام فى نضاله السلبى هذا، فانه قد اخترق هذا النظام من الداخل بما لم يسبق اليه تأريخ الامامية السياسى، و كان ذلك باقرار من الامام، حيث استطاع اولياءه المقربون أن يصلوا الى أعالي مراكز السلطة، و أن يكافحوا أمن النظام العباسى ضدهم بالأمن المضاد الذى ستره فى المبحث الآتى. [صفحة ٢٠٩]

الامام و اختراق النظام العباسى

و اخترق النظام العباسى من الداخل على يد أولياء الامام و يعلم من الامام، و كان ذلك يحظى باهتمامه و رعايته و مباركته فيما توصلنا اليه. فهذا على بن يقطين ذو الشرف الأصيل و الولاء العريق لأهل البيت، و كان أبوه من دعاة الدولة العباسية، و نشأ ولده بالقرب منهم، فكانت ثقة العباسيين به متناهية، و اخلاصه - فى الظاهر - لهم متواترا، فكان من رجال الدولة أيام المهدي و الهادي، و تقلد منصب الوزير الأول فى عهد الرشيد، و الاثم يسدد خطاه، و يخترق بوجوده النظام، و يدعوه له، و يعضد سيرته فى اغاثة الملهوفين، و الدفع عن الضعفاء، و قد طلب الاذن من الامام أن يتخلى عن منصبه هذا، فنهاه الامام عن ذلك نهيا شديدا، معللا ذلك، و مبرمجا له، بقوله (عليه السلام): «لا تفعل، فان لنا بك أنسا، و لاخوانك بك عزا، و عسى أن يجبر الله بك كسيرا، و يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا على: كفارة أعمالكم الاحسان الى اخوانكم، اضمن لى واحدة و اضمن لك ثلاثا، اضمن لى أن لا تلقى أحدا من أوليائنا الا قضيت حاجته و أكرمته، و اضمن أن لا يظلك سقف سجن أبدا، و لا ينالك حد سيف أبدا، و لا يدخل الفقر بيتك أبدا، يا على من سر مؤمنا فبالله بدأ، و بالنبي (صلى الله عليه و آله) ثنى، و بنا ثلث» [٣٩١]. و الامام بهذا النحو من التوجيه، يبدى تفهمه الدقيق لمهمة على بن يقطين من خلال موقعه الخطير، و هو يشجعه على البقاء فيه، و هو ينهاه عن الاستقالة منه، و هو يتوسم فيه جبر الكسير و اطفاء نائرة المخالفين عليه، و الامام يلمس منه ايجابية مطلقة، فيبين له ما يكفر به عن عمل السلطان فى [صفحة ٢١٠] الاحسان الى الاخوان، و قضاء احتياج المؤمن، و يحدد له بعض الآثار الوضعية فى اكرامه لأولياء الله، و يلخصها له فى ثلاث: الاعتصام من السجن، و الاحتراز من السيف، و الاستعاذة من الفقر، فليت أولياء الامام التزموا بذلك لدى تسلمهم لبعض المناصب فى الدولة، و نظروا ببصائرهم لهذه المكاسب الكبرى التى يحققها من عمل بنصح الامام و توجيهه الكريم. اننا نلمس فى سيرة على بن يقطين ألقا من هدى أهل البيت و وهجا من عمق تطلعهم لحقائق الأشياء، فهو القدوة فى هذا المجال الرفيع، و مع ذلك نراه يضيق ذرعا بعمل السلطان لئلا يقصر بالتزامه الانسانى، و يكتب للامام: «ان قلبى يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان، فان، أذنت لى جعلنى الله فداك، هربت منه؟» و يرد عليه جواب الامام بالنص: «لا آذن لك بالخروج عن عملهم، و اتق الله...» [٣٩٢]. لقد تراءى

للامام بلمح بعيد يعسر رصده على الكثيرين، أن بقاء على بن يقطين في موقعه هو الأصلح لأموال الدنيا والدين، فهو لا يأذن له في الخروج منه، ومع ذلك فهو يأمره بتقوى الله، تأكيداً على مراقبة النفس من الاصطدام بالأهواء. ولما قدم الامام (عليه السلام) الى العراق في احدى استدعاءاته من قبل الرشيد، زاره على بن يقطين، فشكا الى الامام حاله، وطلب منه الاذن في التخلي عن منصبه فنهاه الامام، وقال له: «يا على، ان الله أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، و أنت منهم يا على» [٣٩٣]. [صفحة ٢١١] ان هذا الاعتداد بعلي بن يقطين يعنى أن الامام قد أخلصه لمهمة رسالية يتعاهدها، ويؤديها على الوجه الأمثل، فهو يعتمد في اختراق النظام لا لارادة الحكم بل لانعاش حياة المضطهدين، - وما أكثرهم - و انقاذهم من جور السلطان، و للنظر في شأن أولياء الله من وراء ستار حديدى من السرية التامة من خلال هذا الجندي المجهول، فهو في الظاهر من رجال النظام، و هو في الواقع من أولياء الامام، و أى ولى هذا و الامام يشهد له بالجنة، و يدعو له أن يكون فى أعلى عليين. أورد الأستاذ باقر شريف القرشى: ان ابن يقطين أقبل على الامام ذات مرة، فقال الامام: من أراد أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فلينظر الى هذا المقبل، و أشار الى على، فقال بعض من حضر: أو فى الجنة؟ قال الامام: أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة. و قال الامام فى مورد آخر: ضمنت لعلي بن يقطين أن لا- تمسه النار أبداً. بل و أكثر من هذا، فقد دعا له الامام، و هو على الصفا بقوله: «الهي؛ فى أعلى عليين، اغفر لعلي بن يقطين» [٣٩٤]. ان هذه الرعاية التامة لهذا الرجل تعبر عن مدى ما قدمه من خدمات للأمة، و ما وفى به من التزامات للامام، و ما أسداه من أعمال جباره تجاه الشعب الضائع فى عواصف النظام، مما استحق معه هذا الثناء العاطر و الدعاء العظيم. و هذا يلزمنا جميعاً أن نتوجه هذا التوجه فى رعاية شؤون الناس، و متابعة احتياج الآخرين، كل بحسب موقعه من المنصب و المكانة و الجاه، و الالفه الأيام القصيرة مهما طالت، و من وراثتها المساءلة و المحاسبة فيما قدم الانسان و ما ترك. [صفحة ٢١٢] و لسنا ندرى بالضبط حجم هذه المكرمات التى انتهجها ابن يقطين فى خلال منصبه، و لسنا نعلم مدى اتساع عطائه الانساني و هو على رأس السلطة، لأن أعماله محاطة بكثير من الكتمان لئلا يفتضح أمره لدى السلطان، الا أننا نستشعر أهميتها القصوى من خلال اعتداد الامام به، و متابعتة من قبله فى تصرفاته، و تسديده له فى كثير من شؤونه التى يقصر ادراكها الا بعد حين، ناظرين بذلك ما ذكره الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) و هو أقرب الى عهد الامام، و ما يرويه لنا نعتبره من أصول الروايات. أولاً: روى عبدالله بن ادريس عن ابن منان، قال: حمل الرشيد فى بعض الأيام الى على بن يقطين ثياباً أكرمه بها، و كان فى جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك. فأنفذ ابن يقطين بالدراعة و بعض الثياب الى الامام الكاظم (عليه السلام) و معها خمس ماله، فلما وصلت، قبل الامام الثياب و المال، ورد الدراعة... و كتب اليه: أن احتفظ بها... فلما كان بعد أيام تغير على بن يقطين على غلام فصرفه... فسعى به الى الرشيد، و قال: انه يقول بامامة موسى بن جعفر، و يحمل اليه خمس ماله فى كل سنة، و قد حمل اليه الدراعة... فأنفذ الرشيد الى ابن يقطين من يحضره... فحضر... قال له: ما فعلت بالدراعة؟.. قال هى عندى فى سفظ مختوم... قال الرشيد: أحضرها الساعة، فاستدعى بعض خدمه و قال له:.... افتح الصندوق الفلانى، و جئنى بالسفظ الذى فيه بخته، فلم يلبث الغلام أن جاءه بالسفظ مختوماً، فوضع بين يدي الرشيد... ففتح و نظر الى الدراعة فيه بحالها... فقال لعلي بن يقطين: أرددها الى مكانها، و انصرف راشداً، فلن أصدق عليك بعدها ساعياً، و أمر أن يتبع بجائزة [صفحة ٢١٣] سنينة، و تقدم بضرب الساعى ألف سوط، فضرب نحواً من خمسمائة سوط، فمات فى ذلك [٣٩٥]. و لك أن تسأل: أنى توافر هذا العلم بهذه الحال فى الاستدعاء و السؤال عن الدراعة من قبل الامام؟ و كيف احتاط الامام لذلك بهذه الصورة التى حكمت براءة ابن يقطين يمثل هذا الموقف الحرج؟ و لنا أن نجيب: ان هذا العلم لدى الامام قد فتح عليه كما تقدم فى موارد علم الامام - من ذلك الباب الذى فتح لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) «علمنى رسول الله ألف باب من العلم، يفتح لى من كل باب ألف باب» [٣٩٦]. و اذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فقد انتفى الاستغراب و العجب و الاستبعاد، و ليس هو بأعجب مما ترويه الحادثة الأخرى فى الموضوع نفسه. ثانياً: روى محمد بن اسماعيل عن محمد بن الفضل، قال: اختلفت الرواية بين أصحابنا فى الوضوء، فكتب على بن يقطين بذلك للامام، فكتب اليه الامام: فهمت ما ذكرت من الاختلاف فى الوضوء، و الذى أمرك به فى ذلك:.... أن تغسل وجهك

ثلاثاً، و تخلل شعر لحيتك، و تغسل يدك من أصابعك الى المرفقين، و تمسح رأسك كله... و تغسل أصابعك الى المرفقين. فلما وصل الكتاب عجب بما رسمه له... ثم قال: مولاي أعلم بما قال، و أنا ممثّل أمره... و سعى بعلى بن يقطين لدى الرشيد، فقيل له: اختبره بالوضوء... فلما دخل وقت الصلاة، وقف الرشيد وراء حجاب ينظر وضوءه، فتوضأ على الصورة التي رسمها له الامام. [صفحة ٢١٤] فقال الرشيد: كذب يا على بن يقطين من زعم أنك من الرافضة. و ورد على ابن يقطين كتاب الامام (عليه السلام): «ابتداء من الآن يا على بن يقطين توضأ كما أمر الله، اغسل وجهك مرة فريضة، و أخرى اسباغاً، و اغسل يديك من المرفقين كذلك، و امسح مقدم رأسك، و ظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كان يخاف عليك، و السلام» [٣٩٧]. و مع كل هذه المنزلة لعلى بن يقطين عند الامام، فقد يجابهه بما يصحح سيرته، و يخفف من غلوائه، رائده في ذلك ايقافه عند المنهج السوي الذي لا يحاد عنه، فقد حجه، و امتنع عن مقابلته، لأنه حجب ابراهيم الجمال، و هو من أولياء الامام. فقال على بن يقطين للامام موسى بن جعفر: يا سيدي ما ذنبي؟ فقال (عليه السلام): حجتك لأنك حجت ابراهيم الجمال. و قد أبى الله أن يشكر سعيك، أو يغفر لك ابراهيم الجمال. فدخل على بن يقطين على ابراهيم داره، و قال له: ان المولى أبى أن يقبلني أو يغفر لي. فقال ابراهيم: يغفر الله لك، فألح على بن يقطين عليه أن يطأ خده، ففعل ذلك بعد ممانعة، فقبله الامام بعد هذا [٣٩٨]. و من هنا نستشعر أن رعاية الامام لعلى بن يقطين لم تكن لذاته، و انما كانت لأسباب موضوعية أهمها أن يكون عند حسن ظن القاصدين من ذوى المشكلات، و أن يكون في تواضع المؤمن لدى استقبال ذوى الدين، و أن يكون لخوانه حصناً منيعاً ترد به عادية الزمن. [صفحة ٢١٥] و بتوافر هذه الشروط و أمثالها، يكون العمل عند السلطان مبرراً، و يكون الاندماج كلياً بهذه الشروط ضرورياً لتنفيذ ذلك، فهذا و ذاك دفع الظلامه و اقرار العدالة و تلبية الاحتياج، و هذا كله هو الذي يسوغ اختراق النظام من الداخل لهدف أسمى. و هكذا تمكن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، و بشكل ايجابي بناء، أن يتجاوز كثيرا من العقبات التي اعترضت مسيرته النضالية و العملية من خلال أوليائه الأمناء.

الامام و مجابهة الانحراف و التضليل الديني

و مع الصورة الناصعة لأدب المجاملة الفاعل لدى الامام، و حفاظه المتكامل على شعيرة التقية الواجبة، الا أننا نجده و باصرار قد يجابه المركز الأول في السلطة مجابهة صريحة صارمة، اذا اقتضت الضرورة الدينية ذلك، و اذا كان لابد من الاصحاح بالرأى الخارق للأباطيل. نلمس هذا الاتجاه عند الامام متجاوب الأصداء اذا حاذر من التضليل الديني و خداع المسلمين، ليصد بذلك الانحراف المتعمد، و يصون الحقيقة الكبرى من الابتذال و الضياع. و مبدأ المجابهة لاعلاء كلمة الحق لدى الامام من خصائصه الثابتة التي أذهلت الكثيرين في عصره، لأنها - عادة ما - تكون بأشد اللحظات حرجية، و عند أصعب المجالات محاججة، و هي قد تستلزم التضحية، و تتطلب الجرأة العالية، و تعني قطع خطوط العلاقات القائمة. و سجل الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) حافل بهذا التوجه الفريد اذ كان لابد منه لتمييز الواقع عن الدجل، و تخليص الحق من الشوائب، و كشف الأقنعة دون محاباة. [صفحة ٢١٦] فحينما دخل الرشيد المدينة توجه الى زيارة النبي (صلى الله عليه و آله) و معه الناس، فتقدم الرشيد نحو القبر و قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن العم - مفتخرا بذلك على غيره - فتقدم الامام موسى بن جعفر الى القبر، و قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبتاه. فتغير وجه الرشيد، و تبين الغيظ فيه [٣٩٩]. ان الملحظ الدقيق لهذه الحادثة يشير الى أن الرشيد أراد اضعاف صيغة الشرعية على خلافته، لأنه ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأراد الامام ابطال ذلك، و احتج على الرشيد بلغته نفسها، فسلم على النبي (صلى الله عليه و آله) باعتباره أباه، فهو أولى بالشرعية - اذن - من الرشيد. و كان الرشيد كثيرا ما يفتح الحوار مع الامام، بيد أنه يتحرى مواطن الاحراج في ذلك، و كان الامام بين خيارين: اما أن يغضب السلطان، و اما أن تشوه الحقائق، فكان الامام (عليه السلام) يختار الخيار الأول، و كان هذا قدره عند الحاكمين. قال الرشيد للامام: لم زعمتم أنكم أقرب الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) منا، و أنتم بنو على... و النبي جدكم من قبل أمكم؟ فقال الامام: لو أن النبي (صلى الله عليه و آله) نشر فخطب اليك

كريمك هل كنت تجيبه؟ فقال الرشيد: سبحان الله! ولم لا أجيبه؟ بل أفتخر على العرب والعجم وقرش بذلك. فقال الامام: لكنه (عليه السلام) لا يخطب الي، ولا أزوجه. فقال: لم؟ فقال الامام: لأنه ولدني ولم يلدكم [٤٠٠]. [صفحة ٢١٧] وفي رواية: ان الامام قال للرشيد في هذه المسألة أو سواها: هل يجوز أن يدخل على حرمك - يعنى النبي - و هن منكشفات؟ فقال لا، قال الامام: لكنه يدخل على حرمي كذلك، و كان يجوز له [٤٠١]. و يبدو أن مسألة النسب كانت الذريعة الوحيدة لبني العباس، لاثبات أنهم أولى بالنبي من أهل بيته، لكثرة ما سألو الامام عن ذلك عسى أن يفهم، ولكنهم كانوا في وهم، فمتى كل الأئمة عن الاجابة في شيء؟ سأل الرشيد الامام: كيف قلت أنا ذرية النبي، و النبي لم يعقب، و انما العقب للذكر لا للأثني، فائتني بحجة من كتاب الله... فقال الامام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: (و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجزي المحسنين - و زكريا و يحيى و عيسى...) [٤٠٢]. من أبو عيسى؟ فقال: ليس لعيسى أب. فقال الامام: «انما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم و كذلك ألحقنا بذراري النبي (صلى الله عليه و آله) من قبل أمنا فاطمة. و زاده الامام قوله (تعالى): (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [٤٠٣]. و لم يدع أحد أن النبي أدخل تحت الكساء الا على بن أبي طالب، و فاطمة، و الحسن و الحسين، و كان تأويل قوله عز وجل «أبناءنا» الحسن و الحسين، و نساءنا فاطمة، و أنفسنا على بن أبي طالب، ان العلماء قد [صفحة ٢١٨] أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي. قال: لأنه مني و أنا منه، فقال جبرئيل: و أنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا- سيف الا ذوالفقار و لا فتى الا على... [٤٠٤]. و كان الرشيد قد جند لقضية البنات و ورائه الأعمام شعراء البلاط العباسي و فقهاء السلاطين، لاثبات أن قرابتهم للنبي أولى من قرابة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و قد تولى كبر ذلك مروان بن أبي حفصة قائلا: أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات و ورائه الأعمام فرد جعفر بن عفان الطائي، و كان يلعن مروان و يقبح قوله، و أجابه: لم لا- يكون و ان ذاك لكائن لبني البنات و ورائه الأعمام للبنت نصف كامل من ماله و العم متروك بغير سهام ما للطلق... و للتراث... و انما صلى الطليق مخافة الصمصام [٤٠٥]. و هي قضية باءت بالفشل، و لم تكن لتنتلي على الشعب المسلم. و كان الأسلوب الاستفزازي للرشيد الذي يجابه به الامام، يدعو الامام أن يجيب بصراحة متناهية، و ذلك بسبب من الاحراج الكبير الذي تشيره هذه الأسئلة، فتجعل الامام مضطرا لبيان الأمر الواقع على حقيقته المجردة، و لكنه يسند الى القرآن العظيم الذي هو عدله. قال الرشيد للامام موسى بن جعفر: أسألك عن العباس و علي، بم صار علي أولى بميراث رسول الله (صلى الله عليه و آله) من العباس، و العباس عم رسول الله، و صنو أبيه؟ قال الامام: «ان النبي (صلى الله عليه و آله) لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، و ان عليا (عليه السلام) آمن و هاجر، و قال الله: [صفحة ٢١٩] (و الذين آمنوا و لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)» [٤٠٦] «فالتمع وجه الرشيد و تغير» [٤٠٧]. و أضاف في البحار، فسأله الرشيد: أسألك يا موسى، هل أفتيت بذلك أحدا من أعدائنا؟ أو أخبرت أحدا من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟ فقال الامام: «اللهم لا...» [٤٠٨]. و تارة أخرى يخرج الرشيد الامام بتنطعه في السؤال، و قد يستغفیه الامام من ذلك، و لكن الرشيد يصصر اصرارا كبيرا، و يعطى الامام الأمان، فكان لا بد للامام من الجواب. قال الرشيد: لم ادعيتم أنكم ورثتم النبي (صلى الله عليه و آله) و العم يحجب ابن العم، و قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قد توفي أبو طالب قبله و العباس حي؟... قال الامام: ان في قول علي بن أبي طالب (عليه السلام): اذ ليس مع ولد الصلب - ذكرا كان أو أنثى - لأحد سهم الا للأبوين و الزوج و الزوجة، و لم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، و لم ينطق به الكتاب [٤٠٩]. و بمثل هذا العنت، و بمثل هذه الأسئلة، و بمثل هذه الاجابة، كان قلب الرشيد يمتلىء حقدا على الامام، و الامام يعلم ذلك، و لا يستطيع الا قول الحق، اذ ليس مما ليس منه بد، و هكذا يشكل الامام موقفا حاسما لا تردد فيه و لا اضطراب. و لم تكن مجابهة الامام (عليه السلام) لفقهاء البلاط العباسي بأقل شأوا من مجابهته للسلاطين، فقد أورد الشيخ المفيد: ان محمد بن الحسن الشيباني [صفحة ٢٢٠] سأل الامام موسى بن جعفر بمحضر من الرشيد و هم بمكة؟ قال له: أيجوز للمحرم أن يظل عليه محمله؟ فقال الامام (عليه السلام): لا يجوز له

ذلك مع الاختيار. فقال محمد بن الحسن: أفيجوز أن يمشى تحت الظلال مختاراً؟ فقال له الامام: نعم، فتضاحك محمد بن الحسن من ذلك. فقال له الامام الكاظم (عليه السلام): أفتعجب من سنة النبي (صلى الله عليه وآله) و تستهزئ بها؟ ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كشف ظلاله في احرامه، و مشى تحت الظلال و هو محرم، و ان أحكام الله يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل سواء السبيل. فسكت محمد بن الحسن لا يرجع جواباً [٤١٠]. و قد يفجأ الامام هؤلاء بنوع من علمه لا تصل اليه أحلامهم، و لا ترقى الى ادراكه عقولهم، فقد ورد في عدة مصادر: أن أبايوسف القاضي و محمد بن الحسن الشيباني زار الامام في السجن، و قال أحدهما للآخر: نحن على أحد أمرين؛ اما أن نساويه أو نشكله، فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلاً بالامام من قبل السندی، فقل: ان نوبتي قد انقضت و أنا على الانصراف، فان كان لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة؛ فقال: مالي حاجة. فلما أن خرج، قال الامام لأبي يوسف و صاحبه: ما أعجب هذا؟ يسألني أن أكلفه حاجة من حوائجى ليرجع، و هو ميت في هذه الليلة!! فقاما، و قال أحدهما للآخر: انا جئنا لسأله عن الفرض و السنة؛ و هو الآن جاء بشيء آخر كأنه من علم الغيب!! [صفحة ٢٢١] ثم بعثا برجل مع الرجل، فقالا: اذهب حتى تلزمه، و تنظر من أمره في هذه الليلة... فمضى الرجل فنام في مسجد في باب داره، فلما أصبح سمع الناعية و رأى الناس يدخلون داره، فقال: ما هذا؟ قالوا: مات فلان في هذه الليلة... فانصرف الرجل الى أبي يوسف و محمد و أخبرهما الخبر، فأتيا أبا الحسن (عليه السلام)، فقالا: قد علمنا أنك أدركت العلم في الحلال و الحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت الليلة؟ قال الامام (عليه السلام): من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بن أبي طالب (عليه السلام). فلما رد عليهما هذا، بقيا لا يحيران جواباً [٤١١]. و هذا باب ملتب لدى الامام فيه عشرات الأحداث شواهد على الاخبار بعلم المنايا و آجال الناس، و كأنها مرهونة بكلامه، و لا تخطيء و لا مرة واحدة، و دلائلها منتشرة في أمهات المصادر، و قد تقدم قسم كبير منها علم الامام الموهبى، و منها: عن اسحاق بن عمار، قال: سمعت العبد الصالح أبا الحسن (عليه السلام) ينعى الى رجل نفسه، فقلت في نفسى: و انه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته؟ فقال الامام شبه المغضب: يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنايا و البلايا، فالامام أولى بذلك [٤١٢]. و فى رواية أخرى عن اسحاق أيضاً قال: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام)، و دخل عليه رجل فقال له أبو الحسن: يا فلان انك تموت الى شهر. [صفحة ٢٢٢] قال: فأضمرت فى نفسى كأنه يعلم آجال شيعته؟ فقال الامام: «يا اسحاق، و ما تنكرون من ذلك؟ و قد كان رشيد الهجرى مستضعفاً، و كان يعلم علم المنايا و البلايا، فالامام أولى بذلك، ثم قال، يا اسحاق تموت الى سنتين، و يتشتت أهلك و ولدك و عيالک، و أهل بيتك...» [٤١٣]. و لا نريد الاسترسال فى هذا الشأن لئلا نخرج عن صلب الموضوع. و فى ضوء ما تقدم يبدو لنا أن الامام فى اللحظات الحاسمة؛ لا يتردد مطلقاً فى ابداء الحقائق مجردة حذر التضليل. [صفحة ٢٢٣]

الامام فى غياهب السجون

رؤية مجهرية لأسباب سجن الامام

رأيت فيما سبق بيانه فى الفصول المتقدمة، ما كان عليه الامام من عظيم المنزلة و سمو الذات، و ما احتل من شعبية عند الجماهير، و ما هو عليه من كيان رفيع لدى العلماء وقادة الفكر و حملة القرآن و رجال الحديث، و ما امتاز به من الخلق العظيم و كريم السمائل، و ما جبل عليه نفسه من كظم الغيظ و ضبط النفس و سخاء اليد، و ما عرف به من الحلم و الصبر الجميل. و فوق هذا كله توجه النظر العقلى الى قيادته الدينية و امامته الشرعية، يضاف الى ذلك اندماجه الكلى فى ذات الله، و نفاذ بصيرته بأمر الله، و تمتعه بتلك القابليات الفذة من العلم الفياض بشقيه الكسبى و اللدنى، و كونه الامام المائل الذى تشخص نحوه الأبصار عند الأزمات و الملمات. [صفحة ٢٢٤] و قد رأيت فيما مضى آراء الأساطين و الفحول و هى تقوم فضله و تشيد بمكارم أخلاقه و تنص على خصائصه و

مميزاته. كل أولئك مؤشرات بارزة السمات في حياة الامام، و قيادة الامام، و مكونات شخصية الامام. و الرشيد في تركيبه النفسى المعقد، و فى طبيعة ما جبلت عليه ذاته من الأنانية، و ما اشتملت عليه تصرفاته الدالة على حقه الدفين لأهل البيت (عليهم السلام)، و هو فى قرارة نفسه يعلم من هو الامام، و يقر بما للامام من مثل و قيم لا تتوفر فى سواه، و هو يرى تدافع الفقهاء و المحدثين و أهل العلم على جامعة الامام، و هو يرى مدرسة الامام تشق طريقها فى التشريع و الحياة و الاجتماع، و هو يرى شطر المسلمين يقولون بامامة موسى بن جعفر (عليه السلام)، حتى عاد الامام حديث المجالس و الأندية، و شغل المحافل و الدواوين. و هذا كله من أبرز العوامل المساعدة على استفزاز الرشيد. و الرشيد أحرص الناس على الحياة، و أحب الناس للسلطان، و أشد الناس طلبا للملك، فقد تسلمه بعد هن و هن، فهو لهذا لا يتورع عن اقرار أية جريمة مهما كان نوعها، للبقاء - فيما زعم - على الحكم، و قد هاله هذا الزخم الهائل من فضائل الامام، و قد روعه ذلك الرصيد الشعبى للامام، فهو يحمى ملكه، و يبقى على نفسه، فيما يعتقده عندما يقدم على اعتقال الامام. يقول الأستاذ باقر شريف القرشى: «لقد كان هارون يقظا، فكان يخرج بغير زيه متنكرا لسمع أحاديث العامة، و يقف على اتجاهاتهم و رغباتهم، فكان لا يسمع الا الذكر العاطر للامام و الثناء عليه، و حب الناس له، و رغبتهم فى أن يتولى شؤونهم، فلذلك أقدم على ارتكاب الموبقة» [٤١٤]. [صفحة ٢٢٥] و كانت البنية الخلفية للرشيد تنكس على تركيب متدهور مريض، يفيض لؤما و حساسية من أهل هذا البيت الكريم، و هذا موسى بن جعفر زعيم العلويين و كبير الطالبين، و هذا هو موقعه من الأمة و تلك مآثره فى الآفاق، و أولاء شيعته فى الحياة، فلماذا يبقى طليقا؟ و هو مصدر قلق و هلع، و لماذا لا يسجن؟ عسى أن تتفرق الجموع، و تتلاشى المخاوف، و يثبت السلطان. على حين رأينا الامام فى سيرته و مسيرته: صاحب دين لا صاحب دنيا، و رائد ايمان لا رائد سلطان، و رجل رسالة لا رجل سلطة. و لم تكن هذه الحقائق لتثنى الرشيد عن عزمه فى القضاء على الامام. و كان للسعاية و الوشاية أثرهما فى حق الرشيد على الامام، فبعض الأخبار تغزو سبب ذلك ليحيى بن خالد البرمكى، فقد سعى بالامام لدى الرشيد، لأن الرشيد جعل ابنه الأمين فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث و هو امامى، فساء ذلك يحيى، و اعتقد أن دولته و دولة أبنائه ستنتهى لدى تولى الأمين الخلافة، فهو سيستوزر ابن الأشعث باعتباره أستاذه، فسعى به الى الرشيد بحجة: أنه لا يصل اليه مال الا أخرج خمسة و وجه به الى موسى بن جعفر... فبعث الرشيد من يكتشف له أمر هبة أعطاها لابن الأشعث و هى عشرون ألف دينار، فأدخل عليه بعد الترويع ليلا... قال له: انك تبعث الى موسى بن جعفر من كل ما يصير اليك بخمسه، و انك قد فعلت ذلك فى العشرين ألفا، فأمر باحضارها على حالها. و جعل يحيى يحتال فى اسقاط جعفر، فأرسل الى على بن اسماعيل بن جعفر (و قيل محمد بن جعفر) و قال له: أخبرنى عن عمك، و عن شيعته، و عن المال الذى يحمل اليه... فقال: ان من كثرة ماله أنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، فقال البائع: لا أريد هذا المال، و أريد نقدا آخر، فأمر بها الامام فصبت بيت ماله، و أعطاه ذلك النقد الآخر... فلما أراد الرشيد [صفحة ٢٢٦] الرحلة الى العراق، بلغ الامام أن عليا ابن أخيه يريد الخروج مع السلطان، فأرسل اليه: مالك و الخروج مع السلطان؟ قال: لأن على دينا. قال الامام: دينك على. قال: و تدبير العيال؟ قال: أنا أكفيهم. فأبى الا الخروج، فأرسل اليه الامام بيد أخيه محمد بن جعفر بثلاثمائة دينار، و أربعة آلاف درهم، فقال: اجعل هذا فى جهازك و لا توتم ولدى [٤١٥]. و فى رواية أخرى أن محمد بن جعفر دخل على الرشيد ثم قال له: ما ظننت أن فى الأرض خليفتين حتى رأيت أخى موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة. و كان ممن سعى بالامام يعقوب بن داود و كان يرى رأى الزيدية [٤١٦]. و قيل: ان الواشى بالامام عند الرشيد: محمد بن اسماعيل بن جعفر [٤١٧]. و قد تعتبر هذه الوشاية أو تلك بداية المبررات لسجن الامام من قبل الرشيد، أو فى الأقل من المشجعات عليه. بينما يرى الأستاذ محمد حسن آل ياسين أن سبب سجن الامام كان مرتبطا بحج الرشيد أول مرة بعد استخلافه، و زيارته قبر النبى، و قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا بن العم. فتقدم الامام الى القبر، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبة. فتغير وجه الرشيد، و تبين الغيظ فيه فكتمه، و قال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن. [صفحة ٢٢٧] و المستنبط من مجموع روايات هذه الحادثة، و قد وردت فى عدد غير قليل من المصادر المعتمدة [٤١٨] أن الرشيد قد صدمته هذه المفارقة الصريحة أو المباهلة الجريئة، فأفسدت عليه مشاعر التعالى و لذة المباهلة،

و حرمة من توهم قدرته على خداع السامعين و المشاهدين بأنه أقرب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و يكون الأحق بالخلافة بحكم هذه القربى المتصلة الوشائج. و يبدو أن الامام قد أحس بهدف الرشيد من هذا الاعلان، فبادر الى اعلام جماهير الحاضرين: بأنه الأقرب رحما و نسبا، و الألق لحمة و سببا، و أنه ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حقا على رغم زيف المزيفين، و تضبيب المضبيين. و تدلنا الأخبار المعنية بهذا الموضوع أن الرشيد بعد أن كتم غضبه و غيظه، لم يستطع نسيان ذلك أو اغفال أمره، بل يظهر بجلاء أن تلك المجابهة العنيفة المؤدبة من الامام موسى بن جعفر، قد هيمنت على نفس الخليفة و أفكاره فأصبحت شغله الذهنى الشاغل [٤١٩]. و مهما يكن من أمر، فقد يكون هذا هو السبب الرئيسى فى اعتقال الامام، و يضاف اليه: أن لشخصية الامام القيادية أثرا كبيرا فى اعتقاله، لأنه صاحب الكيان المتميز فى الشعب المسلم. و لحقد الرشيد أثره الفاعل فى اعتقال الامام، و للسعايات أثرها فى التعجيل باعتقال الامام، و لحاشية السوء و بطانة الشر الأثر الكبير فى تهيج الأحاسيس المضادة للامام، كما أن للأطماع سيلها الى ذلك كله، فقد أجزى على بن اسماعيل بمائتى ألف درهم، فجىء بها اليه و هو فى النزاع الأخير، اذ زحر زحرة خرجت بها حشوته و أمتعاه، فقال: ما أصنع بالمال و أنا فى الموت [٤٢٠]. [صفحة ٢٢٨] و قد اعتبر الأستاذ باقر شريف القرشى أن أهم أسباب اعتقال الرشيد للامام: سمو شخصية الامام - حقد هارون على الامام - حرص الرشيد على الملك - بغضه للعوليين - الوشاية بالامام - احتجاج الامام على الرشيد - تعيين الامام لحدود فذك - صلابه موقف الامام موسى بن جعفر [٤٢١]. و أخيرا أقدم الرشيد على فعلته النكراء فكان سفيها حقا، فحج البيت مبتدئا بقبر النبى (صلى الله عليه و آله) مخاطبا له: «يا رسول الله؛ انى أعتذر اليك من شىء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فانه يريد التشتت بين أمتك و سفك دمائها» [٤٢٢]. و لست أدري كيف يقبل عذره؟ أو يقبل رسول الله عذره؟ و هو يريد اعتقال بضعة منه، و من ذا الذى يصدق هذا السفه اللا مسؤول الذى أطلقه الرشيد على عواهنه؟ و متى أراد الامام تشتيت الأمة و هو الداعى الى وحدتها، و متى أراد سفك دمائها؟ و الحل و العقد بيد أبناء الطلقاء من العباسيين. ان هذا الاعتداء السافر على حرمة رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان على مسمع و مشهد من المسلمين، و هم يستمعون ذلك و يسخرون منه، و الرشيد ينتهك الحرمه و مقاييس الأدب بحضرة الرسول الأعظم، و الامام تقطع عليه صلاته و لا يمهل لاتمامها، و يؤخذ مكبلا بالحديد من مسجد جده، و هناك قبتان ضربت من دونهما الأشعار، لا يعلم الامام بأيهما هو، و تؤخذ واحدة بطريقها الى البصرة، و الأخرى نحو الكوفة، ليعمى على الناس خبره، و كان الامام فى التى مضت الى البصرة [٤٢٣]. [صفحة ٢٢٩] و هكذا ينتزع الامام جهارا من مدينة جده، و يتولى شؤونه فى مسيرة هذا زمره من الغلاظ الشداد، حيث تنتظره معتقلات الطاغية. و كان الامام قد استدعى الى بغداد فى عهد المهدي و سجن فى بغداد، فليس السجن على الامام بجديد [٤٢٤].

ايدولوجية تنقل الامام بين عدة سجون

كان الهدف الاستراتيجى من عملية سجن الامام - فيما يحسب الرشيد - هو تضضيع خبر الامام، و إيقاف زحفه الهادر، عسى أن يتناساه الناس، و تمحى صورته عن الذاكرة، و من ثم يتم تنفيذ المخطط اللا-انسانى باغتياله مع سبق الاصرار، دون أدنى ريب. و لم يكن الامام بالشخص الذى يتجاهل تأثيره الحكام و لا الطغاة، و لا هو بالرجل الاعتيادى الذى ان حضر لا يعد، و ان غاب لا يفتقد، فالصورة على العكس تماما، فهو فى ضمير الناس أمثولة تقتدى، و هو فى حياة الناس الامام البر التقى النقى، و هو فى الميدان العام سيد الموقف و رائد الحق الصريح، و السجن فى مثل هذا الواقع الشاخص لا يغير شيئا من منزلة الامام، و لا يطوى صفحة لذكر الامام، و لا يحقق غاية يسعى لها النظام، فآثار الامام فى حياة المجتمع المسلم لا تختفى بحال من الأحوال. و لم يكن الاستعجال بقتل الامام يمثل خطة سليمة فى نظر الرشيد، فكان السجن هو الاختيار الأمثل عنده، عسى أن يكون السجن بديلا يستطيع فيه القضاء على ذبوع شهرته، و عسى أن يقال: مرض، و اعتل، أو مات حتف أنفه، ليتخلص من أية مسؤولية. [صفحة ٢٣٠] هكذا أراد الرشيد، و هكذا خطط الرشيد. و ذهبت مصادر دراسة حياة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) الى أن سجنه قد تعددت و تكررت، و أن مواضعها قد

تنوعت و توزعت، و أنه سجن في البصرة مرة، و سجن في بغداد مرات. و كان في البصرة في سجن عيسى بن جعفر بن المنصور الدوانيقي، و هو والي البصرة من قبل الرشيد، و قد نظر في شأن الامام و أمره، فذهل الرجل بعبادته و انابته، و أعجب بصبره و خلقه الرفيع، و استمع الى الامام في دعائه، و اذا به يقول: «اللهم، انك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم و قد فعلت، فلك الحمد» [٤٢٥]. و كان عيسى بن جعفر - فيما يبدو - عاقلا متأنيا، فما أراد أن يتورط في شيء من أمر الامام، و يبدو أن الامام كان عنده موسعا عليه في سجنه، و قد أتاحت له فيه الحرية بعض الشيء، اذ تمكن جملة من رواة الحديث من الاتصال بالامام و الاستماع اليه، و كان منهم ياسين الزياتي، فقد روى عن الامام بعض الأحكام و هو في سجن البصرة. و مكث الامام في سجن البصرة سنة، فتملأ عيسى بن جعفر بذلك، ثم كتب الى الرشيد: أن خذه مني، و سلمه الى من شئت، و الا خليت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى اني لأسمع عليه اذا دعا، لعله يدعو على أو عليك، فما أسمعته يدعو الا لنفسه، يسأل الرحمة و المغفرة. فوجه الرشيد من تسلمه منه [٤٢٦]. و يبدو أن هذه الرسالة من عيسى الى الرشيد قد كتبت بعد أن اضطرب الوضع بالبصرة احتجاجا على سجن الامام، و قد بلغ الرشيد ذلك، فبادر [صفحة ٢٣١] بالطلب الى عيسى أن يقوم باغتيال الامام (عليه السلام) فجمع عيسى مستشاريه و عرض عليهم أمر الرشيد، فحذروه من قتل الامام فاستجاب لهم، و قد كان كارها لذلك، و كتب الى الرشيد يستعفيه من هذه المهمة، و يدل على هذا الرسالة المفصلة التي بعث بها عيسى الى الرشيد، يقول فيها: يا أمير المؤمنين، كتبت الى في هذا المجال، و قد اختبرته طول مقامه بمن حبسته معه عينا عليه، لينظروا حيلته و أمره و طويته ممن له المعرفة و الدراية، و يجري من الانسان مجرى الدم، فلم يكن منه سوء قط، و لم يذكر أمير المؤمنين الا بخير، و لم يكن عنده تطلع الى ولاية، و لا خروج، و لا شيء من أمر الدنيا، و لا دعا قط على أمير المؤمنين، و لا على أحد من الناس، و لا يدعو الا بالمغفرة و الرحمة له و لجميع المسلمين، مع ملازمته للصيام و الصلاة و العبادة، فان رأى أمير المؤمنين أن يعفني من أمره، أو ينفذ من يتسلمه مني، و الا سرحت سبيله، فاني منه في غاية الحرج [٤٢٧]. و يبدو من عرض هذه الرسالة و أسلوبها الرقيق أن عيسى بن جعفر أراد أن يخفف ما في نفس الرشيد عن الامام، فأنبأه بأنه في ظل رقابة صارمة، و أن عينا عليه في السجن يلحظه بدقة متناهية، ينظر في أمره و يوافيه بأخباره، و أنه لم يذكر الرشيد الا بخير، و أنه اختبره فوجده عازفا عن السلطان، لا يتطلع الى ولاية، و ليس من رأيه الخروج على الرشيد، و طلب اليه تخليه سبيله، و اطلاقه من سجنه، و الا أطلق سراحه. و كان الامام قد قضى سنة كاملة في سجن عيسى، و استجاب الرشيد لطلب عيسى فنقله الى الفضل بن الربيع في بغداد [٤٢٨]. [صفحة ٢٣٢] و لكن الذي يبدو من الأخبار، و يظهر للبحث أن الرشيد أودع الامام معه في قصره لدى جلبه الى بغداد، و من ثم سلمه لمدير شرطته عبدالله بن مالك الخزاعي، و هو ما رواه المسعودي، و أكدّه ابن طاووس، و نقله ابن خلكان، و ذكر عند القندوزي، و ابن حجر، و أورده المجلسي، و في هذا السجن لدى مدير الشرطة تم اطلاق سراح الامام، و يبدو أنه الاطلاق، ثم قبض عليه، و أودع سجن الفضل بن الربيع. هذا ما توصل اليه البحث، فقد حدث عبدالله الخزاعي بسند صحيح قال: دعاني هارون... فقال امض الى تلك الحجرة و خذ من فيها، و احتفظ به الى أن أسألك عنه، فدخلت و اذا هو موسى بن جعفر، فحملته و أدخلته داري، و كنت أتولى خدمته بنفسى، و مضت الأيام فلم أشعر الا برسول الرشيد يقول: أجب أمير المؤمنين، فذهبت الى الرشيد، و أذن لي بالدخول، فوجدته قاعدا على فراشه، فسلمت، فسكت ساعة، ثم قال لي: يا عبدالله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ اني رأيت الساعة حبشيا قد أتاني و معه حربة، فقال: ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة، نحررتك بهذه الحربة. فاذهب فخل سبيله. فقلت: أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثا، قال: نعم؛ امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، و أعطه ثلاثين ألف درهم، و قل له: ان أحبيت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب. و ان أحبيت المضي الى المدينة فالأذن في ذلك اليك. قال: فمضيت الى الحبس... و خليت سبيله [٤٢٩]. و اذا صحت هذه الرواية باطلاق سراح الامام فانه قد أبقى في بغداد في ظل اقامة جبرية، حتى استثنى الرشيد من قراره فاعتقله عند الفضل بن [صفحة ٢٣٣] الربيع أحد وزرائه، فصيره في داره، و يبدو أن الفضل كان متحرجا من سجن الامام، أو في الأقل كان مرفها عليه في سجنه، فقد أعجب الفضل بعبادة الامام، و أطلع على ذلك عبدالله الشرويني (القروي) و هو على سطح داره،

و حدثه عنه بقوله: «انى أتفقده الليل و النهار، فلم أجده الا على الحال التى أخبرك بها: انه يصلى الفجر، و يعقب ساعة، و يسجد سجدة لا- يزال بها حتى تزول الشمس... ثم يثب لصلاة الظهر... الى أن يفرغ من صلاة العصر... فاذا غابت الشمس و ثب فصلى المغرب... و لا- يزال فى صلاته و تعقبه الى صلاة العتمة، ثم يفطر على شوى... ثم يقوم فلا- يزال يصلى فى جوف الليل حتى يطلع الفجر... فاذا طلع و ثب لصلاة الفجر [٤٣٠] و أراد الرشيد على قتل الامام فأبى ذلك [٤٣١]. و قال القروى للفضل: «اتق الله و لا تحدث فى أمره حدثا يكون منه زوال النعمة... فقال الفضل: قد أرسلوا الى غير مرة يأمروننى بقتله فلم أجبهم لذلك، و أعلمتهم أنى لا- أفعل ذلك، و لو قتلونى ما أجبتهم الى ما سألونى» [٤٣٢]. و يبدو أن الفضل بن الربيع أراد من الرشيد اطلاق الامام، و عاتبه على التضيق عليه فى الحبس، فأجابه هارون: هيهات لابد من ذلك. و يبدو أن هارون قد أطلق الامام بما رواه حاجب الفضل بن الربيع عن الفضل نفسه، اذ دخل عليه مسرور الكبير، قائلاً: أجب الأمير... فخرج معه الى الرشيد فقال له: تداخلك رعب؟ قلت: نعم، قال: صر الى حبسنا، فأخرج موسى بن جعفر بن محمد... و خيره بين المقام أو [صفحة ٢٣٤] الرحيل، فقلت: تأمر باطلاق موسى بن جعفر، قال: نعم؛ وملكك تريد أن أنكث بالعهد [٤٣٣]. و أطلق سراح الامام مؤقتاً، و قبض عليه، فسجن عند الفضل بن يحيى. فوسع على الامام و أكرمه - فى رواية - فاتصل ذلك بالرشيد و هو فى الرقة، فكتب اليه الرشيد ينكر عليه توسيعه على الامام، و أمره بقتله، فتوقف الفضل، و لم يقدم على ذلك [٤٣٤]. فأنفذ الرشيد مسرورا الخادم الى بغداد على البريد، و أمره من فوره أن يدخل الى موسى بن جعفر فيعرف خبره، فان كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه الى العباس بن محمد و أمره باعتقاله، و أوصل كتاباً آخر الى السندى بن شاهك يأمره بطاعة العباس. فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى، و لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فوجده على ما بلغ الرشيد من السعة و الرفاهية، فأوصل لهما الكتابين، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض الى الفضل بن يحيى فركب معه، و خرج مشدوها دهشاً حتى دخل على العباس، فدعا بسياط و عقابين، فوجه ذلك الى السندى بالفضل فجرد، ثم ضربه مائة سوط، فخرج الفضل متغير اللون خلاف ما دخل، فأذهبت نخوته، فجعل يسلم على الناس يمينا و شمالاً. و كتب مسرور بالخبر الى الرشيد فأمر بتسليم الامام الى السندى بن شاهك، و جلس مجلساً حافلاً سب به الفضل بن يحيى و أمر بلعنه، حتى تدارك ذلك أبو يحيى بن خالد، فساوى الأمر [٤٣٥]. [صفحة ٢٣٥] و هذه المرويات تشير أن الفضل بن يحيى قد وسع على الامام لما رآه من حسن سمته، و رفيع عبادته، و انقطاعه الى الله تعالى، و عزوفه عن الدنيا و الجاه و السلطان. بينما تقول بعض الروايات: ان البرامكة بما فيهم الفضل و أبوه كانوا من أعداء الامام، حتى روى أن الفضل قدم للامام مائدة فيها السم، و استدعى له الطبيب، فأراه الامام راحته و كانت خضرة، تدل على أنه قد سم، فانصرف الطبيب قائلاً: و الله لهو أعلم بما فعلتم به منكم [٤٣٦]. و قد ورد عن الامام على بن موسى الرضا تصديق ذلك، فقد قال لأحمد بن محمد بن أبي نصر من حديث: «ان الله يدافع عن أوليائه، و ينتقم لأوليائه من أعدائه، أما رأيت ما صنع الله بآل برمك، و ما انتقم لأبى الحسن (عليه السلام)» [٤٣٧]. هذا ملخص تأريخى اجمالى بسجون الامام فى عهد الرشيد، و قد تناوب عليها: فى سجن عيسى بن جعفر بن المنصور فى البصرة، و نقل الى بغداد فسجن فيها عدة مرات، فكان من سجنونه قصر الرشيد، ثم سلمه الى مدير شرطته و الموكل بقصره: عبدالله بن مالك الخزاعى، ثم أطلق، و أبقى فى بغداد، و قبض عليه و سجن عند الفضل بن الربيع مرفهاً عليه، ثم أطلق لكرامة له، و قبض عليه أخيراً، فسجن عند الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى، فوسع على الامام، و عاقبه الرشيد على ذلك، و قيل على العكس من هذا، ثم أمر به الى سجن السندى بن شاهك، و كان سجنه من أضيق السجون معاملة مع الامام، و من أشد المعتقلات عليه. [صفحة ٢٣٦] و كان موقع هذا السجن فى دار المسيب قرب باب الكوفة، و باب الكوفة يقع اليوم - كما فى خارطة بغداد - فى منطقة «الوشاش» و هى احدى أحياء محلة الكرخ ببغداد. يقول الأستاذ باقر شريف القرشى: «و سمعت من الأفواه أن المحل الذى سجن به الامام معروف لدى الأوساط البغدادية، و هو أحد قصور آل الباججى» [٤٣٨]. و قيل: ان الامام سجن فى دار السندى بن شاهك نفسه، و قد يدل على ذلك أن أخت السندى سألت أخاها أن تتولى أمر هذا العبد الصالح فى حبسه - و كانت من المتدينات - فوافق على ذلك فكانت على خدمته، و حكى أنها قالت: «كان اذا صلى العتمة

حمد الله و مجده و دعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فاذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقصد الى ارتفاع الضحى، ثم يتهيا و يستاك، و يأكل، و يرقد الى الزوال، ثم يتوضأ و يصلي، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي للمغرب، ثم يصلي ما بين المغرب الى العتمة، فكانت تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل» [٤٣٩]. و قد ضيق السندی على الامام أشد التضيق بأمر مباشر من هارون الرشيد، و أوعز اليه أن يقيد بثلاثين رطلا من الحديد، و يقفل الباب في وجهه، و لا يدعه يخرج الا للوضوء، فامتثل السندی ذلك، و نفذ ما أراد الرشيد [٤٤٠]. [صفحة ٢٣٧] و كان القبض على الامام قد تم من قبل الرشيد لأول مرة لعشر ليال بقين من شهر شوال عام ١٧٩ هـ، و ما انفك كما رأيت، ينقل بين السجون، حتى توفي مسموما في سجن السندی بن شاهك لخمس بقين من شهر رجب عام ١٨٣ هـ على المشهور [٤٤١]. و على هذا فقد قضى الامام في غياهب السجون خمس سنوات الا شهرين و نصف الشهر بالضبط. و كانت هذه المدة حقبة انقطاع للامام عن شيعته الا لماما، و كانت حياته في السجن حياة ابتهال و تهجد و صلوات و دعاء، و لم تكن تقتصر على ذلك من النشاط الروحي، فهناك أنشطة ذات بال سترها في المبحث الآتي.

حياة الامام في طوامير السجون

أرأيت طهر السماء، و نقاء الأفق، و صفاء البحر؟ ذلك هو الامام موسى بن جعفر في ضميره الزكي النابض، و اذا به يمني بعصف الرياح، و تلبد الأجواء، و مرارة الارهاب. أرأيت عزة الخليل، و مهابة الكليم، و قداسة المسيح؟ ذلك هو الامام موسى بن جعفر، و هو يعايش سلاطين الجور، و جلاوزة الطغيان، و أجهزة القمع. أرأيت محمدا في قيادته، و عليا في شجاعته، و الزهراء في عفتها، و الحسن في صبره، و الحسين بنضاله، و زين العابدين في دعائه، و محمدا الباقر في أصالته، و جعفر الصادق في علمه؟ ذلك هو الامام موسى بن [صفحة ٢٣٨] جعفر، و ارثهم جميعا؛ مغيا بين جدران السجون، و مكبلا بأثقال الحديد، يتجرع الغصص و الاغتراب. هكذا أراد الرشيد، و هو القائل عن الامام: «أما ان هذا من رهبان بني هاشم». فقيل له: فما لك قد ضيقت عليه في الحبس؟ قال: هيهات، لابد من ذلك [٤٤٢] أجل، لقد ضيق الرشيد على الامام، و في سجن السندی بالذات، فما بدا من الامام اعتراض، و لا حاول اطلاق سراحه بوسيلة، بل ترفع عن التنازل لهارون، و أبى و ساطة أى انسان في شأنه، و امتنع عن تلبية الراغبين بذلك، و قال لهم: «حدثني أبى عن آبائه، أن الله عزوجل أوحى الى داود: يا داود ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى دونى، و عرفت ذلك منه، الا قطعت عنه أسباب السماء، و أسخت الأرض من تحته» [٤٤٣]. و كان منهجه في السجن المواظبة المثلى على العبادة الخالصة، و الانابة و الخشوع و التسليم، قال الشيخ المفيد، و هو يتحدث عن حال الامام في السجن: «و كان (عليه السلام) مشغولا بالعبادة، يحيى الليل كله صلاة، و قراءة قرآن، و دعاء، و اجتهادا، و يصوم النهار أكثر الأيام، و لا يصرف وجهه عن المحراب» [٤٤٤]. و في قبال هذا التوجه العبادى، كان الامام محاطا بزمزمر أهل المعاصى و مرتكبي الكبائر، و لا حول و لا طول لديه على التغيير. فقد حدث كاتب [صفحة ٢٣٩] عيسى بن جعفر، و الامام سجين لديه، قال: «لقد سمع هذا الرجل الصالح - يعنى الامام - في أيامه هذه؛ في هذه الدار التى هو فيها من ضروب الفواحش و المناكير ما أعلم و لا- أشك أنه لم يخطر بباله» [٤٤٥]. و كانت الحياة العلمية و هو سجين تنام و تستيقظ، فقد يسمح السندی بلقاء الامام من قبل العلماء، و قد يسمح بتبليغه الرسائل من أوليائه، و قد يوصل الأجوبة من قبل الامام الى السائلين. و يعتبر الأستاذ محمد حسن آل ياسين: أن هذه الأساليب التى سلكها السندی من جملة طرائقه فى التغطية و التمهيد لقتل الامام [٤٤٦]. و قد يكون ذلك من بواعث التعقيم على معاناة الامام لجملة الضغوط و المضايقات، فيشاع أنه يتمتع بحرية و استقلالية، بحيث تصله رسائل شيعته، و حيث يجب عليها بمحض ارادته و اختياره. فقد روى عن على بن سويد الطائى، قال: كتب الى أبو الحسن الأول (عليه السلام) فى كتاب: «ان أول ما أنعى اليك نفسى فى ليالى هذه، غير جازع، و لا نادم، و لا شاك فيما هو كائن، مما قضى الله و حتم، فاستمسك بعروة آل محمد، و العروة الوثقى الوصى بعد الوصى، و المسالمة و الرضا بما قالوا» [٤٤٧]. و كما فى رواية الحسين بن المختار، قال: «خرجت الينا ألواح من أبى الحسن موسى، و هو فى الحبس...» [٤٤٨]. [صفحة ٢٤٠] و قد تتأخر اجابة السؤال من

قبل الامام لأسباب أمنيّة فرضت عليه، أو لأسباب تتعلق بالامام، فعن علي بن سويد، قال: كتبت الى أبي الحسن موسى (عليه السلام) و هو في الحبس كتابا، أسأله عن حاله، و عن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب على أشهر!! ثم أجبني بجواب مفصل، ورد فيه بعد حمد الله و الثناء عليه، قوله: «أما بعد؛ فانك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة، و حفظ ما استرعاك من دينه، و ما ألهمك من رشده، و بصرك من أمر دينك...» ثم نعى الامام نفسه لابن سويد، و أجابه عن عدة مسائل مسائل فقهية في الغصب و الشهادات، و مسألة كلامية في مدى علم أهل البيت [٤٤٩]. و كانت مدرسة الامام قد انتشر روادها في الآفاق و هو في السجن، فكانت اجابات الامام يذاع خبرها بانتظام رغم الرصد و العيون، و سبب ذلك أن التشيع قد استطار في الأقاليم الاسلامية و شاع، و كان العلماء و الوكلاء يقومون بالمهمات في التبليغ و الدعوة، و يتعاونون على تسلم الحقوق المالية و يصرفونها في مواقعها الشرعية، كما أشار لمواليه بالامام من بعده، و نص على ولده على الرضا قائلا: «ان ابني «علي» أكبر ولدي، و آثرهم عندي، و أحبهم الي، و هو ينظر معي في الجفر، و لم ينظر فيه الا نبي أو وصي نبي» [٤٥٠]. و كما عن الحسين بن المختار، قال: خرجت اليها ألواح من أبي الحسن موسى (عليه السلام) و هو في الحبس: عهدى الي أكبر ولدي [٤٥١]. و بذلك لم يترك الامام الأمانة سدى بل نص على حجة الله في خلقه. و أدى الأمانة التي استحفظ عليها، كما أوصى و أوقف و حرر كما سنرى. [صفحة ٢٤١]

الامام يوصى بأمواله و يوقف أراضيه

و شعر الامام (عليه السلام) بدنو أجله و نهاية أيامه و احترام عمره الشريف ف «لكل أجل كتاب» و لكل بداية نهاية، و لأنه يتعاش مع الخطر المحقق به ليل نهار، يصبح الوحدة القاتلة في سجنه، و يمسي الغربة الموحشة في ليله. و كان هذا الشعور من الامام يمثل انقداحا روحيا في لمح الغيب القريب، فأعد لذلك عدته في وصية كثيرة، أشهد عليها الأعيان من أهل بيته و أصحابه، و كانت هذه الوصية نموذجا فريدا لما ينبغي على المسلم لدى احساسه بالموت. أشهد الامام الشهود، و أشهد نفسه: «أنه يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من في القبور، و أن البعث بعد الموت حق، و أن الحساب و القصاص حق، و أن الوقوف بين يدي الله عزوجل حق، و أن ما جاء به محمد (صلى الله عليه و آله) حق، و أن ما نزل به الروح الأمين حق، على ذلك أحياء، و عليه أموت، و عليه أبعث ان شاء الله، أشهدهم أن هذه وصيتي بخطي... و أوصيت بها الي «علي» ابني، و بنى بعده ان شاء و أنس منهم رشدا، و أحب اقرارهم فذلك له، و ان كرههم و أحب أن يخرجهم فذلك له، و لا أمر لهم معه. و أوصيت اليه بصداقاتي و أموالي و صياني الذين خلفت و ولدي... و الي علي أمر نسائي دونهم، و ثلث صدقة أبي و أهل بيتي يضعه حيث يرى، و يجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله... و ان أحب أن يبيع، أو يهب، أو ينحل، أو يتصدق على غير ما وصيته فذاك اليه، و هو أنا في وصيتي في مالي، و في أهلي و ولدي. [صفحة ٢٤٢] و ان رأى أن يقر اخوته الذين سميتهم في صدر كتابي هذا أقرهم، و ان كره أن يخرجهم غير مردود عليه، و ان أراد رجل أن يزوج أخته فليس له أن يزوجه الا باذنه و أمره. و أي سلطان كشفه عن شيء، أو حال بينه و بين شيء مما ذكرت في كتابي، فقد برىء من الله تعالى و من رسوله... و لي عنده مال، و هو مصدق فيما ذكر من مبلغه ان أقل أو أكثر، فهو الصادق... و ليس لأحد أن يكشف وصيتي، و لا ينشرها و هي على ما ذكرت و سميت... و من أساء فعلية، و من أحسن فلنفسه، و ما ربك بظلام للعبيد» [٤٥٢]. و أنت ترى ما في هذه الوصية - و قد اختزلتها لك اختزالا - من التأكيد على عقيدة التوحيد، و النبوة، و المعاد يوم القيامة، و ما يستلزم ذلك من بعث و نشور و حساب و وقوف بين يدي الله تعالى، و أن ما نزل به روح الأمين من القرآن و الشريعة حق، و أنه يحيا و يموت و يبعث على هذا. و الملفت في الوصية حقا تأكيدها الشامل على ولده الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، في تمييزه على ولده، و رعايته لشؤونه، و عنايته بادارته، و اقراره على ادارة أمواله و صداقاته و القصر من أبنائه، بل على جميع ولده، كما جعل له أمر نسائه و أخواته دونهم، و بصرف ثلث صدقة أبيه أنى يرى، و حيث يشاء، كما خوله تخويلا مطلقا بأمواله، و ما يصنع فيها من هبة أو نحلة أو بيع أو صدقة و نحو ذلك فيما لم تشتمل عليه الوصية. ثم

اعتز به نفسه في الوصية والمال والأهل والولد، وله اقرار أبناء الامام الذين ذكرهم في وصيته، وله أيضا اخراجهم. وجعل أمر بناته بيده، ولا يزوج أحد احداهن الا باذن الرضا وأمره، ولا سلطان لأحد عليه في جميع وصيته، وأى سلطان [صفحة ٢٤٣] حال بينه وبين تنفيذها فقد برىء من الله ورسوله، وأبان الامام في ختام الوصية أن له مالا عند ولده الرضا، وهو مصدق فيما ذكره عنه قل أو كثر، وشهد بحقه بأنه الصادق. ويبدو بكل وضوح من لوازم هذه الوصية ونصوصها وفقراتها، أنها نص لا يقبل الشك على امامة ولده الرضا، وهو كذلك، ويأتي هذا بعد أن نص عليه امام جماعات كثيرة وأشهدهم على ذلك. ويبدو أن للامام موسى بن جعفر (عليه السلام) صدقات جارية، وأراضى زراعية عامرة، نص على جعلها وقفا ذريا في وصيته قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما تصدق به موسى بن جعفر، تصدق بأرضه مكان كذا وكذا... كلها، نخلها، ومائها، وأرجائها، وحقوقها، وشربها من الماء، وكل حق هو لها، في مرفع، أو مظهر، أو عنصر، أو مرفق، أو ساحة، أو مسيل، أو عامر، أو غامر، تصدق بجميع حقه من ذلك على ولده من صلبه الرجال والنساء، يقسم ما أخرج الله عز وجل من غلتها - بعد الذي يكفيها في عمارتها ومرافقها، وبعد ثلاثين عذقا يقسم في مساكن أهل القرية - بين ولد موسى بن جعفر، للذكر مثل حظ الأنثيين، فان تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر، فلا حق لها في هذه الصدقة حتى ترجع اليها بغير زوج، فان رجعت كان لها مثل حظ التي لم تتزوج من بنات موسى، ومن توفي من ولد موسى وله ولد، فولده على سهم أبيهم للذكر مثل حظ الأنثيين على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه، ومن توفي من ولد موسى ولم يترك ولدا رد حقه على أهل الصدقة. وليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق، الا أن يكون آباؤهم من ولدي. وليس لأحد في صدقتي حق من ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فان انقرضوا ولم يبق منهم أحد، فصدقتي على ولد أبي [صفحة ٢٤٤] من أمي - ما بقي منهم أحد - ما شرطت بين ولدي وعقبى، فان انقرض ولد أبي، وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فان لم يبق منهم أحد، فصدقتي على الأولى فالأولى حتى يرث الله الذي ورثها وهو خير الوارثين. تصدق موسى بن جعفر بصدقته هذه، وهو صحيح صدقة حبيسا بئا بثلا، لا مثنوية فيها ولا رد أبدا، ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعها، أو يبتاعها، أو يهبها، أو يغير شيئا مما وضعتها عليه، حتى يرث الله الأرض ومن عليها» [٤٥٣]. ويخلص لنا من هذه الوقفية أن الامام (عليه السلام) بضبطها واحكامها، وتفصيلها وجزئياتها، وادخال من أراد ادخاله، واخراج من أراد اخراجه، انما يريد أن يوجهنا في أعمالنا وصايانا وأموالنا وصدقاتنا الوجه الصحيح المحكم، بحيث يكون ما يريده صاحب المال هو الأصل فيما يعمل به، وأن تكون الوصية جامعة مانعة فلا يدخل فيها ما يراد اخراجه، ولا يخرج منها ما يراد ادخاله، وأن ذلك جميعا ابتغاء وجه الله تعالى واليوم الآخر. ومن هنا نعرف أن موارد سخاء الامام وعطاياه وهباته وصراره ومنحه، انما كانت من خالص ماله وطيب حاله. [صفحة ٢٤٥]

الامام في مدارج الشهادة

فزع الرشيد من منزلة الامام

انتشر ذكر الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في الأقاليم الاسلامية انتشار النار في الحطب الجزل، فقد تناقل الناس أخباره في العلم والحلم والورع والتقوى والانابة والახبات لله تعالى. وكان الرشيد أعرف الناس بهذه الحقائق، وأجرأ الناس على تغافلها، وكان الترف السياسي قد طفح الكأس بأنبائه بين صفوف الشعب، وبلغ الاستياء حده من الأثر والطغيان اللذين طبع عليهما النظام العباسي، وانكمش الناس من الجور والاستعباد، وسم المجتمع العراقي بخاصة من حياة اللهو والعبث والمجون. وهذا وأمثاله كاد أن يطوى بساط الشرعية من تحت هارون وولاته وعماله في الميدان السياسي، أما في الميدان الديني فلا شرعية للحكم من قبل أبناء [صفحة ٢٤٦] الطلقاء تجاه أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وكان لابد للرشيد من اشغال الناس عن النظر في

شأن الحكم، فأعلن الأحكام العرفية ليقمع كل تفكير - فضلا عن التحرك ضد النظام في مآسى الحكم و شؤون الدولة حتى قال الناس: انج سعد فقد هلك سعيد، هذا من جهة، و من جهة أخرى عمد الرشيد الى سياسة التبعيد و التشريد مضافا الى سياسة كبت الحرية، فقد قذف بالشباب المسلم في لهوات الحروب، و أشغل الفكر العام بالبعوث و ارسال الكتل البشرية نحو الثغور، و هو لا يهتم بذلك أمر الاسلام في شىء، و انما همه الوحيد هو تثبيت دعائم الملك. و كانت شعبية الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) تخرق كل الحواجز التي وضعها الرشيد في سبيله، لا بقوة عسكرية، و انما بذلك التغلغل العقائدى الذى تنتطوى عليه قلوب المسلمين ولاء و ايماننا و حبا بقيادة أهل البيت (عليهم السلام)، و هنا مصدر الخطر على السلطة حيث أن هذا التغلغل في الفكر و الضمير انما يكتسب نفوذه العام من خلال قناعات ثابتة، تجعل القوة الى جنب الكتاب في استيحاء الأسس الفكرية للاسلام، و هذا ما يخيف الحاكمين و يجعلهم في فزع و هلع شديدين، لأن هذا المنظور الخارق انما ينطلق من صميم المشاعر الانسانية دون تأثير خارجي، أو دعم سلطوى، أو اجراء سياسى، فهو انطلاق داخلى يجرى في الانسان مجرى الدم في الأوردة و الشرايين. و كان الرشيد يعرف هذا جيدا بالنسبة للامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فهو و ريث هذه الأطروحة الضخمة التي تجعل مصير السلطان في مهب الريح، و تجعل أتباعه و أوليائه في قلق مستمر، اذن الدولة في نظره في معرض الخطر من هذه الأحاسيس التي يمتلك أمرها الامام. و مع علم الرشيد أن ليس من وكذ الامام و لا من شأوه نشدان الحكم و لا تطلب السلطان، الا أن هواجس الخوف و الذعر من مكانة الامام تجعله [صفحة ٢٤٧] يفكر جديا في التخلص منه بشتى الوسائل، دون أن يثير حفيظة المتسائلين أو الاهتمام الجماهيري. و كان الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) من أدري الناس بهذه الارهاصات لدى الرشيد، فقد يجامله مرة، و قد يتقيه أخرى، و قد يتقرب منه ثالثة، و قد يذكره الرحم فيمسه سوى ذلك، و قد يروى له في ذلك «أن الرحم اذا مست الرحم تحركت و اضطربت» [٤٥٤] كما قد يجابهه في مرارة و اصرار اذا اقتضت المصلحة العليا ذلك [٤٥٥]. و قد رأيت فيما سبق أن الرشيد كان مصمما على سجن الامام فسجنه حتى انتهى به المطاف الى سجن السندی بن شاهك، فكانت كرامات الامام يتصل بعضها ببعض، و فضائله تسير مسير الشمس، فاستنجد الرشيد بيحيى بن خالد البرمكى، و قال له: «يا أبا على؛ أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيرا يريحنا من غمه؟ فقال يحيى بن خالد: الذى أراه لك أن تمن عليه، و تصل رحمه، فقد و الله أفسد علينا قلوب شيعتنا. فقبل ذلك منه، و أمره بفك القيود عنه و اطلاقه بشرط الاعتراف بالاساءة. فامتنع الامام (عليه السلام)، و قال ليحيى: يا أبا على؛ أنا ميت، و انما بقى من أجلى أسبوع... يا أبا على؛ أبلغه عنى، يقول لك موسى بن جعفر: رسولى يأتيك يوم الجمعة، فيخبرك بما ترى، و ستعلم غدا اذا جائتكم بين يدى الله من الظالم و المعتدى على صاحبه؟ و السلام. [صفحة ٢٤٨] فأخبر يحيى الرشيد بذلك، فقال الرشيد: «ان لم يدع النبوة بعد أيام، فما أحسن حالنا». فلما كان يوم الجمعة توفى الامام [٤٥٦]. و مهما يكن من أمر، فان الامام قضى في سجن السندی أضيق أيام حياته، و لم يمكث بعدها في السجن، اذا قضى عليه الرشيد بالسم. و هذا ما يحتاج الى شىء من العرض الدقيق.

اغتيال الامام بالسم

ذهب أغلب المؤرخين الى أن الامام مات مسموما في سجن السندی بن شاهك، و انفرد أبو الفرج الأصبهاني بأن الامام لف في بساط و هو حى، فجلس عليه السجانون حتى توفى [٤٥٧]. و وافقه ابن عنبه بالقول: بأنه لف في بساط و غمز حتى مات [٤٥٨]. الا- أن الروايات الأكثر شيوعا: أن الامام دس له السم في سجن السندی بأمر الرشيد فمات مسموما، و هذه الروايات يمكن تصنيفها كالاتى: ١ - ان السندی بن شاهك حضر، بعدما كان بين يدى الامام السم في عشر رطبات، و أنه (عليه السلام) أكلها. فقال له السندی: تزداد؟ فقال (عليه السلام) له: حسبك فقد بلغت ما يحتاج اليه في ما أمرت به. ثم ان السندی أحضر القضاء و العدول قبل وفاته بأيام، و أخرجه اليهم، و قال: ان الناس يقولون: ان أبا الحسن موسى في ضحك و ضر، و ها هو ذا لا علة به و لا مرض، و لا ضر. [صفحة ٢٤٩] فالتفت الامام (عليه السلام)، فقال لهم: اشهدوا على أنى مقتول بالسم منذ ثلاثة أيام، اشهدوا أنى صحيح الظاهر لكنى مسموم، و

سأحمر في آخر هذا اليوم حمرة شديدة منكورة، و أصفر غدا صفرة شديدة منكورة، و أبيض بعد غد، و أمضى الى رحمة الله و رضوانه، فمضى (عليه السلام) كما قال في آخر اليوم الثالث [٤٥٩]. ٢ - ان يحيى بن خالد البرمكى خرج على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس و أرجفوا بكل شيء، و أظهر أنه ورد لتعديل السواد، و النظر في أمور العمال، و تشاغل ببعض ذلك أياما، ثم دعا السندي بن شاهك، فأمره بأمره فامتثل، و كان الذي تولى به السندي قتله (عليه السلام)، سما جعله في طعام قدمه اليه. و يقال: انه جعله في رطب أكل منه، فأحس بالسم، و لبث بعده ثلاثا موعوكا منه، ثم مات في اليوم الثالث [٤٦٠]. ٣ - ان يحيى بن خالد البرمكى هو الذي سم الامام بأمر الرشيد مباشرة: فعن عبدالله بن طاووس، قال: قلت للرضا (عليه السلام): ان يحيى بن خالد سم أباك موسى بن جعفر صلوات الله عليهما؟ قال: نعم، سمه في ثلاثين رطبة [٤٦١]. ٤ - و في عيون الأخبار جاء النص الآتي: «ثم حبس - يعنى الامام موسى بن جعفر - و سلم الى السندي بن شاهك، فحبس، و ضيق عليه، ثم بعث اليه الرشيد بسم في رطب، و أمره أن يقدمه اليه، و يحتم عليه في تناوله منه، ففعل، فمات صلوات الله عليه» [٤٦٢]. [صفحة ٢٥٠] و كانت هنالك محاولة سابقة لسم الامام في الرطب في رواية عمر بن واقد، قال: ان هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (عليه السلام)، و ما كان يبلغه من قول الشيعة بامامته، و اختلافهم في السر اليه بالليل و النهار خشية على نفسه و ملكه، ففكر في قتله بالسم، فدعا برطب فأكل منه، ثم أخذ صينية فوضع فيها عشرين رطبة، و أخذ سلكا فعركه في السم، أدخله في سم الخياط، و أخذ رطبة من ذلك الرطب، فأقبل يردد اليها ذلك السم بذلك الخيط، حتى علم أنه قد حصل السم فيها، فاستكثر منه، ثم ردها في ذلك الرطب، و قال لخدام: احمل هذه الصينية الى موسى بن جعفر، و قل له: ان أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب، و تنغص لك به، و هو يقسم عليك بحقه لما أكلتها عن آخر رطبة... فتحاشى الامام هذه الرطبة في حديث طويل، فباءت المحاولة بالفشل [٤٦٣]. و لئن باءت هذه المحاولة بالفشل فما باءت المحاولات الأخرى. و مهما يكن من أمر فان الوثائق التاريخية المعتمدة تشير أن الامام (عليه السلام) مات مسموما على يد السندي بأمر الرشيد [٤٦٤]. و مما يؤكد هذا الرأي ما رواه الشيخ المفيد: ان الامام لما حضرته الوفاة سأل السندي بن شاهك أن يحضر مولى له مدنيا ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله و تكفينه ففعل ذلك. [صفحة ٢٥١] قال السندي: فكنت أسأله في الاذن أن أكفنه فأبى، و قال: «انا أهل بيت مهور نساءنا، و حج ضرورتنا، و أكفان موتانا، من طاهر أموالنا، و عندي كفى، و أريد أن يتولى غسلى و جهازى مولاى فلان، فتولى ذلك منه» [٤٦٥]. و هكذا تنطوى حياة الامام في ظل الارهاب السياسى.

الاشهاد على وفاة الامام

و حينما وقعت الجريمة النكراء باغتيال الامام مسموما، قام الرشيد و السندي كلا على سبيله، و في طريقته الخاصة، بحملة اعلانية لغرض التعقيم على الحدث، و التستر على الجريمة، و ذلك باستدعاء الشهود، و ايقافهم على جثمان الامام ليشهدوا أنه مات حتف أنفه. أورد الصدوق عن محمد بن صدقة العنبري، قال: «لما توفى أبوإبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام)، جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبيّة، و بنى العباس، و سائر أهل المملكة، و الحكام؛ و أحضر أباإبراهيم موسى بن جعفر فقال: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه، و ما كان بينى و بينه ما أستغفر الله منه فى أمره، يعنى فى قتله، فدخل عليه سبعون رجلا من شيعته، فنظروا الى موسى بن جعفر و ليس به أثر جراحة أو خنق» [٤٦٦]. و قام السندي بدوره عندما أخذ السم يسرى فى بدن الامام، و هو فى سبيله الى الشهادة، فقد روى أن السندي جمع ثمانين رجلا من الوجوه ممن ينسب الى الخير، فأدخلهم على الامام موسى بن جعفر، و قال: يا هؤلاء انظروا الى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ [صفحة ٢٥٢] فان الناس يزعمون أنه قد فعل مكروه به، و يكثرون فى ذلك، و هذا منزله و فرشه موسع عليه غير مضيق، و لم يرد به أمير المؤمنين سوءا، و انما ينتظره أن يقدم فيناظره أمير المؤمنين، و ها هو ذا صحيح موسع عليه فى جميع أمره فاسألوه. قال الراوى: و نحن ليس لنا هم الا النظر الى الامام، و الى فضله و سمته، فقال الامام: أما ما ذكر من التوسعة و ما أشبه ذلك فهو على ما ذكر، غير أنى أخبركم أيها نفر: «أنى قد سقيت السم فى تسع تمرات، و انى أخضر غدا، و بعد غد أموت». قال

الراوي: فنظرت الى السندی بن شاهك يرتعد و يضطرب مثل السعفة [٤٦٧]. و فى رواية عمر بن واقد، قال: أرسل الى السندی فى الليل يستحضرنى... فحضرت، فقال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلت: أى و الله انى لأعرفه. و بينى و بينه صداقة منذ دهر. فقال: من ههنا ببغداد يعرفه ممن يقبل قوله؟ فسميت أقواما... فبعث و جاء بهم، و قال: هل تعرفون أقواما يعرفون موسى بن جعفر؟ فسموا له قوما فجاء بهم، فأصبحنا و نحن فى الدار (نيف و خمسون) [٤٦٨] رجلا ممن يعرف موسى بن جعفر (عليه السلام) و قد صحبه... فأدخلنا، فقال لى: يا أباحفص؛ اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفته فرأيت ميتا فبكيت و استرجعت. ثم قال للقوم؛ انظروا اليه؛ فدنا واحد بعد واحد فنظروا اليه؛ ثم قال: تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر؟ فقلنا نعم نشهد... فقال: أترون [صفحة ٢٥٣] به أثرا تنكرونه؟ فقلنا: ما نرى به شيئا و لا نراه الا ميتا [٤٦٩] و فى ذلك أورد البيهقي: أن السندی أحضر القواد و الهاشميين و القضاء، و من حضر ببغداد من الطالبين» [٤٧٠] لغرض الشهادة أن الامام مات حتف أنفه. و فى رواية أن السندی أدخل على الامام الفقهاء و وجوه بغداد، و فيهم الهيثم بن عدى و غيره، فنظروا اليه لا أثر به من جراح و لا خنق، و أشهدهم أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك [٤٧١]. و حينما أخرج جثمان الامام، وضع على الجسر ببغداد، و نودى عليه: هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا اليه، فجعل الناس يتفرون فى وجهه و هو ميت؛ و قد كان قوم زعموا فى أيام موسى (عليه السلام) أنه القائم المنتظر، و جعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم، فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه عند موته: «هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرفضة أنه هو القائم الذى لا يموت، فانظروا اليه، فنظر الناس اليه ميتا» [٤٧٢] و استمر هذا التضليل الاعلامى بالتمويه، أن الامام مات حتف أنفه حتى نقله الى مثواه الأخير، و وضعه على شفير القبر، فقد أمر السندی بن شاهك خليفته و كان مع الجنازة، و قد وضعت على شفير القبر، أن اكشف وجهه للناس، قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحا لم يحدث به حدث قال: فكشفت عن وجه مولاي حتى رأيته و عرفته، ثم غطى وجهه...» [٤٧٣]. و هكذا تمر هذه المأساة الارهابية فى ظل اجراءات ارهابية، فالشهود ان لم يشهدوا فمصيبرهم القتل أو السجن أو التشريد، و النظام ممعن بالتغطية خوف [صفحة ٢٥٤] الفتنة فيما يزعمون، و الامام تنتهك حرمة دون أن، يهتز لذلك الضمير العباسى، و الناس لا حول لهم و لا طول، فالارهاب أظفح ما يدركه التصور قسوة و شدة. و الأعظم مصابا، و الأبلغ وقعا، أن الامام بقى مسجى فى جثمانه الشريف ثلاثة أيام لم يدفن [٤٧٤]. و كان هذا الاجراء للتحقيق فى وفاته، و استدعاء الشهود، و وضعه على الجسر ببغداد، و المنادى ينادى عليه بذلك النداء الفظيع [٤٧٥] بغية اطفاء نور الله تعالى: (و يابى الله الا أن يتم نوره و لو كره الكافرون) [٤٧٦] صدق الله العلى العظيم

تجهيز الامام و تشييعه الى مقره الأخير

و انتخى سليمان بن أبى جعفر المنصور، و هو عم الرشيد، فتولى بنفسه الاشراف على تجهيز الامام و تشييعه، بعد أن استمع الى شرطه الرشيد تنادى على جثمان الامام بما لا نستطيع ذكره. سمع سليمان - اذن - الضوضاء فى النداء، و رأى تجمعاً غير معهود على الجسر، فقال لولده و غلمانه: ما هذا؟ قالوا: السندی بن شاهك ينادى على موسى بن جعفر على نعش. فقال لولده و غلمانه: يوشك أن يفعل هذه به فى الجانب الغربى، فاذا عبر به، فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فان مانعوكم فاضربوهم، و خرقوا ما عليهم من السواد... [صفحة ٢٥٥] فامتثل الغلمان ذلك... و وضعوا الجثمان فى مفترق أربعة طرق، و نادوا: ألا من أراد أن يحضر الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج، و حضر الخلق، فكان التشيع الجماهيرى. و كان هذا الموقف المشرف من سليمان؛ اما بدافع الغيرة و الحمية، و اما بدافع الرحم الماسة، و اما بدافع سياسى، أو بشعور انسانى، أو بذلك بعضه أو كله. و مهما يكن من أمر، فقد كان ذلك بتقدير من الله عزوجل لرفع الظلامه عن الامام فى حرمة جثمانه الطاهر، فأتاح لذلك سليمان، فقام بما قام. و جهز الامام على خير ما يكون غسل و تحنيط و كفنه سليمان بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين و خمسمائة دينار، عليها القرآن كله، و مشى فى جنازته مستلبا مشقوق الجيب الى مقابر قريش [٤٧٧]. و تناهى الاعلام بوفاء الامام الى الناس فتنادوا بذلك، و سارت المواكب الكبرى تشق طريقها فى بغداد الى مثواه الأخير فى مقابر قريش حيث ضريحه المقدس اليوم فى الكاظمية زادها الله شرفا ببركته و بركة حفيده الامام محمد

الجواد بن الرضا (عليهما السلام). وكانت وفاة الامام (عليه السلام) في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٨٣ هـ كما هو المشهور عند الامامية، وعليه العمل، وعند أغلب المؤرخين [٤٧٨]. وقيل كان ذلك عام ١٨٦ هـ، وقيل كان ذلك عام ١٨١ هـ [٤٧٩]. [صفحة ٢٥٦] ودفن الامام في «مقابر قريش» غربى بغداد، بما يسمى اليوم بـ «الكاظمية» المقدسة، وضرّحه وضرّيح حفيده محمد الجواد من المشاهد المنورة في تلك الروضة البهيّة التي ضمت الجثمانين الطاهرين، ويعتمر فيه يومياً عشرات الآلاف من الزائرين والوفاد من مختلف الأقاليم، وعليه قبتان ذهبيتان، الى جانبهما أربع منائر ذهبية تطلان على بهوين عظيمين، يشرفان عليهما وعلى الصحن الشريف، وداخل الحرم مزين بالكاشاني المعرق، والفسيفساء والأحجار الكريمة، واستنارته تتمثل بمئات الشموع والمصاييح الكهربائية، وأرضه ذات بلاط مرمرى جذاب يرتفع تدريجياً الى الحيطان من كل جوانب الحرم الشريف بما يقارب ثلاثة أذرع، حيث تتبع ذلك الزخارف والمرايا وقطع الزجاج الملون حتى يتصل بسقف الحرم الشريف، فاذا أنير بالكهرباء وقناديل الانارة، التمسّت الشعاع يصطدم بالشعاع، والنور يقترب بالنور، بما يسر الناظر، وتدخل روعته في الضمائر، وهذا الحرم الشامخ يحتضن في وسطه مشبكاً فضياً دقيق الصنع، ينتهي في أعلاه الى زخارف فضية وذهبية بأشكال متنوعة، وفي داخله صندوقان ثمينان صنعا من الخشب الثمين الموصل بالعاج على شكل مثلثات ومربعات ومخمسات، هذان الصندوقان وضعا على قبري الامامين (عليهما السلام) وقد وصف هذا المشهد قبل ثمانية قرون ابن خلكان فقال: «و عليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة، وأنواع الآلات والفرش ما لا يحده» [٤٨٠]. وقد فرش الحرم الشريف بأنواع السجاد الإيراني المعروف بنفاسته ودقته، وتحوط بالحرم أربعة أروقة من الجهات الأربع، تتصل بالشمال بالمسجد الصفوى، وعلى يمين الداخل لها من الشرق ضريح صغير عليه مشبك فضي للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى اشتمل على [صفحة ٢٥٧] قبره وقبر أستاذه أبي جعفر بن قولويه. وعلى يسار الداخل مما يلي الرأس الشريف ضريح في الرواق الغربى لنصير الدين الطوسى، وهنالك في الأروقة حجر صغيرة في بناء هندسى جميل ضمت أضرحة العلماء والأولياء والأسر الكاظمية العريقة. والمشهد يتوسط الصحن الكاظمي في سعته وروعته وفضائه الرحب، وتحيط به الغرف والحجر من جوانبه الأربعة، وهى تتقلص من الجانب الشمالى بحسب هندسة البناء، وهذه الغرف كانت قد أعدت للزائرين، ومن ثم كانت لطلاب العلم من الوافدين، وهى اليوم مقر لقبور العلماء ومشاهير الناس. وللصحن الشريف أبواب متعددة، أهمها: ثلاثة أبواب من جهة القبلة، وبابان من الجهة الشرقية، وبابان من الغرب. أما الجانب الشمالى فقد التصق بعمارة الحرم الطاهر. وحسبك في مشهد الكاظمين (عليهما السلام)، أنه ملاذ الأئمة، وكعبة الوفا، ومجتمع المبتهلين وأهل الدعاء، حتى قال شيخ الحنابلة: أبوعلی الحسن الخلال. «ما همنى أمر فقصدت موسى بن جعفر فتوسلت به الا سهل الله تعالى لى ما أحب» [٤٨١] وقال الامام الشافعى: «قبر موسى الكاظم الترياق المجرب» [٤٨٢]. وقال عبد الباقي العمري: لذ واستجر متوسلا ان ضاق أمرک أو تعسر بأبى الرضا... جد الجواد د محمد... موسى بن جعفر [٤٨٣]. [صفحة ٢٥٨] وقد وصف كاتب هذه السطور ضريح الامام وقبته الذهبية، كما أبان منزلة الامام وعظمته بقصيدة ستجدها بعد هذا البحث. وعادة الاستجارة بمشهد الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) حقيقة روحية لدى المسلمين بعمامة، لا يختلف بعائديتها اثنان مع تعدد المذاهب والمشارب حتى قال القائل في مدح يحيى بن جعفر [٤٨٤]. وفي الجانب الشرقى يحيى بن جعفر وفي الجانب الغربى موسى بن جعفر فذاك الى الله الكريم شفيعنا وهذا الى المولى الامام المطهر وما هذا الا لتمكين حب الامام من قلوب العباد، ولتلك الكرامة الباهرة بقضاء حاجة من استجار به في الشدائد والملمات. والحمد لله أولا وآخرا على حسن توفيقه في اكمال هذا السفر، ذاكرًا شاكرًا مصليا على النبی المصطفى وآله الطيبين الطاهرين. [صفحة ٢٥٩]

قصيدتان للمؤلف في الامام

اشاره

نظم المؤلف قصيدتين في الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، كانت الأولى بتاريخ نيسان عام ١٩٧٥ م، وكانت الثانية في شوال ١٤٢٢ هـ. القصيدة الأولى، و عنوانها:

الامام موسى الكاظم

الشعر عى... والعواطف ضلع و أمامك الفكر المحلف يخشع و تمر السنة البيان بليغة فاذا أتكك ثنى الزمام المطلع ماذا أحدث عنك يابن محمد و لأنت أسمى... و المكانة أرفع شرف على شرف يضمك مجده و حقيقة تبقى... و ذكر أروع يستقبل التاريخ منك مواهبا بالعبقريه تستفيض فيكرع العالم العلوى فيها ناطق و الكوكب الأرضى فيها يصدع فكان (عيسى) فى تراثك عائد و الشمس قد ردت... و ذاتك (يوشع) و عصا (ابن عمران) الكليم بكفه فكان (موسى) جنب (موسى) يرفع ما نار (ابراهيم) الا جذوة خمدت لنور من جبينك يسطع و عليك من نور النبى صباحه فى المشرقين سناؤها يتشعشع و من (الامام المرتضى) آثاره و بنوه تثرى... و الأئمة تتبع سر الشهادة من (حسين) رمزه ألق بسجنك يستطيل فيلمع و عصارة (للمجتبى) من سمه أحشاؤه كحشاك اذ تتقطع ذرية من بعضها... قد أنجبت بعضا فمن (كسرى) هناك و (تبع) [صفحة ٢٦٠] يابن النبى المصطفى... و وصيه حقا... و من فى حبه نتذرع... لله من كيد الزمان و غدره و من الحساب... و ما به نتوقع باب الحوائج و الامام المرتضى فى الثابتات... و من به نستشفع موسى بن جعفر... و هى أعظم نسبة نفحاتها بطوبه تتضوع ما مر ذكرك فى الرؤى الا- هفا منى الفؤاد... و سال هذا المدمع فرحا بجبك... فالضمير يشدنى حبلا... و يدفعنى الولاء فأدفع لله أمر باصطفائك انه رمز الوجود... و سره المستودع ما سمرت منك الكفاح جوانح الا و طيفك للطغاة المفزع حتى انطوى ذاك الضلال، و ما انطوى الا- و قبرك للهداة المفزع تتعفر الجبهات فى أعتابه وقعا... و تلثمه القلوب فتخشع و يزين سده (الجواد) طلاقة فيهبش مكلوم... و يوسر مدقع نور على نور... و تلك مشيئة الله.. أن طاب الجناح الممرع فكانه النجم المحلق فى السما يعنو له طرف... و يومئ اصبع يتموج الضوء البهى بأفقه و يفوح مجمره الذكى و يفرع و تؤمه غر الملائك سجدا و تحل ساحته الملوكة فترقع يا أيها البطل الموحد أمة و الليل داج... و الطريق مروع عاصرت جمهرة الطغاة.. فما ونى عزم.. و لا- و هن الجهاد الأروع تحيا من المحن الصعاب.. و ترتضى غضبا على المتجبرين يوزع و تقيتك الأزمات صلب عقيدة عصماء.. لا تلوى و لا تترزع [صفحة ٢٦١] حتى دعاك السجن تعرك قيده و تعيش وحدته.. و نهجك مهيع متلفعا بضراوة من بأسه صلت الجبين... و رب تاو يهطع قضيت عمرك بالسجون... و انه مجد بكل كريمه يتلفع حتى سقيت السم تجرع كأسه غصصا... و ترتقب الخلاص فتكرع صبرا على مضض الحتوف... و انما طبع الزمان بكل حر مولع ما قيمة الدنيا اذا هى زينت بالأمنيات.. و طال دهر ممتع ابمثل (موسى) تستخف عصابة و هو الهزبر المستमित المصقع رجل العقيدة و الهدى بنهاره و بليله قديسها المتورع ما مر فى خلد... و لا- فى مسمع مثل له... و الوتر أنى يشفع يتدفق القرآن فى نبراته و هو الامام العبرى الأورع دنياه ترخر بالعتاء... و عمره خصب.. و عمر ذوى الدخائل بلقع ما مرت (الخمسون) الا توجت بالطيبات.. و فاض ذاك المنبع بعلوم آل محمد... و تراثه و بما يلذ السامعين و يمتع فكان روح (محمد) فى جنبه و هدى (على) فى يديه مجمع [صفحة ٢٦٣]

فى رحاب الامام موسى بن جعفر

أما القصيدة الثانية للمؤلف فى الامام، فعنوانها: بضريحه أنخ الركابا و افتح من البركات بابا (موسى بن جعفر) من أشاد بكل مكرمة قبابا هو باب (حطة) للذنوب فعنده ازدلفوا اقترابا من عنده فصل الخطاب.. فليس يبلغه خطابا و به حمى الله (العراق) من المكاره أن يصابا [٤٨٥]. و بتلكم الأعتاب فال تمسوا دعاء مستجابا و بظلمها ادرثوا العقاب.. و عندها اطلبوا الثواب فيها نجاه اللائذين حمى، و قبرى، و انتجابا أنزل بساحته المنى و اظفر بأفضلها طلابا و أقم بحضرته الزكية مستجيرا أو متابا هى بقعة قدسية بالمجد عامرة جنابا روح الجنان يفوح من جنباتها أرجا مذابا و شذا الامامة بالكرامة.. ينضح الطيب انسيابا سبحان ربك... ما أعز شموخه... صقرا... عقابا

يجتاح كل طريدة و ييز ناطحة سحابا [صفحہ ٢٦٤] (باب الحوائج) ما آتاه - قاصدا - أحد فخابا رجل الصلابه و الأصله ما استلان و لا استجابا يتجرع الغصص العظام و يصطلى المحن الصعابا المستميت بحيث كل الناس تضطرب اضطرابا حتى اذا ضاق (الرشيد) به مقاما... و استرابا أحصى له الأنفاس لو مر النسيم بها لآبا و رماه بالحكم الرهي ب يعيش نفيا... و اغترابا منتقلا بين السجون كأن فيهن الرغابا يحيا حياة الشامخين تعض بالقيد الرقابا و تكبل الأصفا و ال أغلال أطرافا غضابا و يطالها بالعسف و الارهاب أعصابا صلابا حتى اذا انقلب الزمان... و لا حق الدهر الذئابا قلبت موازين الحياة و مست الشمس الضبابا فاذا الطغاة بمأزق يحتر بالذل العذابا و لو ارعويت مصيرهم أثرا... و عودا... و اختطابا لعلمت أن الله بال مرصاد... أعجزهم غلابا حتى تعود ديارهم قفراء موحشة... يبابا و ينزل النقمات بالل عنات تنصب انصبابا من كان يؤخذ بالحنان.. غدا سيأخذه اغتصابا حتى يعود كيانه ظفرا لمنتقم و نابا و يصب فوق الرأس من غصص الحميم لظى مذابا [صفحہ ٢٦٥] كالمهل يغلى فى البطون.. و حسبه منه شرابا و المتقون بجنة فيحاء.. ظلا و انجذابا تجرى بها الأنهار بال ألبان تنساب انسيابا و الخمر و العسل المصفى راق مصطحبا و طابا و «الحور» فى جنباتهم أدنى من القوسين قبا من «قاصرات الطرف عين» لا- اكتحالا أو خضابا [٤٨٦]. و أجل منها... قطفهم رضوان ربك و الثواب هذا هو الحرم الذى من حوله طوفوا احتسابا و القبة الزهراء فوق ضراحه التبر التهبا و منائر ذهبية غمرت أشعتها الهضابا تهدى المضلين السبيل .. و تستيح الارتيابا ما الشمس اذ تبدى السنا الا كضاربة نقابا و اذا بدت شهب السماء رأيت بينهما حجابا و تساقط الأمطار بيعث من لآليها الرطابا يجلو ملامح ضوئها كال فجر لطفا و انسكابا و كأن مثقلة الغيوم.. بجنبها.. خل تصابى يتعانقان اذا بدا شبح الأصيل لها اقترابا فاضرب بطرفك حيث شئت ترى به الصور العذابا نور (الجواد) و نار (موسى) حققا العجب العجبا [صفحہ ٢٦٦] و كذاك «أهل البيت» منزلة.. و مجددا... و انتسابا فى كل قلب منهم جذوات حب لن تشابا و بكل بيت قبله بنت المحاريب الرحابا و لئن حججنا شطرها فزنا بأوفرها نصابا أنا لا أغالى... انما أزعجى على الدهر العتابا ألمثل هذين الامامين الزمان نضا الحرابا؟ (و الكاظمية) روضة غناء... تحتضن الشعابا أما النسيم.. فانه أرج بماء الورد ذابا و صباحها و مساؤها يتسابقان بها عرابا و شبابها و شيوخها يتباريان بها غلابا ب «المرتضى» علما، و بالشيخ «المفيد» لها شهابا و طلائع الأبرار ممن شيدو الشم الصلابا أمناء دين الله هديا و احتسابا و اكتسابا الحاملين رسالة الاسلام و العلم اللبابا و الاجتهاد على الجمود يقود ثورته انقلابا و الفكر يبرز كالسنا سيفا... و ينزعه قرابا أولاء أسرار الحياة .. و كنز معدنها عيابا قد توجوا التاريخ اكليل و غارا و اعتصابا و «بآل ياسين» زها علما و حلما و انتجابا [٤٨٧]. [صفحہ ٢٦٧] ما فيهم الا النقى لوجه بارئه أنابا أخلاقهم زهر الربيع تكاد ترشفه رضابا و العلم فى نداوتهم كالبحر تمخره عبابا و هداه «آل الصدر» تحتضن العقيدة و الصوابا [٤٨٨]. كانوا مع الاسلام آسادا تحصن منه غابا و يريك «آل الحيدرى» لكل مسألة جوابا [٤٨٩]. عازوا الى الدين الشباب .. و أفعموا منه الوطابا و (الخالصى) و ما اصطفت كفاء.. سيفا أو كتابا [٤٩٠]. رجل العراق... و نجله علم الشريعة و المهابة و شبيبة رآد الضحى من دون روعتها انجذابا و كذلك المجد المؤثل بيعث الدنيا شبابا النجف الأشرف محمدحسين على الصغير [صفحہ ٢٦٩]

خاتمة المطاف و النتائج

كانت هذه الرحلة المباركة قد اصطحبت الامام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام)، فى حياته الخاصة و حياته العامة، فوجدت الامام (عليه السلام) باختصار: ملك قيادته و أمته لا ملك نفسه، و خلصت الى نتائج موضوعية فى رؤية معاصرة لتأريخ الامام العلمى و العقلى و السياسى و النضالى بما أوضح صورة الامام دون تزيد أو اضافة، و انما هو الحقيقة القائمة على أساس المنهج التحليلى للوقائع و الأحداث و القيم، فى أسلوب جديد، و عرض جديد فى ثمانية فصول رئيسية: ١ - كان الفصل الأول متحدثا عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى سماته و مميزاته الأساسية منذ الولادة الطاهرة، فالنشأة المباركة، و تسليط الضوء على تلك المكانة المرموقة، مروراً بحكم التأريخ فى مرآته الكاشفة عن رؤية الامام لدى أصحاب الرأى و القرار الثابت النزيه فى أبعاد شخصية الامام، و من ثم ابراز الخصائص المميزة للامام فى الورع و التقوى و الحلم و الزهد و كظم الغيظ و سخاء النفس، بما يعتبر المشترك الأعظم فى

خصائص الأئمة. ٢- و كان الفصل الثاني قد تناول المسيرة العلمية الرائدة للإمام في ايجاز و تكثيف ملحوظين اقتصر فيهما البحث على مدرسة أهل البيت الأولى في ريادتها التراثية: سننا و تشريعا و معارف، و موقع الامام البارز بصمات على المدرسة، متعقبا مصادر علم الامام الكسبي و الموهبية في أدلتها و شواهد البرهانية؛ ناطرة الى سيرورة علم الامام في الآفاق و ذبوعه في الأقاليم رغم الرقابة الصارمة و التضبيب الاعلامي، مؤكدة الدور البارز الذي نهض به [صفحة ٢٧٠] تلامذة الامام في التأليف و التصنيف، و نشر تراث أهل البيت، و ختم الفصل بشذرات من تعليمات الامام و هو يقود الأمة تهذبا و تنظيما و هداية. ٣- و كان الفصل الثالث حافلا بظواهر الحياة العقلية المتطورة، بما تلمس به من لذة فكرية و متاع عقلي رصين، فقد كشف عن اهتمام الامام بالعقل الانساني و استقلاليته بالادراك، و حرص على تتبع الاضطراب في المناخ العقلي في عصر الامام، و اتجاهات التعددية في المذاهب الكلامية و الاحتجاجية و الفلسفية، و الاشارة الى الانشقاق الداخلي في فرق الشيعة مما أوجد حالة جديدة من العبء و المسؤولية اضطلع بها الامام بقيادته الفذة، و هو يخوض خضم التيار الكلامي المتقلب، ألق الجبين، أصيل الرأي، قوى الحجة، بما يعبر تعبيرا رساليا عن رأى الاسلام المشرق في هذا المناخ. ٤- و كان الفصل الرابع حاشدا بمفارقات عصر الامام في ظل الطواغيت من السلاطين و الملوك، و هم يسمنون مناصب الدولة العليا، و يدعون الخلافة الشرعية دون حق، و الجور و الطغيان يملأ الأرض و يتعالى الى عنان السماء، في أرقام طويلة من الاستئثار بكل شيء دون الشعب المضطهد، و باستعلاء لا مثيل له الا في تأريخ الفراعنة و الأباطرة و القياصرة، و استخفاف بالقيم و المثل لا- نظير له الا في العهد الجاهلي، و الامام يعاني بصبر تارة، و بكفاح تارة أخرى، و بمعتقدات سواهما، من تلك الافرازات البغيضة الثقيلة التي مثلت الارهاب و الظلم المقيت من خلال أبي جعفر المنصور، و المهدي العباسي، و موسى الهادي، و هارون الرشيد، بما يخرق أسطورة العصر الذهبي المزعوم. ٥- و كان الفصل الخامس ملتها بحريق المناخ الثوري ضد النظام العباسي الجائر، و ما قبل به هذا المناخ من اجراءات الارهاب الدموي، [صفحة ٢٧١] و قمع التحرك السياسي بأعنف الأساليب، و أقصى صنوف القتل و التعذيب، و مجابهة ذلك التوجه الثوري لصاحب فخ و صاحب الديلم و أنصارهما بالحرب الضروس و الابداء الشاملة، و قطع رؤوس القتلى، و تسيير الأسرى مكبلين بالحديد، و هدم البيوت، و مصادرة الممتلكات، و قتل الأسرى جميعا دون استثناء. و أعقب هذا و ذاك التصفية الجسدية المنظمة لأقطاب المعارضين من العلويين، حتى استطال المهدي و الرشيد الى سجن الامام، بعد الاتهام بتأييد الثائرين، و هو براء من ذلك، فالامام لا يتحرك بدافع من العواطف، و لا يؤيد العنف الثوري، و هو يهدر دون أية عائدية. و كان موقف الامام جليا في الترقب و الانتظار، و آراؤه مبرمجة بالنصح الكريم و تحاشي الاثارة الدموية، حفاظا على أرواح الشعب البريء الأعزل من الازهاق. ٦- و كان الفصل السادس كفيلا باستيحاء البعد الاستراتيجي الدقيق، و التخطيط المنهجي الرائد لسياسة الامام في مقاومة الانحراف العباسي، و اتخاذه سياسة النضال السلبى طريقا لمقاطعة النظام و القول بعدم شرعية الحكم، و الابتعاد عن معالم السلطان و الولاة و القضاء و وعاظ السلاطين، في حين يخترق الامام النظام العباسي من الداخل بأعيان من أصحابه لهم الأثر البارز في تحقيق الحد الأدنى من دفع الظلم الاجتماعي عن الناس، و قضاء مهمات أولياء الله و أنصاره و المستضعفين في الأرض، هذا في الوقت الذي نجد فيه الامام يشمر عن ساعديه في الموقف الحاسم الذي تدعو له الضرورة الشرعية، فيجابه التضليل الديني ببيان الحقائق، و يقاوم الانحراف السياسي ببدء الرأي الجريء. [صفحة ٢٧٢] ٧- و كان الفصل السابع حافلا بمعاناة الامام في غياهب السجون، و هو يقاسى العزلة و الاغتراب في تلك الأقيسة، فبحث باستيضاح الرؤية المجهريه لدوافع سجن الامام، و كشف الأسباب الكامنة وراء تنقل الامام في عدة سجون، و من ثم الرصد الاستقرائي لحياة الامام في السجن، و هو يرفع راية العبادة المجردة، و يعطف بالعلم النافع على مريديه، و يوصى بأمواله و صدقاته، و قد لاحت امارات انتقاله الى الرفيق الأعلى. ٨- و كان الفصل الثامن مقتصر على تسنم الامام لمدارج الشهادة بصبر و ثبات، بعد أن أذهلت الرشيد جماهيرية الامام و تأثيره في الأمة، فدأب مخططا لاغتيال الامام مرة بعد مرة، حتى أقدم على قتله بالسم، و أساغ لجلاوزته أسلوب الدجل السياسي المفصوح بالشهاد على وفاة الامام بأنه مات حتف أنفه، و من ثم كان الحديث عن مراسم تجهيز الامام و تشييعه الى مثواه الأخير في مقابر قریش حيث ضريحه المقدس

مع وصف ميداني للمشهد و الروضة و الصحن الكاظمي و القبتين و المنائر الأربع. و ارتأى البحث أن يكمل هذه المسيرة الحافلة للامام باثبات قصيدتين للمؤلف قالهما في حق الامام و شموخه و نضاله و احتسابه حتى كتب له الخلود السرمدي، و عاد بحق شهيد عظمت، و قتل منزلته الكبرى. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. النجف الأشرف محمدحسين علي الصغير

باورقي

- [١] ظ: الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٠٧، الطوسي / التهذيب / ٦ / ٨١، الكنجي الشافعي / كفاية الطالب / ٣٠٩، الذهبي / سير أعلام النبلاء / ٦ / ٢٧٠، الاربلي / كشف الغمة / ٣ / ٢، ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٧، البحار / ٤٨ / ٧.
- [٢] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٤٨ / ٤.
- [٣] أبو الفرج / مقاتل الطالبين / ٤٩٩، الطوسي / التهذيب / ٦ / ٨١، المفيد / الارشاد / ٣٠٧، الكليني / الكافي / ١ / ٤٧٧، ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٧.
- [٤] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٧.
- [٥] ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢١٤.
- [٦] الطبرسي / الاحتجاج / ٢١٥.
- [٧] ابن عنبه / عمدة الطالب / ١٨٥.
- [٨] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣١٩، ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٧.
- [٩] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٧ و بقیة المصادر.]
- [١٠] ظ: محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٦.
- [١١] سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٥٧.
- [١٢] الاربلي / كشف الغمة / ٣ / ٢.
- [١٣] الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ م ١٢٧، المجلسي / البحار / ٤٨ / ٢٤.
- [١٤] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٢.
- [١٥] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٢٩.
- [١٦] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤١١.
- [١٧] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٢٠.
- [١٨] الشبراوي الشافعي / الاتحاف بحب الأشراف / ٥٤.
- [١٩] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٢٥.
- [٢٠] المجلسي / بحار الأنوار / ٤٨ / .
- [٢١] المفيد / الارشاد / ٣٢٦.
- [٢٢] المجلسي / البحار / ٤٨ / ٢١.
- [٢٣] الاربلي / كشف الغمة / ٣ / ١١.
- [٢٤] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٦.
- [٢٥] ظ: الكليني / الكافي / ١ / ٣٠٩، المجلسي / البحار / ٤٨ / ١٢ - ٢٨.
- [٢٦] ظ: المجلسي / البحار / ٤٨ / ١٢ - ٢٨.

- [٢٧] المصدر نفسه ٢٤ / ٤٨ و انظر مصادره.
- [٢٨] الاربلي / كشف الغمة ٣ / ١٤.
- [٢٩] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٢٩ - ٣٠ / بتصرف جزئي.
- [٣٠] المجلسي / بحار الأنوار ١٢ / ٤٨ و انظر مصادره.
- [٣١] القندوزي / ينابيع المودة / ٤٤١ - ٤٤٣.
- [٣٢] أبونعيم / حلية الأولياء ١ / ٨٦.
- [٣٣] ظ: المؤلف / موسوعة اهل البيت الحضارية / المجلد الخامس، الفكر الامامي من النص حتى المرجعية.
- [٣٤] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤١٩.
- [٣٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣٧.
- [٣٦] ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ٢١٣.
- [٣٧] المصدر نفسه / ٢١٤.
- [٣٨] الذهبي / سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٠.
- [٣٩] ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة ٢ / ١١٢.
- [٤٠] ابن تيمية / منهاج السنة ٢ / ١٢٤.
- [٤١] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٣٢.
- [٤٢] ابن طلحة / مطالب السؤول ٢ / ٦١.
- [٤٣] الذهبي / سير اعلام النبلاء ٦ / ٢٧٠.
- [٤٤] الذهبي / ميزان الاعتدال ٣ / ٢٠٩.
- [٤٥] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ١٦٥ - ١٧٦.
- [٤٦] القندوزي / ينابيع المودة ٣ / ٣٢.
- [٤٧] زكي مبارك / شرح زهر الآداب ١ / ١٣٢.
- [٤٨] خير الدين الزركلي / الأعلام ٣ / ١٠٨.
- [٤٩] عبد الجبار الجومرد / هارون الرشيد ١ / ١٧٧.
- [٥٠] السويدي / سبائك الذهب / ٧٣.
- [٥١] السيد الخوئي / معجم رجال الحديث ١٩ / ٤٤.
- [٥٢] الأمين الحسيني العاملي / أعيان الشيعة ٤ / ق ٣ / ٣٧.
- [٥٣] هاشم معروف / سيرة الأئمة الاثني عشر ٢ / ٣٢٣.
- [٥٤] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٢٨.
- [٥٥] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر ١٨ - ١٩.
- [٥٦] ظ: الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٣٢.
- [٥٧] ابن طلحة الشافعي / مطالب السؤول ٢ / ٦١.
- [٥٨] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٠٠ و انظر مصادره.
- [٥٩] ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ٥ / ٢٩١.

[٦٠] الأمين الحسيني العاملي / أعيان الشيعة ٤ / ق ٣ / ٣٩.

[٦١] الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٩٩.

[٦٢] المفيد / الارشاد / ٣٣٣، الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨.

[٦٣] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / .

[٦٤] الكليني / الكافي ٢ / ١٠٨.

[٦٥] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٤٨ عن شرح النهج ١٨ / ٤٦.

[٦٦] ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٢٠، و قريب منه في كشف الغمة للاربلي ٣ / ٩.

[٦٧] سورة الأعراف / ١٩٩.

[٦٨] سورة فصلت / ٣٤.

[٦٩] الأمين الحسيني العاملي / أعيان الشيعة ٤ / ق ٣ / ٤١.

[٧٠] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٣٣.

[٧١] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ١٥٤ و انظر مصدره.

[٧٢] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩ - ٣٠، محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥١.

[٧٣] الكليني / الكافي ٥ / ٧٥، المجلسي / البحار ٤٨ / ١١٥.

[٧٤] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨، ياقوت / معجم البلدان ٥ / ٢٣.

[٧٥] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥١.

[٧٦] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٠٤ و ١٠٨.

[٧٧] الاربلي / كشف الغمة ٣ / ٢١.

[٧٨] المصدر نفسه ٣ / ٢٠.

[٧٩] الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩، الذهبي / سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٢.

[٨٠] ظ: محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥١ - ٥٢.

[٨١] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٢٥٢ - ٢٥٣.

[٨٢] ظ: المؤلف / الامام محمد الباقر / مجدد الحضارة الاسلامية / مؤسسة العارف / بيروت / ٢٠٠٢ م.

[٨٣] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٣٣.

[٨٤] ظ: المؤلف / الامام جعفر الصادق / زعيم مدرسة اهل البيت / الباب الثاني الفصل الأول / موارد علم الامام الصادق (عليه السلام).

[٨٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢.

[٨٦] الكليني / الكافي ٣ / ٩٢، البحار ٤٨ / ١١٣.

[٨٧] الشيخ المفيد / الأمالي / ١٣.

[٨٨] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٦٠ يرويه عن / الحميري / قرب الاسناد / ١٧٨.

[٨٩] الكليني / الكافي ١ / ٦٢.

[٩٠] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٢٦.

[٩١] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٢٨١.

- [٩٢] المصدر نفسه / ٢٨٢.
- [٩٣] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٠٣ - ١٠٤.
- [٩٤] الكليني / الكافي / ١ / ٢٤٢.
- [٩٥] سورة الكهف / ٦٥.
- [٩٦] الكليني / الكافي / ١ / ٢٦٤.
- [٩٧] سورة الجن / ٢٦ - ٢٧.
- [٩٨] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٢٨٦.
- [٩٩] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٠٩ .]
- [١٠٠] ظ: المجلسي / البحار / ٤٨ / ٦٨.
- [١٠١] المصدر نفسه / ٤٨ / ٧٢.
- [١٠٢] المصدر نفسه / ٤٨ / ٧٢.
- [١٠٣] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٤٨ / ٣٦.
- [١٠٤] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٤٨ / ٣٦.
- [١٠٥] ظ: الكشي / الرجال / ٢٨٠.
- [١٠٦] الحميري / قرب الاسناد / ١ / ١٩٤.
- [١٠٧] الكليني / الكافي / ١ / ٤٨٤.
- [١٠٨] ظ: المجلسي / البحار / ٤٨ / ٧٤ و انظر مصدره.
- [١٠٩] الكليني / الكافي / ١ / ٢٥٣ ، ١ / ٢٥٦.
- [١١٠] الكليني / الكافي / ١ / ٢٥٣ ، ١ / ٢٥٦.
- [١١١] سورة لقمان / ٣٤.
- [١١٢] محمد عبده / شرح نهج البلاغة / ٢٣٩ / طبعة دار الأندلس / بيروت.
- [١١٣] الاربلي / كشف الغمة / ٢ / ٤١٦.
- [١١٤] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٤٨ / ١٣١ و انظر مصدره.
- [١١٥] الدينوري / الأخبار الطوال / ٣٨٩.
- [١١٦] ابن شعبة / تحف العقول / ٢٩٤.
- [١١٧] المصدر نفسه / ٢٩٣.
- [١١٨] ظ: الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٢٨.
- [١١٩] الاربلي / كشف الغمة / ٣ / ٤٨.
- [١٢٠] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٠٧ عن الاحتجاج / ٢١٥.
- [١٢١] الكليني / الكافي / ١ / ١٧.
- [١٢٢] المصدر نفسه / ١ / ٣٩.
- [١٢٣] المصدر نفسه / ١ / ٦٥.
- [١٢٤] الكليني / الكافي / ١ / ٥٧.

- [١٢٥] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٠٨.
- [١٢٦] سورة البقرة / ٨١.
- [١٢٧] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٣.
- [١٢٨] سورة البقرة / ٨١.
- [١٢٩] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٣.
- [١٣٠] سورة آل عمران / ٥٣.
- [١٣١] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٣.
- [١٣٢] سورة النحل / ٢٤.
- [١٣٣] ابن شهر آشوب ٣ / ٤٠٣.
- [١٣٤] سورة البقرة / ٥٧.
- [١٣٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٤.
- [١٣٦] سورة المطففين / ٧.
- [١٣٧] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٤.
- [١٣٨] سورة الأنعام / ٨٤ - ٨٥.
- [١٣٩] سورة آل عمران / ٦١.
- [١٤٠] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٥٦.
- [١٤١] سورة الاسراء / ٢٦.
- [١٤٢] سورة الاسراء / ٢٦.
- [١٤٣] ظ: الكليني / الكافي ١ / ٥٤٣، المجلسي / البحار: ٤٨ / ١٥٧.
- [١٤٤] سورة الأعراف / ١٤٦.
- [١٤٥] سورة البينة / ١.
- [١٤٦] سورة ابراهيم / ٢٨.
- [١٤٧] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٢٦٢.
- [١٤٨] سورة ياسين / ٣٩.
- [١٤٩] ظ: المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ٧٤ و انظر مصدره.
- [١٥٠] سورة التوبة / ٢٥.
- [١٥١] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب: ٣ / ٤١٠ - ٤١١.
- [١٥٢] ظ: المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ٧٥ و انظر مصدره.
- [١٥٣] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤١١.
- [١٥٤] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١١٢.
- [١٥٥] الطبرسي / الاحتجاج / ٢١٤.
- [١٥٦] سورة الأعراف / ٣٣.
- [١٥٧] الكليني / الكافي ٦ / ٤٠٦، الحر العاملي / الوسائل ١٧ / ٢٤١.

- [١٥٨] الطبرسي / مجمع البيان: ٢ / ٤١٤.
- [١٥٩] ظ: المؤلف / نظرات المعاصرة في القرآن الكريم / تحريم الخمر في القرآن / ٩٣.
- [١٦٠] المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٠١ عن قرب الأسناد / ١٩٤.
- [١٦١] سورة الأنعام / ٧٥.
- [١٦٢] سورة الصفات / ٨٨ - ٨٩.
- [١٦٣] سورة الواقعة / ٧٦.
- [١٦٤] سورة النازعات / ١ - ٥.
- [١٦٥] سورة النحل / ١٦.
- [١٦٦] المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٤٥ - ١٤٦ و انظر مصدره.
- [١٦٧] الكليني / الكافي / ١ / ٢٢٧.
- [١٦٨] المصدر نفسه: ٢ / ٤٥٣.
- [١٦٩] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر / ١ / ٢٤٨.
- [١٧٠] الكليني / الكافي / ٢ / ٤٥٧ - ٤٥٨.
- [١٧١] المصدر نفسه / ٢ / ٣٣٦.
- [١٧٢] الاربلي / كشف الغمة / ٣ / ٤٦.
- [١٧٣] الأمين الحسيني العاملي / أعيان الشيعة: ٤ / أول / ٥٩.
- [١٧٤] الكافي / الكليني: ٢ / ١٩٧.
- [١٧٥] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٢٥٠.
- [١٧٦] الكليني / الكافي / ٢ / ٣٦٦.
- [١٧٧] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٣٤٣.
- [١٧٨] الصدوق / عيون أخبار الرضا / ١ / ٣٠٧.
- [١٧٩] ظ: على سبيل المثال: الكليني / الكافي / ٣ / ١٨ - ١٥٥ - ١٩٧ - ٣١٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣٠ - ٣٣٢ - ٣٤٠ - ٣٤٦ - ٣٨٠ - ٥١٠ - ٥٣٩... الخ، المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٧ - ١٣٨، المفيد / الارشاد / ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢، المناقب / ٣ / ٤٠٨، الفصول المهمة / ٢١٨ - ٢١٩، كشف الغمة / ٣ / ١٦ - ١٧ - ١٨ و سواها.
- [١٨٠] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٢٠.
- [١٨١] ظ: تحف العقول / ٣٠٥، الارشاد للمفيد / ٣٢٩، البحار / ٤٨ / ١٣٧ - ١٣٨.
- [١٨٢] ظ: على سبيل المثال: رجال الكشي / رجال الطوسي / رجال النجاشي / مجمع الرجال / رجال بحر العلوم / رجال المامقاني / خلاصة العلامة / معجم رجال الحديث / فهرست ابن النديم.
- [١٨٣] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر: ١ / ٣٣.
- [١٨٤] أورده القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر: ١ / ١٠١ عن الأنوار البهية / ٩١.
- [١٨٥] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٣٨.
- [١٨٦] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٤٤.
- [١٨٧] المرجع نفسه / ١٣٤.

- [١٨٨] ظ: هاشم معروف الحسنی / سيرة الأئمة الاثنی عشر ٢ / ٣٢٥.
- [١٨٩] ابن النديم / الفهرست / ٢٧٦.
- [١٩٠] هاشم معروف الحسنی / سيرة الأئمة الاثنی عشر ٢ / ٣٢٥.
- [١٩١] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣٨.
- [١٩٢] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر: ٢ / ٢٢٣ - ٣٧٤.
- [١٩٣] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٢٢.
- [١٩٤] ظ: محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٢٣ - ١٤٧.
- [١٩٥] ظ: النجاشي / الرجال / ٢٥٠ - ٢٥١.
- [١٩٦] ظ: الكشي / الرجال / ٣٦٤.
- [١٩٧] المصدر نفسه / ٣٦٤.
- [١٩٨] ابن النديم / الفهرست / ٢٦٤، النجاشي / الرجال / ٣٣٨.
- [١٩٩] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر / ٣ / ٣٤٣.
- [٢٠٠] ظ: محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٤٢ - ١٤٣.
- [٢٠١] ظ: المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٠٢ و انظر مصدره.
- [٢٠٢] الكشي / الرجال / ٣٠٤.
- [٢٠٣] الجهشياري / الوزراء و الكتاب / ٩٧.
- [٢٠٤] ظ: المامقاني / تنقيح المقال ٣ / ٢١٧.
- [٢٠٥] ظ: النجاشي / الرجال / ٣١٩.
- [٢٠٦] ابن شعبه / تحف العقول / ٢٩٦.
- [٢٠٧] الكليني / الكافي ١ / ١٦.
- [٢٠٨] الكليني / الكافي ١ / ١٨، ابن شعبه / تحف العقول / ٢٨٩.
- [٢٠٩] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٠٦.
- [٢١٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر: ١ / ١٨٣ - ٢٢٣.
- [٢١١] ظ: نص رساله الامام / الكليني / الكافي ١ / ١٣ - ٢٠، ابن شعبه / تحف العقل ٣٩٠ - ٤٠٠، وفيها زياده على ما ذكره الكليني.
- [٢١٢] سورة العنكبوت / ٤٣.
- [٢١٣] سورة الحشر / ١٣.
- [٢١٤] سورة سبأ / ١٣.
- [٢١٥] سورة ص / ٢٤.
- [٢١٦] سورة هود / ٤٠.
- [٢١٧] سورة البقرة / ٢٦٨.
- [٢١٨] سورة آل عمران / ٨.
- [٢١٩] ظ: يوسف عبدالقادر خليف / حياة الشعر في الكوفة / ٣٠٩.
- [٢٢٠] المرجع نفسه / ٣٠٩.

- [٢٢١] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الباقر ٢ / ٩٠ و انظر مصدره.
- [٢٢٢] ابن سعد / الطبقات الكبرى ١ / ١٩١.
- [٢٢٣] ظ: شوقي ضيف / التطور و التجديد في الشعر الأموي / ٥٢.
- [٢٢٤] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ١٠٩.
- [٢٢٥] ظ: المؤلف / الامام محمد الباقر مجدد الحضارة الاسلامية / ٨٨ - ١٠٦.
- [٢٢٦] ظ: المؤلف / الامام جعفر الصادق / زعيم مدرسة أهل البيت / الباب الأول / الفصل الثالث / الحياة العقلية و ظواهرها الاجتماعية.
- [٢٢٧] ظ: هذه المحاوره كامله / البحار للمجلسي: ٤ / ١٩٨ - ٢٠٢.
- [٢٢٨] الكليني / روضه الكافي / ٢٦٤.
- [٢٢٩] ظ: النوبختي / فرق الشيعة / ٧٥.
- [٢٣٠] ظ: الأشعري / مقالات الاسلاميين / ٩٨.
- [٢٣١] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣١٩ - ٣٢٠.
- [٢٣٢] ظ: المصدر نفسه / ٣٢٠.
- [٢٣٣] ظ: الأشعري / مقالات الاسلاميين.
- [٢٣٤] ظ: الشهرستاني / مقالات الاسلاميين.
- [٢٣٥] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٠٤.
- [٢٣٦] الشيخ الطوسي / الغيبة / ٢٠.
- [٢٣٧] ظ: الصدوق / علل الشرائع / ٢٣٦ طبع النجف، الطوسي / الغيبة / ٤٦ - ٤٧، الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١١٢ / ١، الكشي / الرجال / ٣٠٧، المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٥٢.
- [٢٣٨] الشيخ الطوسي / الغيبة / ٤٩، المجلس / البحار: ٤٨ / ٢٥٥.
- [٢٣٩] الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١ / ١١٢.
- [٢٤٠] ظ: الشيخ الطوسي / الغيبة / ٤٩، المجلسي / البحار: ٤٨ / ٢٥٦.
- [٢٤١] سورة التوبة / ٣٢.
- [٢٤٢] الشيخ الطوسي / الغيبة / ٥٠، المجلسي / البحار: ٤٨ / ٢٥٧.
- [٢٤٣] ظ: الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ / ٢١٦، البحار ٤٨ / ٢٦٠.
- [٢٤٤] ظ: الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ / ٢١٦، البحار ٤٨ / ٢٦٠.
- [٢٤٥] سورة الأنعام / ٩٨.
- [٢٤٦] الكشي / الرجال / ٢٧٨، المجلسي / البحار ٤٨ / ٢٦١.
- [٢٤٧] الكليني / أصول الكافي ١ / ١٣٩ - ١٤٠.
- [٢٤٨] سورة ياسين / ٨٢.
- [٢٤٩] الكليني / أصول الكافي ١ / ١٢٥.
- [٢٥٠] الكليني / الكافي ١ / ١٢٥.
- [٢٥١] الكليني / الكافي ١ / ١٢٥.

- [٢٥٢] المصدر نفسه ١ / ١٠٤.
- [٢٥٣] المصدر نفسه ١ / ١٠٦.
- [٢٥٤] سورة ياسين / ٨٢.
- [٢٥٥] الكليني / أصول الكافي ١ / ١٢٧.
- [٢٥٦] الكليني / أصول الكافي ١ / ١٥١.
- [٢٥٧] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ١٥٣.
- [٢٥٨] سورة الملك / ٢.
- [٢٥٩] الطبرسي / الاحتجاج / ٢١٠.
- [٢٦٠] هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشر ٢ / ٣٢٩.
- [٢٦١] المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٧٥ و انظر مصدره.
- [٢٦٢] سورة آل عمران / ٣٤.
- [٢٦٣] ظ: السيد المرتضى / أمالي المرتضى: ١ / ١٥١، ابن شهر آشوب / المناقب: ٣ / ٤٢٩، المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٠٩.
- [٢٦٤] الشيخ المفيد / الاختصاص / ٥٨.
- [٢٦٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٢٦.
- [٢٦٦] سورة الفرقان / ٤٥.
- [٢٦٧] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٢٧.
- [٢٦٨] أمير على الهندي / مختصر تاريخ العرب / ١٨٤.
- [٢٦٩] الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ٧ / ٥٤٦.
- [٢٧٠] المصدر نفسه ٧ / ٥٤٠.
- [٢٧١] اليعقوبي / التاريخ ٣ / ١٠٦.
- [٢٧٢] السيوطي / تاريخ الخلفاء / ١٧٢.
- [٢٧٣] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ١٤.
- [٢٧٤] السيوطي / تاريخ الخلفاء / ١٧٢.
- [٢٧٥] السيوطي / تاريخ الخلفاء / ١٧٨.
- [٢٧٦] المصدر نفسه / ١٧٩.
- [٢٧٧] اليعقوبي / التاريخ ٣ / ١٢١.
- [٢٧٨] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٣٥٠.
- [٢٧٩] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٧ / ٣.
- [٢٨٠] الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ٦ / ٣٢٠.
- [٢٨١] اليعقوبي / التاريخ ٣ / ٣٤٩.
- [٢٨٢] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٤٣١.
- [٢٨٣] ظ: أحمد أمين / ضحى الاسلام ١ / ١١٢ - ١١٤.
- [٢٨٤] ظ: الأصبهاني / الأغاني ٥ / ٥.

- [٢٨٥] ظ: ابن الطقطقى / الفخرى / ١٦٧.
- [٢٨٦] ظ: باقر شريف القرشى / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٤٣٩.
- [٢٨٧] الشابشتى / الديارات / ١٠٠.
- [٢٨٨] ظ: الخطيب البغدادى / تاريخ بغداد ٣ / ١٤٤.
- [٢٨٩] ظ: المصدر نفسه ٢ / ١٩٣، ٦ / ٣٤٦، الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٦ / ٣٩٧، الطبرسى / الاحتجاج / ٢١٤.
- [٢٩٠] ظ: محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥٨ و انظر مصادره.
- [٢٩١] سورة محمد / ٢٢.
- [٢٩٢] الخطيب البغدادى / تاريخ بغداد ٣ / ٣٠ - ٣١.
- [٢٩٣] ظ: محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥٩.
- [٢٩٤] الشبلنجى / نور الأبصار / ٣٦.
- [٢٩٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤١٧، المجلسى / البحار ٤٨ / ١٤٠.
- [٢٩٦] الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٨ / ١٥٨ - ١٥٩.
- [٢٩٧] هاشم معروف الحسنى / سيرة الأئمة الاثنى عشر ٢ / ٣٤٠.
- [٢٩٨] المسعودى / مروج الذهب ٣ / ٢٣٣.
- [٢٩٩] ظ: اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٣٩، الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٨ / ٢٠٥.
- [٣٠٠] ظ: ابن عبد ربه / العقد الفريد ٥ / ١١٦.
- [٣٠١] باقر شريف القرشى / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٤٥٧.
- [٣٠٢] المسعودى / مروج الذهب ٣ / ٢٤٦.
- [٣٠٣] اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٣٧.
- [٣٠٤] ظ: اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٣٧، المسعودى / مروج الذهب ٣ / ٢٤٨.
- [٣٠٥] ظ: الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٨ / ١٩٢، ٨ / ١٩٧.
- [٣٠٦] الأبنى / نثر الدر ١ / ٣٥٨ / طبعة القاهرة / ١٩٨٠ م.
- [٣٠٧] ابن حجر / الصواعق المحرقة / ١٢٢.
- [٣٠٨] محمدحسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٦٠.
- [٣٠٩] ظ: الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٨ / ٢٢٢، السيوطى / تاريخ الخلفاء / ١٨٦.
- [٣١٠] الجهشيارى / الوزراء و الكتاب / ١٤٤.
- [٣١١] ظ: الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٦ / ٤٨٩، الأصبهاني / الأغاني ٥ / ٢١٦.
- [٣١٢] ظ: الأصبهاني / الأغاني ٥ / ٢١٦.
- [٣١٣] المصدر نفسه ٥ / ٢٤١.
- [٣١٤] المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢١٧.
- [٣١٥] الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٧٩.
- [٣١٦] ظ: اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٣٩، الطبرى ٨ / ٢٣٠.
- [٣١٧] القلقشندى / صبح الأعشى ٣ / ٢٧٠.

[٣١٨] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢١.

[٣١٩] عبد الجبار الجومرد / هارون الرشيد ٢ / ٣٦٢.

[٣٢٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٩ و انظر مصدره.

[٣٢١] ظ: الجهشيارى / الوزراء و الكتاب ٢٨٨.

[٣٢٢] ظ: السيوطى / تاريخ الخلفاء ١١٦.

[٣٢٣] الأصبهاني / الأغاني ٤ / ٧٤.

[٣٢٤] الأصبهاني / الأغاني ٦ / ١٨٧.

[٣٢٥] المصدر نفسه ٦ / ١٨٥.

[٣٢٦] المصدر نفسه ١٧٥ - ١٧٤ / ٥.

[٣٢٧] كتاب التاج ٤١.

[٣٢٨] الأصبهاني / الأغاني ٦ / ٢٠٥.

[٣٢٩] الأصبهاني / الأغاني ١٠ / ١٧٢.

[٣٣٠] ظ: المسعودى / مروج الذهب ٢ / ٣٨٢.

[٣٣١] ظ: الطبرى / تاريخ الأمم و الملوك ٣ / ٢٦١.

[٣٣٢] ظ: طبقات الشعراء ٢٥٢.

[٣٣٣] ظ: ابن الأثير / الكامل فى التاريخ ٦ / ٤٤.

[٣٣٤] البيهقى / المحاسن و المساوى ٥٤٤.

[٣٣٥] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٤٦ و انظر مصدره.

[٣٣٦] غى لسترانج / بين الخلفاء و الخلفاء ٥٤ - ٥٥.

[٣٣٧] مصطفى جواد / سيدات البلاط العباسى ٤٨.

[٣٣٨] الأصبهاني / الأغاني ٦ / ٧٧.

[٣٣٩] طبقات الشعراء ٢٤٦.

[٣٤٠] الأبشيهى / المستطرف فى كل فن مستظرف ١ / ٩٨.

[٣٤١] الأصبهاني / الأغاني ٥ / ١٢٦.

[٣٤٢] السيوطى / تاريخ الخلفاء ١٨٩ - ١٩٠.

[٣٤٣] السيوطى / تاريخ الخلفاء ١٩٣.

[٣٤٤] ظ: عبد الجبار الجومرد / هارون الرشيد ١ / ٢٦٧.

[٣٤٥] مصطفى جواد / سيدات البلاط العباسى ٤٨.

[٣٤٦] ابن عنبه / عمدة الطالب ١٨٥.

[٣٤٧] الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ١٠٨، البحار ٤٨ / ١٧٦ - ١٧٨.

[٣٤٨] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢، ابن الأثير / الكامل ٥ / ١٠٨، ابن الصباغ / الفصول المهمة ٢٢٣، المجلسى /

البحار ٤٨ / ١٤٨.

[٣٤٩] الشيخ المفيد / الارشاد ٣٣٧.

- [٣٥٠] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٥٤.
- [٣٥١] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢٩ - ١٣١ باختصار.
- [٣٥٢] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢١ - ١٢٢ و انظر مصدره.
- [٣٥٣] المصدر نفسه ٤٨ / ١٢٥ و انظر مصدره.
- [٣٥٤] المصدر نفسه ٤٨ / ١٣١ و انظر مصدره.
- [٣٥٥] ظ: المجلسي / بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٢.
- [٣٥٦] ظ: المرتضى / الأمالي ١ / ٢٧٥، ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣١، المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٤٣ - ١٤٤.
- [٣٥٧] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٤١.
- [٣٥٨] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٨٤.
- [٣٥٩] ظ: الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ١٠ / ٢٥.
- [٣٦٠] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٤٧، البحار ٤٨ / ١٦٩.
- [٣٦١] ظ: المسعودي / مروج الذهب ٣ / ٢٤٨.
- [٣٦٢] ظ: الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ١٠ / ٢٨.
- [٣٦٣] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٦١ - ١٦٥ و انظر مصادرهم.
- [٣٦٤] ظ: اليعقوبي / التاريخ ٣ / ١٣٧.
- [٣٦٥] ابن عنبه / عمدة الطالب / ١٧٢.
- [٣٦٦] ظ: الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ١٠ / ٢٩.
- [٣٦٧] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٦٥ و انظر مصدره.
- [٣٦٨] الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٥٣.
- [٣٦٩] ياقوت / معجم البلدان ٦ / ٣٠٨.
- [٣٧٠] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٥١ و انظر مصدره.
- [٣٧١] ظ: ابن عنبه / عمدة الطالب / ١٣٩، البحار ٤٨ / ١٨٠.
- [٣٧٢] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٦٥ - ٤٨٥ بتصرف و اختصار، المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٨٢ - ١٨٧.
- [٣٧٣] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٩٢ و انظر مصدره.
- [٣٧٤] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٩٣، المسعودي / مروج الذهب ٢ / ٢٣٤ به تصرف.
- [٣٧٥] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين ٤٨٧، الطبري / التاريخ ١٠ / ٢٩.
- [٣٧٦] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٩٨.
- [٣٧٧] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٤٩٥ - ٤٩٦.
- [٣٧٨] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٨٦ - ١٠٣.
- [٣٧٩] ظ: ابن عنبه / عمدة الطالب / ٢٥٩.
- [٣٨٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ١٠٤.
- [٣٨١] ظ: اليعقوبي / التاريخ ٣ / ١٥٤.
- [٣٨٢] كان محمد النفس الزكية قد دعا الامام الصادق (عليه السلام) الى الانضمام لحركته الثورية ضد المنصور، فأبى عليه الامام

الصديق ذلك، و أخبره بفشل ثورته، كما أخبر بقتله و قتل أخيه من قبل المنصور، و كان الاخبار بالواسطة عن طريق أبيه و سواه، و الامام الكاظم يشير الى هذا.

[٣٨٣] الكليني / الكافي ٣ / ٣٦٦، المجلسي / البحار ٤٨ / ١٦١.

[٣٨٤] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر ٦١ - ٦٢.

[٣٨٥] ظ: الكليني / الكافي ١ / ٣٦٦، المجلسي / البحار ٤٨ / ١٦٦.

[٣٨٦] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٩٩.

[٣٨٧] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٧٤ عن الاختصاص.

[٣٨٨] ظ: الكشي / الرجال ٣١١ / البحار ١٠٩ / ٤٨.

[٣٨٩] الكليني / الكافي ٥ / ١٠٩، المجلسي / البحار ٤٨ / ١٧٢ - ١٧٣.

[٣٩٠] ظ: الكشي / الرجال ٢٧٦.

[٣٩١] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٣٩ و انظر مصدره.

[٣٩٢] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٥٨ يرويه عن قرب الاسناد / ١٧٠.

[٣٩٣] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٨٧.

[٣٩٤] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٨٧.

[٣٩٥] ظ: الشيخ المفيد / الارشاد ٣٢٩ - ٣٣٠.

[٣٩٦] ظ: الشيخ المفيد / الاختصاص ٢٨٢ - ٢٨٣ في طرق و أسانيد هذا الحديث، و بما روى فيه عن الأئمة (عليهم السلام) بعبارات متقاربة.

[٣٩٧] ظ: الشيخ المفيد / الارشاد ٣٣٠ - ٣٣١.

[٣٩٨] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٨٥.

[٣٩٩] الطبرسي / الاحتجاج ٢١٤، البحار ٤٨ / ١٠٣.

[٤٠٠] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢٧ - ١٢٨.

[٤٠١] ظ: الآبي / نثر الدر ١ / ٣٥٩.

[٤٠٢] سورة الأنعام / ٨٤ - ٨٥.

[٤٠٣] سورة آل عمران / ٦١.

[٤٠٤] الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٨١، البحار ٤٨ / ١٢٨.

[٤٠٥] ظ: الأصبهاني / الأغاني ١٠ / ٩٤ و ما بعدها.

[٤٠٦] سورة الأنفال / ٧٢.

[٤٠٧] ابن شعبة / تحف العقول ٣٠٢.

[٤٠٨] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢٧.

[٤٠٩] المصدر نفسه ٤٨ / ١٢٦.

[٤١٠] الشيخ المفيد / الارشاد ٣٣٤ - ٣٣٥.

[٤١١] ظ: الراوندي / الخرائج و الجرائح ٢٠٢، البحار ٤٨ / ٦٤ - ٦٥.

[٤١٢] الصفار / بصائر الدرجات ٦ / ٧٣.

- [٤١٣] المجلسي / البحار ٤٨ / ٥٤ عن المصدر السابق ٧٣ / ٦.
- [٤١٤] باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٤٥٠.
- [٤١٥] ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٦٩ باختصار.
- [٤١٦] المصدر نفسه ١ / ٧٢.
- [٤١٧] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣٦.
- [٤١٨] رويت هذه الحادثة في أكثر من عشرين مصدرا معتمدا.
- [٤١٩] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر ٧٠ - ٧١.
- [٤٢٠] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٣٢.
- [٤٢١] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٤٤٣ - ٤٦٠.
- [٤٢٢] المجلسي / البحار ٤٨ / ٢٣٢.
- [٤٢٣] ظ: تفصيلات ذلك؛ المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٣٢.
- [٤٢٤] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧، ابن كثير / البدايه و النهايه ١٠ / ١٥٣، القندوزي / ينابيع الموده ٣٨٢ / ٣.
- [٤٢٥] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣٢، البحار ٤٨ / ١٠٧.
- [٤٢٦] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٣٣.
- [٤٢٧] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين ٥٠٢، الشيخ المفيد / الارشاد ٣٣٧، الاربلي / كشف الغمه ٣ / ٢٥.
- [٤٢٨] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٣٣.
- [٤٢٩] ظ: المسعودي / مروج الذهب ٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦، ابن طاووس / مهج الدعوات ٢٤٥، ابن خلكان / وفيات الأعيان ٤ / ٩٣٤، القندوزي / ينابيع الموده ٣٦٣، ابن حجر / الصواعق المحرقة ١٢٢.
- [٤٣٠] المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢١١.
- [٤٣١] ظ: الاربلي / كشف الغمه ٣ / ٢٥.
- [٤٣٢] الصدوق / الأمالي ١٤٦، البحار ٤٨ / ٢١١.
- [٤٣٣] ظ: المسعودي / مروج الذهب ٣ / ٢٦٥.
- [٤٣٤] ظ: الاربلي / كشف الغمه ٣ / ٢٦.
- [٤٣٥] ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين ٥٠٣، الطوسي / الغيبة ٢٢.
- [٤٣٦] ظ: المجلسي / البحار ٤٨ / ٢١٢ عن الصدوق / الأمالي ١٤٦.
- [٤٣٧] ظ: المجلسي / البحار ٤٨ / ٢٤٩.
- [٤٣٨] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٤٨٧.
- [٤٣٩] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٣١، ابن الأثير / الكامل ٥ / ١٠٨، أبو الفداء / التاريخ ٢ / ١٥، الذهبي / سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٣.
- [٤٤٠] ظ: القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٤٨٧.
- [٤٤١] ظ: الطبري / تاريخ الأمم و الملوك ١ / ٧٠، ابن الأثير / الكامل ٦ / ٥٤، الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢، ابن خلكان / وفيات الأعيان ٢ / ٧٣، الكليني ١ / ٤٧٦، المجلسي / البحار ٤٨ / ٢٠٦.
- [٤٤٢] الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٩٥.

- [٤٤٣] اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٢٥.
- [٤٤٤] المفيد / الارشاد / ٣٣٨.
- [٤٤٥] المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٢١ و انظر مصدره.
- [٤٤٦] محمد حسن آل ياسين / الامام موسى بن جعفر / ٨٨.
- [٤٤٧] الحميرى / قرب الأسناد / ١٩٢، البحار ٤٨ / ٢٢٩.
- [٤٤٨] الكلينى / الكافى ١ / ٣١٢.
- [٤٤٩] الكلينى / الكافى ٨ / ١٢٤ - ١٢٦، البحار ٤٨ / ٢٤٢ - ٢٤٤.
- [٤٥٠] المفيد / الارشاد / ٣٤٣.
- [٤٥١] المصدر نفسه / ٣٤٣.
- [٤٥٢] المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٧٦ - ٢٨٠.
- [٤٥٣] المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٨١ - ٢٨٢.
- [٤٥٤] ظ: المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢٦.
- [٤٥٥] ظ: على سبيل المثال: المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ١٢٨ - ١٢٩ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ ... الخ.
- [٤٥٦] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٠٨ - ٤٠٩، المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٣٠ - ٢٣١.
- [٤٥٧] الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٥٠٤.
- [٤٥٨] ابن عنبه / عمدة الطالب / ١٨٥.
- [٤٥٩] ظ: المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٤٧ - ٢٤٨ عن عيون المعجزات / ٩٥.
- [٤٦٠] المفيد / الارشاد / ٣٣٩، الأربلى / كشف الغمة ٣ / ٢٧.
- [٤٦١] النجاشى / الرجال / ٣٧١، المجلسى / البحار ٤٨ / ٢٤٢.
- [٤٦٢] الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٨٥، البحار ٤٨ / ٢٢٢.
- [٤٦٣] ظ: المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٢٣ و انظر مصدره.
- [٤٦٤] ظ: المفيد / الارشاد / ٣٣٩، المسعودى / مروج الذهب ٣ / ٢٧٣، ابن الطقطقى / الفخرى / ١٧٢، الطوسى / التهذيب ٦ / ٨١، ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٣٧، ابن خلكان / وفيات الأعيان ٤ / ٣٩٥، ابن حجر / الصواعق المحرقة / ١٢٢، ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٢٢، القندوزى / ينابيع المودة / ٣٦٣، المجلسى / البحار ٤٨ / ٢٠٧.
- [٤٦٥] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٣٩.
- [٤٦٦] ظ: الصدوق / كمال الدين و اتمام النعمة ١ / ١١٩، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥.
- [٤٦٧] ظ: الكافى ١ / ٢٥٨، المناقب ٣ / ٤٤١، البحار ٤٨ / ٢١٢.
- [٤٦٨] كذا فى الأصل.
- [٤٦٩] ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا ١ / ٩٧، المجلسى / البحار ٤٨ / ٢٢٦.
- [٤٧٠] اليعقوبى / التاريخ ٣ / ١٤٥.
- [٤٧١] ظ: ابن الطقطقى / الفخرى / ١٧٢، الشبلنجى / نور الأبصار / ١٣٩.
- [٤٧٢] الشيخ المفيد / الارشاد / ٣٣٩.
- [٤٧٣] الطوسى / الغيبة / ٢٠، المجلسى / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٢٩.

- [٤٧٤] ابن عنبه / عمده الطالب / ١٨٥.
- [٤٧٥] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٤٨ / ٢٢٧.
- [٤٧٦] سورة التوبة / ٣٢.
- [٤٧٧] الشيخ الصدوق / كمال الدين ١ / ١١٨، عيون أخبار الرضا ١ / ٩٩.
- [٤٧٨] ظ: اليعقوبي / التاريخ ٣ / ١٤٥، الطبري / التاريخ ٨ / ٢٧١، الكليني / الكافي ١ / ١٨٦، المفيد / الارشاد ٣٣٩ / الطوسي / التهذيب ٦ / ٨١، الخطيب البغدادي / التاريخ ١٣ / ٣٥، ابن خلكان / الوفيات ٤ / ٣٩٥.
- [٤٧٩] ظ: الكليني / الكافي ١ / ٤٧٦، المفيد / الارشاد ٣٠٧ / المناقب ٣ / ٤٣٧.
- [٤٨٠] ابن خلكان / وفيات الأعيان ٤ / ٣٩٥.
- [٤٨١] الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد ١ / ١٢٠.
- [٤٨٢] بحر العلوم / تحفة السالم ٢ / ٢٠.
- [٤٨٣] عبد الباقي العمري / الديوان ١٣٣.
- [٤٨٤] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٥٣٤.
- [٤٨٥] قال زكريا بن آدم، و هو من وجود أصحاب الأئمة للامام الرضا: اني أريد الخروج عن أهل بيتي، فقد كثر السفهاء فيهم، فقال الامام الرضا: لا تفعل، فان أهل (قم) يدفع عنهم بك، كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن (عليه السلام)، يعني الامام موسى بن جعفر.
- [٤٨٦] قال تعالى: (و عندهم قاصرات الطرف عين) الصافات / ٤٨.
- [٤٨٧] آل ياسين: الأسره العلميه الشهيره في الكاظميه، برز منها العلماء الأعلام و المراجع العظام، كان أشهرهم المرجع الأعلى الآيه الكبرى الشيخ محمدرضا آل ياسين (قدس سره).
- [٤٨٨] آل الصدر: الأسره الموسويه العريقه في الكاظميه برز منها السيد حسن الصدر صاحب (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) و السيد اسماعيل الصدر و السيد محمد باقر الصدر صاحب (فلسفتنا) و (اقتصادنا) و سواهم.
- [٤٨٩] آل الحيدري: من أعرق الأسر العريقه في الكاظميه، برز منهم السيد مهدي الحيدري من قواد الثورة العراقيه، و السيد علي نقى و السيد محمد طاهر و السيد محمد الشهير بالخلاني.
- [٤٩٠] الامام الشيخ مهدي الخالصي الكبير قائد الثورة العراقيه، و ولده الأكبر الشيخ محمد الخالصي (قدس سره).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام عليُّ بنُ موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنا دِرُ البِحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع "پنج رمضان" و "مفتري" و فاني" / "بنايه" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامة:

الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيّه، تبرّعيّه، غير حكوميّه، و غير ربحيّه، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوافي الحجم المتزايد و المتّسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩